جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

مُعجَمُ (العُبَابِ الزَّاخِرِ واللُّبَابِ الفَاخِرِ) للصَّغَانِيِّ (ت650هـ)

. عرضٌ وتقويمٌ .

رسالة قدمتّها الطالبة

عبير عقيل خضير غالي المهداوي

إلى مجلس كلّيّة التربيّة للعلوم الإنسانية /جامعة كربلاء، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللُغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعيّن

1446هـ 2025م

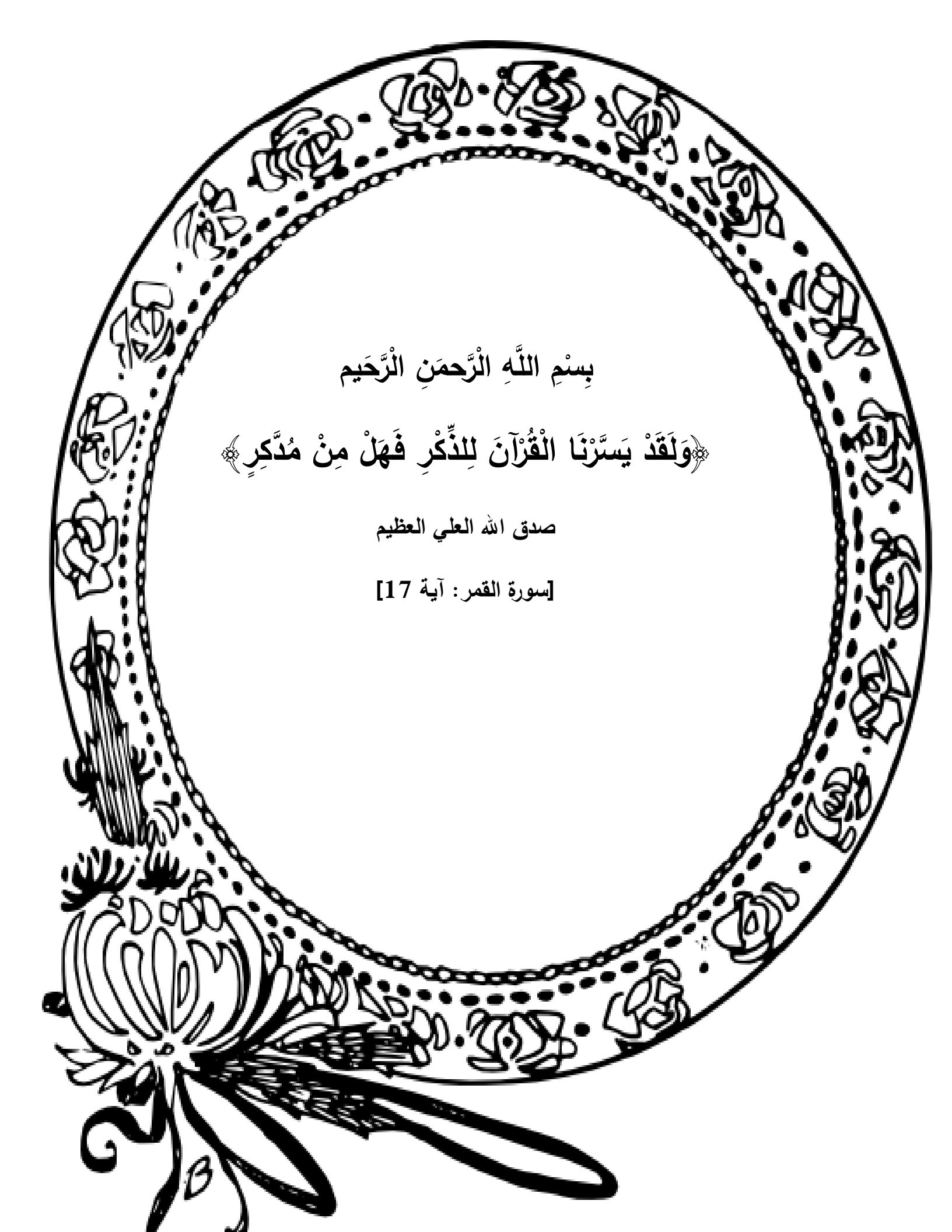

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمَنِ الرَّحَيم

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾

صدق الله العلي العظيم

[سورة القمر: آية 17]

إقرار المشرف

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(**مُعجَمُ (العُبَابِ الزَّاخِرِ واللُّبَابِ الفَاخِرِ) للصَّغَانِيِّ (ت650هـ) . عرضٌ وتقويمٌ .**) قدمتها الطالبة (**عبير عقيل خضير غالي المهداوي**) جرى بإشرافي، في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة كربلاء، وأن الرسالة استوفت خطتها استيفاء يؤهلها للمناقشة.

إمضاء

أ. د.محمد حسين علي زعيّن

2025/1/12م

إمضاء

أ.د. جنان منصور الجبوري

رئيس قسم اللغة العربية

2025/1/12

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد إنّنا اطلعنا على الرسالة الموسومة ب(مُعجَمُ (العُبَابِ الزَّاخِرِ واللُّبَابِ الفَاخِرِ) للصَّغَانِيّ (ت650ه) - عرضٌ وتقويمٌ -)التي قدمتها الطالبة (عبير عقيل خضير) في جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية ، وناقشناها في محتوياتها وفيما يتعلق بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير (جيد جداً) .

التوقيع

التاريخ 26 / 3 / 2025

الاسم : أ.د قاسم رحيم حسن

عضواً

التوقيع

التاريخ / / 2025

الاسم: أ.م..د. خير الله مهدي جاسم

عضواً

التاريخ / / 2025

التوقيع

التاريخ 26 / 3 / 2025

الاسم:أ.د. مكي محي عيدان

رئيس اللجنة

التوقيع

التاريخ ٢/ /2025

الاسم:أ.د محمد حسين علي زعين

عضواً ومشرفاً

التاريخ / / 2025

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية- جامعة كربلاء على قرار لجنة المناقشة

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية
أ.د. هادي شندوخ حميد السعيدي
التاريخ ٤/ ١٢ /2025

الشكر والامتنان

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدّم...

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من كان له الفضل بعد الله تعالى في إنجاز هذا العمل العلمي.

أَودُّ أَنْ أَتوجَّه بخالص الشكر والتقدير إلى مشرفي العزيز الأستاذ الدكتور محمد حسين علي زعيّن ، الذي قدم لي كل الدعم والإرشاد طوال مدة إعداد هذه الرسالة. لقد كان توجيهك الحكيم ونصائحك القيمة الأساس الذي بنيت عليه هذا العمل، فجزاك الله عني خير الجزاء.

ولا يسعني إلاَّ أَنْ أَتَقدم بالشكرِ لكل أساتذتي الكرام في جامعة كربلاء قسم اللغة العربية على ما قدموه من علم ومعرفة، ولزملائي الذين شاركوني في هذه الرحلة العلمية، وأقدّم الشكر إلى عائلتي الحبيبة، الذين قدموا لي الدعم المعنوي والمادي طوال مدة دراستي، وأَخص بالذكر والدَيّ اللذَين كانا دائمًا مصدر إلهام وتشجيع لي، فدعمكم اللامحدود كان له الأثر الكبير في تحفيزي على متابعة هذا الطريق، و اخص بالشكر عائلتي الصغيرة (زوجي مثنى محمد وولدِي عليّ).

وأخيرًا، أتوجه بالشكر لكل من ساعدني، سواء أكان بشكل مباشر أم غير مباشر، في إتمام هذا العمل.

أسأل الله أن يكون هذا البحث قد أضاف شيئًا جديدًا للمجال العلمي وأن أكون قد وفقت في تقديمه على الوجه الأكمل.

والله ولي التوفيق

الاهـــــــــــــداء

إلـى سيدتي ومـولاتي الصـديقة الكبـرى فاطمـة الزهراء (عليهـا السـلام)، أُهـدي ثـواب هـذا العمل القليل المتواضع ، وأرجو بذلك التقرُّب إلى الله ، والتشرُّف بخدمـة أبيهـا وبعلهـا وأبنـائـها المعصومين (عليهم السلام) .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصَّفحة
المقدِّمة	7-1
التمهيد: مهاد نظري	23-9
التعريف بالصّغاني	19-10
معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر	21-19
بناء المعجم عند القدماء	22-21
العرض والتقويم في اللغة والاصطلاح	23-22
الفصل الأول: منهج الترتيب في العباب الزاخر واللباب الفاخر	87- 24
المبحث الأول: ترتيب الاسماء والأفعال	70- 28
المطلب الأول : ترتيب الأسماء	43-32
المطلب الثاني : البدء بالفعل الماضي المجرد مع ذكر الباب الصرفي	57-44
المطلب الثالث : ترتيب الأفعال المزيدة	70-58
المبحث الثاني : ضبط الكلمة في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر	87-71
المطلب الأول : ضبط الكلمة بالحركة	78-75
المطلب الثاني : ضبط الكلمة بالكلمة	84-79
المطلب الثالث : ضبط الكلمة بالعبارة	87-85
الفصل الثاني : آراء الصغاني في الوقوف على دلالة الألفاظ	130-88
المبحث الأول: الظواهر اللغوية (الترادف ،الاشتقاق ،المشترك اللفظي)	101-92

المبحث الثاني : الحذف ، الاختصار ، الزيادة	111-102
المبحث الثالث : تفسير المعنى المعجمي	130-112
الفصل الثالث : تقويم معجم العباب الزاخر والباب الفاخر	186-131
المبحث الأول : مزايا معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر	145-134
المبحث الثاني : مآخذ معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر على غيره من المعاجم	175-146
المبحث الثالث: أهمية معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر عند المحدثين	186-176
الخاتمة	192_187
المصادر والمراجع	205-193
الملخص باللغة الإنجليزية	209-206

المقدّمة

المقدمة

تُعَدُّ دراسة المعجمات العربية واحدة من أبرز المجالات البحثية التي حظيت بعناية كبيرة من لدن العلماء والباحثين على مرِّ العصور؛ إذ ركّزت هذه الدراسات على تحليل بنية الكلمة المفردة من مختلف جوانبها، وقد أولى الدارسون عناية مخصوصة بتأليف المعاجم، إذ ارتبط ظهور هذه المؤلفات في العالم العربي بوصول الإسلام ونزول القرآن الكريم، الذي شكَّل الحافز الأساس لنشوء الكثير من علوم اللغة العربية، ومن بينها علم صناعة المعاجم، و أسهمت عوامل أُخر في تطور هذا المجال، مثل الاختلافات التي ظهرت في فهم معاني بعض الألفاظ وما قد يترتب عليها من تبعات خطيرة، فضلاً على انتشار الدين الإسلامي بين شعوب غير ناطقة بالعربية، لم تتمكن من فهم اللغة العربية إلا عن طريق التلقين والتعليم المنهجي، مما استدعى توافر معلومات دقيقة وشاملة تخصُّ ألفاظ العربية ومعانيها.

والفكر المعجمي العربي التراثي في جوهره ينطوي على طابع وظيفي واضح، سواء أكان ذلك من إذمفاهيمه أم مناهجه أم القضايا التي يعالجها، فإنَّ العلاقة بين الدراسة الوظيفية وهذا الفكر تمثل امتدادًا لجذور عميقة تتيح استثمار جهود علماء اللغة الذين أسسوا المعاجم اللغوية العامة، ولما كانت هذه المعاجم ترتبط بشكل وثيق بقضية الفصاحة، التي تعني الانحياز إلى سمات كلام العرب الأصيلة، فإنَّ الحاجة إلى المعاجم تظل قائمة ما دامت اللغة الفصحى حيَّة ومتداولة.

وفي هذا السياق تظهر أهمية متابعة العلماء للدراسة المعجمية العربية، فقد تنوعت تصنيفاتهم واختلفت جهودهم في تيسير هذا المجال، إلا أنه من اللافت أن معظم الدارسين العرب المعاصرين يركزون بشكل رئيس على ما قدّمه علماء المشارقة في هذا الحقل، متجاهلين –أو ربما متناسين– الإسهامات القيمَّة التي قدّمها علماء اللغة، فهؤلاء العلماء تركوا بصمة

واضحة في مجال الصناعة المعجمية عن طريق جهودهم في التيسير والنقد والاستدراك والشرح والتلخيص والتعليق، ممّا يعكس غنى التراث اللغوي العربي وتنوعه .

ومن الجدير بالاهتمام أنْ نضيف إلى قائمة المعاجم المهمة معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر)، الذي ألفّه الحسن الصغاني المتوفى عام 650 هـ، ويُعَدُّ هذا المعجم احد أعظم الأعمال التي أُنجزت في مجال اللغة العربية بعد عصر معجم الصحاح للجوهري، ويتميز بثراء مادته اللغوية وغزارة مفرداته التي تفوق معظم المعاجم الأُخر إنْ لم يكن جميعها، بل يمكن القول إنَّ هذا العمل اللغوي لا يضاهيه معجم آخر من حيث شموله وعمق بحث مؤلفه، فقد كان الحسن الصّغاني شخصية بارزة في علم الحديث واللغة، ولقب بفخر الحُفَّاظ وعُمدة المحدثين وحجة العرب ولسان أهل العربية، الأمر الذي يظهر جليًا في إبداعه اللغوي.

ومع ذلك، يمكن القول إنّ هذا المعجم لم يحظ بالعناية والدراسة الوافية التي تلائم مكانته وثراء مضمونه، على خلاف ما حظيت به معاجم أُخر أقل منه أهمية أو شهرة، وعلى الرغم من مكانته المرموقة من ضمن مكتبة التراث المعجمي العربي، إلا أنّه لم يَنلْ ما يكفي من الاهتمام اللائق الذي يستحقه، ولهذا السبب انصب اهتمامنا على دراسة هذا المعجم، متوجهين نحو استكشاف مظاهر التيسير المعجمي الواردة فيه.

ومن هنا جاءت فكرة الدراسة الحالية واختيار عنوان الدراسة **(مُعجَمُ (العُبَابِ الزَّاخِرِ واللُّبَابِ الفَاخِرِ) للصَّغَانِيِّ (ت650هـ) . عرضٌ وتقويمٌ .)** ويستند إلى عدة أسباب علمية ومنهجية تعكس أهمية البحث في منهج الصغاني في تصنيف هذا المعجم، وأهم هذه الأسباب:

1. إظهار ما أداه الصغاني من تيسير البحث المعجمي: يهدف العنوان إلى تسليط الضوء على الجهود التي بذلها الصغاني في تسهيل عملية البحث عن المفردات، عِبر تنظيم الألفاظ وترتيبها بطريقة تخدم الباحثين في اللغة.

2. تحديد سمات التيسير اللغوي في المعجم: يعرض العنوان فكرة التيسير يعدّها منهجًا معجميًا استعمله الصغاني لتقديم معجم يجمع بين الدقة وسهولة الاستعمال ، مما يجعل دراسته ضرورية لفهم آليات التيسير في المعجمات القديمة .

3. التأكيد على أهمية (العباب الزاخر واللباب الفاخر) : هذا المعجم يعد من أهم المصادر اللغوية في عصره، إذ جمع بين التقصي والشمولية، لذلك فإن دراسته وتقويمه تعكس مقدار تطور التأليف المعجمي عند الصغاني.

4. الجمع بين الشمولية والدقة في الدراسة: اختيار العرض و التقويم بوصفه موضوعا للبحث يساعد في تحليل الأساليب التي استعملها الصغاني لجعل المعجم أكثر وضوحًا وفائدة للقارئ، سواء من حيث ترتيب المواد، أو تقديم الشواهد، أو توضيح المعاني.

5. مواكبة الاهتمام بالدراسات المعجمية: دراسة التقويم المعجمي تواكب الاتجاهات الحديثة في البحث اللغوي، إذ تسعى الدراسات المعاصرة إلى تحليل أساليب عرض المادة في المعجمات القديمة وتقويمها لمعرفة مقدار تأثرها في تطور علم المعجم .

وبناءً على هذه الأسباب فإن العنوان يعكس طبيعة البحث وأهميته في دراسة المنهج اللغوي والمعجمي للصغاني، ويسلط الضوء على ما يؤديه من تبسيط في المادة اللغوية وتقديمها بطريقة تخدم الباحثين والدارسين.

ولايفوتني هنا ان اذكر عدداً من الدراسات السابقة التي درست العرض والتقويم ، ومعجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصغاني (ت 650 هـ):

1ــ (المعجم العربي نشأته و تطوره) ، د.حسين نصّار ، نسخة منقحة ومزيدة 1988م/1408هـ ، دار مصر للطباعة ، ط1 .

2_ (معجم لغة العرب للدكتور جورج مترى عبد المسيح عرض وتقويم) ، د. فوزي يوسف الهابط ، جامعة الأزهر ، دار وهدان للطباعة والنشر ، ط1 ، 1417هـ /1996م .

3_ (الظواهر اللغوية في العباب الزاخر واللباب الفاخر للصّغانيّ) ، ثامر سليمان عبد الله العواوده ، اطروحة دكتوراه ، جامعة مؤتة /كلية الدراسات العليا ،2015م.

4_ (الفروق الدلالية في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن الصغاني)، زينب علاوة ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر . بسكرة/ كلية الآداب واللغات ،2015.

5_ (لغات القبائل والامصار في العباب الزاخر واللباب الفاخر للصّغانيّ(ت650 هـ) دراسة ومعجم) ، مصعب طارق باهر أسميّر الحيالي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الموصل/كلية الآداب ،2024م.

6_(حركة التيسير اللغوي عند القدماء : المدارس المعجمية أنموذجاً) ،د. حيدر عبد علي حميدي ، بحث في مجلة ابن خلدون للدراسات والابحاث ، المجلد 2 العدد 11.

7_ (تقنيات التعريف المعجمي في معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) باب الفاء انموذجاً) ، ثائر سعود رهيف /علاء سعيد موسى ،بحث في مجلة الكلية الاسلامية ، النجف الاشرف 2024/774 .

و تمثلت مشكلة الدراسة في البحث عن مقدار التيسير المعجمي الذي قدَّمه الصغاني في معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر)، والأساليب التي اعتمدها لتحقيق هذا التيسير، وذلك في ظل ما اتسمت به بعض المعجمات القديمة من تعقيد في ترتيب المواد وعرض المعلومات وكثرة الشواهد التي قد تصعب على القارئ العادي، وتعرض الدراسة تساؤلات عن منهج الصغاني في ترتيب المفردات، والأدوات التي استعملها لجعل البحث أكثر سهولة، وكيفية تمييزه بين الألفاظ المتشابهة، ومقدار نجاحه في تقديم معجم أكثر تيسيرًا موازنةً بالمعجمات السابقة، بينما تكمن أهمية الدراسة في تسليط الضوء على جهود الصغاني في تطوير المعجم العربي، والمساهمة في الدراسات المعجمية الحديثة عن طريق تحليل استراتيجيات التيسير التي اعتمدها، مما يساعد في تطوير قواميس أكثر سهولة وشمولًا، و تسهم الدراسة في تعزيز فهم الدارسين المعجمات القديمة وتقليل الفجوة بينها وبين الدارسين في العصر الحديث، فضلاً على إثراء المكتبة العربية بدراسات لغوية تهتم بعنصر التيسير الذي يعد رئيساً في تطور المعجمات

وتعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، إذ يتمُّ وصف معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للصغاني، وتحليل منهجه في التيسير المعجمي عن طريق دراسة ترتيب المفردات، وطرائق عرض المعاني، وأساليب التوضيح والتفسير التي استعملها ، ومعرفة مقدار تفرده في تقديم معجم يجمع بين الشمولية والتيسير، تسعى الدراسة إلى تقديم رؤية علمية دقيقة حول جهود الصغاني في تطوير التيسير المعجمي، ومقدار تأثيره في الدارسين والباحثين في علم اللغة.

و جاء تقسيم الرسالة على وفق بعض المراحل المهمة ففي البداء المقدمة بينا فيها أسباب اختيار العنوان والمنهج المستعمل، ثم يأتي التمهيد يلقي الضوء فيه المعنى المفصِّل للعنوان فاشتمل على التعريف بالصغاني ومعجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر)، وإلقاء نظرة فاحصة

على كيفية بناء المعجم عند القدماء،و تتوزع هذه الرسالة على عدة فصول ومباحث، إذ الفصل الأول موسومًا ب(منهج الترتيب في العباب الزاخر واللباب الفاخر) ، ليركز على المنهج المعجمي للصغاني، عرضت فيه ترتيب المفردات، وطريقة عرض المعاني، واستعمال الشواهد والتفسيرات، مع تحليل مقدار اتباعه للأساليب التقليدية أو تقديمه لابتكارات جديدة في التأليف المعجمي ، وفي الفصل الثاني بينا آراء الصغاني في الوقوف على دلالة الألفاظ وفيه تم دراسة الظواهر اللغوية و تفسير المعنى المعجمي ، ثم الفصل الثالث الذي يعرض المزايا والمآخذ على معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر، وأخيرًا، ختمت الرسالة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها، مع التوصيات التي قد تسهم في تطوير الدراسات المعجمية المستقبلية.

وأخيراً وليس آخراً أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور (محمد حسين علي زعيّن)، المشرف على هذه الرسالة، الذي لم يدَّخر جهدًا في توجيهي ودعمي في مراحل البحث كلها ، فكان لتوجيهاته العلمية السديدة وملاحِظه القيَّمة الأثر الأكبر في إتمام هذه الدراسة على الوجه الأكمل، إذ أمدّني بخبرته الواسعة ورؤيته العميقة في مجال الدراسات اللغوية والمعجمية، فله منِّي كل الامتنان والتقدير على ما بذله من وقت وجهد، وأسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، ويديم عليه نَعمِة العلم والصحة والتوفيق.

والشكر موصول إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، وإلى رئاسة قسم اللغة العربية ، وإلى جميع أساتذة القسم الأفاضل الذين أفاضوا علينا بعلمهم القيم ، واتقدم بالشكر مقدماً إلى اعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين سترتقي هذه الدراسة بآرائهم فجزاهم الله عني خير الجزاء وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين و الصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين .

الباحثة

التمهيد

مهاد نظري

_ التعريف بالصغاني

_ معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

_ بناء المعجم عند القدماء

_ العرض والتقويم في اللغة والاصطلاح

التمهيد

مهاد نظري

ذهب كثير من العلماء إلى دراسة المعجمات والعناية بها والتأليف فيها صونًا للغة العربية وحماية لها من التحريف أو الوقوع في الخطأ، ولا سيما مع توسع الدولة الإسلامية بفعل الفتوحات ودخول الكثير من الأعاجم في الإسلام، وسارع العلماء إلى جمع شتات اللغة وتوثيقها، مما جعلها تصل إلينا محفوظة بين دفتي المعاجم الكبرى التي احتضنت مفرداتها، وضبطتها، وشرحت معانيها، وجاءت أحيانًا بشواهد لغوية من أقوال الفصحاء لتثبيتها و من هؤلاء العلماء الحسن الصغاني (ت650 هـ) و (معجمه العباب الزاخر واللباب الفاخر) .

التعريف بالمؤلف الصغاني:

اسمه:

هو "الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي العمري الصغّاني الحنفي رضيّ الدين: أعلم أهل عصره في اللغة، وكان فقيهًا محدثًا" [1].

مولده: ولد الصغاني عام **577هـ** ، **1181م** في لاهور بالهند ونشأ بغرنة من بلاد السند ودخل بغداد، ورحل إلى اليمن [2].

(1) الاعلام : خير الدين الزركلي : 214/2 .

(2) الاعلام : خير الدين الزركلي : 214/2 .

نسبه:

يرجع نسب الصغاني إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، ولهذا السبب أُطلق عليه لقب العمري، نسبة إلى الانتماء العائلي المرتبط باسم الخليفة عمر بن الخطاب، كما يُقال له العدوي، وذلك نسبة إلى بني عدي بن كعب، وهم القبيلة التي ينتمي إليها عمر بن الخطاب من قريش، مما يعزز ارتباطه الوثيق بجذور هذه القبيلة النبيلة. (1)

أما لقبه الشهير "الصغاني" فقد جاء نسبة إلى مدينة تحمل اسم "صغاني"، وهي مدينة تقع وراء نهر جيجون، في منطقة تمتاز بخصوصيتها الجغرافية، ويُشار إلى أن أصل هذا الاسم هو "جغان"، وهو اسم أعجمي تم تعريبه لاحقًا، تعد هذه المدينة إحدى المحطات التي تحمل ذكريات مرتبطة بسيرة الإمام، مما أضفى على لقبه طابعًا مميزًا يمزج بين التاريخ والجغرافيا.(2)

آثاره العلمية:

ترك العلامة الصغاني إرثًا علميًا قيّمًا ومتنوعًا من المؤلفات، إلا أنّ السمة البارزة التي طغت على أعماله تمثلت في الطابع اللغوي، ولهذا السبب، صنفه المؤرخون ضمن من علماء اللغة والفقه والتفسير ، على الرغم من أنَّ جهوده لم تتوقف على هذا المجال ، بل امتدت لتشمل مساهمة في علوم أُخر مثل الحديث وغيره .

تُعد مؤلفاته اللغوية أهم المراجع في دراسة اللغة العربية، وذلك لما اشتملت عليه من نصوص فصيحة لأحاديث العرب، فضلاً عمّا عرضه من الغريب والنادر والشاذ في كلامهم، وبصورة عامة، يمكننا تصنيف مؤلفاته على النحو الآتي :

(1) مقدمة محقق ما بنته العرب على فعال، الصغاني: 7.

(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي : 4/ 237.

أولاً: مؤلفاته في اللغة:

العباب الزاخر واللباب الفاخر يُعدّ أبرز الأعمال وأضخمها التي تم تصنيفها على الإطلاق، فهو يمثل أكبر مؤلفات الكاتب وأكثرها أهمية وتأثيرًا.[1]

– التكملة والذيل والصلة هو عمل يُعد بمنزلة استكمال لمعجم "الصحاح" الذي وضعه الجوهري، ويتألف هذا العمل الإضافي من ستة مجلدات، إذ يهدف إلى تعزيز محتوى المعجم الشهير وإثرائه بمزيد من الكلمات والتعليقات لتكملة النقص وتوضيح الصلة بين المصطلحات.[2]

– مجمع البحرين في اللغة هو عمل جمع فيه الصغاني بين كتابي "صحاح الجوهري" وكتابه السابق المعروف بـ"التكملة"، وذلك ضمن مجلدات متكاملة، فالمشروع يعكس جهداً علمياً كبيراً في توحيد وتصنيف اللغة بأسلوب منهجي، مستفيداً من الإرث اللغوي للكُتاب السابقين.[3]

– كتاب الشوارد في اللغة يُعد من المؤلَّفات الصغيرة من إذالحجم.[4]

– حاشية على الصحاح.[5]

– أسماء الخمر، و أسماء الحية، و أسماء الرياح.[6]

– النوادر في اللغة.[7]

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي :35/308،307 .

(2) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزَّبيدي :35/307 ،308 .

(3) ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 2/83 .

(4) ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 2/83.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 33 .

(6) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 35.

(7) ينظر :هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 1/281 .

– القلادة السمطية هو شرح على مقصورة ابن دريد الأزدي اللغوية.[1]

– شرح "الأبيات المفصل" هو تفسير وتحليل يعتمد على الأبيات الشعرية التي وردت كشواهد ونماذج لغوية في كتاب المفصل للزمخشري.[2]

– كتاب الأفعال[3]

– كتاب الافتعال[4]

– كتاب الانفعال[5]

– كتاب فعلان[6]

– كتاب مابنته العرب على فعال[7]

– كتاب يفعول[8]

– كتاب نقمة الصديان فيما جاء على وزن فعلان[9]

– كتاب في أسماء الأسد[1]، وآخر في أسماء الذئب[2]

---

(1) ينظر : الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 83/2 .

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين : 520/1.

(3) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 281/1.

(4) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 84/2.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35.

(6) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35 .

(7) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

(8) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35.

(9) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

-كتاب العادة في أسماء الغادة [3]

- كتاب تراكيب مجمع البحرين [4]

- ما تفرد به بعض أئمة اللغة[5]

- كتاب المفعول[6]

-كتاب الأضداد[7]

- كتاب خلق الإنسان[8]

- كتاب العروض[9]

- كتاب التصريف[10]

---

(1) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 520/1.

(2) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 281/1.

(3) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

(4) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 82/2.

(5) ما بنته العرب على فعال ، الصغاني : 18/1 .

(6) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 281/2 .

(7) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520.

(8) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :36/1.

(9) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

(10) معجم الأدباء، ياقوت الحموي :94/3.

– كتاب العزيزي و أيضا تعزيز بيتي الحريري.[1]

ثانياً: مؤلفاته في الفقه:

كتاب الفرائض[2]/ كتاب المناسك[3]/ كتاب الأحكام و هو في الفقه الحنفي[4]/

ثالثاً: مؤلفاته في الحديث:

–مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية، و فيه جمع " الصغاني "بين الصحيحين.[5]

–مصباح الدجى في حديث المصطفى.[6]

–الشمس المنيرة.[7]

–شرح صحيح البخاري في مجلد واحد.[8]

–أسامي شيوخ البخاري.[9]

–كشف الحجاب عن أحاديث الشهاب.[10]

---

(1) معجم الأدباء، ياقوت الحموي : 94،95/3 ، وجاء فيه تكملة العزيزي وقد فرق بينهما محقق العباب محمد حسن الصغاني : 36.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 84/2.

(3) معجم الأدباء، ياقوت الحموي : 94/3.

(4) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 281/1.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35.

(6) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 84/2.

(7) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35 .

(8) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

(9) ما بنته العرب على فعال، الصغاني :19/1.

(10) ما بنته العرب على فعال، الصغاني : 19/1.

-ضوء الشهاب، و هو كتاب متعلق بكتاب " الشهاب " للقضاعي.[1]

-الدر الملتقط في تبيين الغلط[2]، تتبع فيه الأغلاط التي وقع فيها الإمامان الشهاب القضاعي و النجم الإقليشي.

-مجمع البحرين في الحديث.[3]

-رسالة في الأحاديث الموضوعة.[4]

-رسالة في الحديث الموضوع في فضائل القراءة سورة المروية عن أبي أمامة.[5]

-رسالة في الأحاديث الواردة في صدر التفاسير في فضائل القرآن.[6]

-كتاب الضعفاء.[7]

-ترتيب أحاديث المشارق.[8]

---

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :37/1 .

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :1 /37.

(3) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 307/35.

(4) ما بنته العرب على فعال، الصغاني :1/ 20.

(5) ما بنته العرب على فعال، الصغاني :20/1.

(6) ما بنته العرب على فعال، الصغاني :20/1.

(7) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 84/2.

(8) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :38/1.

رابعاً: مؤلفات متنوعة:

-در السحابة في معرفة الصحابة.[1]

-كتاب الوفيات.[2]

-كتاب الأصفاد.[3]

-كتاب السالكين.[4]

-نظم عدد آي القرآن.[5]

-كتاب التجويد.[6]

-درجات العلم و العلماء.[7]

-تفويف النسج في شرح النهج[8]، و هو كتاب شرح فيه نهج البلاغة المنسوب للإمام علي عليه السلام .

---

(1) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي : 520/1.

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي : 84/2 .

(3) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، القرشي :84/2.

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة : 1424/2.

(5) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي : 281/1.

(6) العباب الزاخر والعباب الفاخر، الصغاني :38/1.

(7) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي : 308/35.

(8) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :39/1.

منزلته العلمية:

حظي الصغاني بمكانة كبيرة عند العلماء والمشايخ، و لا سيما أولئك الذين أُتيحت لهم فرصة التعامل معه عن قرب، والانتفاع من علمه وتتلمذهم على يده، وكان معروفًا بحسن الخلق وقوة المعرفة، واشتهر بين الأوساط العلمية بمكانته الكبيرة، فقد وصف الحافظ الديميَاطي، شخصيته "بأنَّه شيخ صالح يتميز بالصدق والتواضع، وأسلوب حياته الصامت الذي يُغني عن كثرة الكلام".[1]

كان الصغاني أحد أعلام العربية الذين انتفع بعلمهم الطلاب، واشتهر بين الناس أنه من الأوائل الذين افتتحوا طريق التعلّم في علوم اللغة، إذ تلقى عنه الكثير من الطلبة، وكان بعضهم من أوائل من قرأ عليه في هذا المجال، ومن بينهم من درس عليه ملحة الإعراب للحريري وشرحها المعروف بشرح بحرق. [2]

ولقد وصفه الشجني بأنَّه من كبار مشايخ العربية ومحققي دقائقها، فقد كان قادرًا على سَبْر أغوار اللغة وكشف أسرارها الدقيقة، مما جعله مرجعًا موثوقًا في علوم النحو والصرف، كما و تميز بملازمته مجالس العلم، و لا سيما مجلس الشيخ جمال الدين علي بن يوسف بن المتوكل القاسم بن الحسين، إذ اعتاد على قضاء الليالي في المناقشات اللغوية والمسامرات العلمية، مما يدل على شغفه العميق بالبحث والتمحيص في اللغة العربية.

---

(1) تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري : 308/35 .

(2) الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مجموعة من المؤلفين «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم»، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر – بريطانيا : 1/ 86،87.

وفاته:

أجمعت المصادر التاريخية التي عرضت سيرة الصغاني على اتفاق مفاده أنه توفي سنة خمسين وستمائة هجرية (650 هـ) في مدينة بغداد، وقد أُبلغ بأنَّ جثمانه قد دُفن بدايةً في منزله ببغداد، غير أنَّ تلك المصادر تضمنت أيضًا وصيته الشهيرة التي نصت على أنَّه في حالة وفاته خارج مكة المكرمة، فإنه يرغب في نقل جسده إليها ليُدفن بجوار الأماكن المقدسة[1].

على وفق ما ورد، تم تنفيذ وصيته بعد وفاته، إذ نُقل جثمانه من بغداد إلى مكة المكرمة، إذ وري الثرى بالقرب من مقام الفضل بن عباس، وأظهرت الروايات أنَّ الصغاني جعل لمن يقوم بمهمة نقله ودفنه إلى مكة معونة مالية مقدارها خمسون دينارًا، وقد تم تنفيذ هذا الشرط بدقة، ليُحترم بذلك طلبه الأخير.[2]

معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر:

الكتاب الموسوم بـ "العباب الزاخر واللباب الفاخر" يُعدُّ من أعظم المؤلفات اللغوية التي وضعها ا الصغاني، و ألَّف الصغاني هذا الكتاب ليُهديه إلى الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي، وقد تزامن هذا العمل مع الحقبة التي تولى فيها ابن العلقمي الوزارة في العام 643 هـ، واستمر العمل على الكتاب حتى قربت وفاة الصغاني في العام 650 هـ. [3]

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي :468/2.

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي: 1/ 521.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني :1/ 11.

يمثل هذا الكتاب إنجازاً لغوياً رائداً وموسوعة شاملة تجمع بين عمق المحتوى اللغوي وجمال العرض الأدبي، ومع ذلك فقد حالت وفاة الإمام الصغاني دون إتمام هذا الكتاب الضخم، لتتوقف مسيرة التأليف عند مادة "بكم"، التي تقع من ضمن فصل "الباء" في أبواب الميم، وبهذا أصبح العمل غير مكتمل، لكنَّه ما يزال يشهد على عبقرية المؤلف وإتقانه الكبير في مجال اللغة والمصطلحات.[1]

إنَّ الجهد المبذول في هذا الكتاب يظهر اهتمام الإمام الصغاني بتقديم مرجع شامل ودقيق يثري المكتبة العربية ويسد احتياجات الباحثين والمهتمين بأسرار اللغة وجمالها ودلالاتها المتنوعة.

كان الهدف الرئيس للصغاني من تأليف معجمه ولا سيما تحصيل الجمع والتنقيح لما ورد في لغات العرب، وهي مهمة شاقة وذات أهمية كبيرة، ولا سيما في القرن السابع الهجري إذ ظهرت الحاجة إلى تدوين اللغة وضبطها، فقد صرَّح في مقدمة معجمه أنَّه سعى لجعل هذا المصنف عملاً شاملاً وموسوعة لغوية متكاملة تتجاوز مجرد التوثيق الوصفي للمفردات. [2]

وأوضح الصغاني أنَّ هدفه كان أنْ يؤلف كتابًا يتسم بالشمول والعمق، بإذيكون جامعًا لما تفرَّق من مفردات اللغة العربية ومتناثرها، ومستوعبًا لقصصها وأمثالها الشهيرة وألفاظها الغريبة وغير المألوفة، أراد أنْ يقدِّم عملاً يحتوي على مختلف التراكيب والتعبيرات سواء أكانت سهلة الإدراك أم معقدة، دون أن يدع شيئًا ذا قيمة خارج نطاق هذا الكتاب سوى الألفاظ المهملة التي لم تحظَ باستعمال أو توظيف، وكان يسعى بكل دقة وحرص إلى أن يضع بين أيدي الباحثين والمهتمين نصًا شاملًا ، ليكون مرجعًا غنيًا ومتكاملًا يظهر عظمة اللغة العربية وكمالها.[3]

---

(1) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي: 1/ 100.

(2) ينظر : المعجم العربي نشأته وتطوره حسين نصار : 530.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :11/1.

ومن الواضح أنَّ الهدف الرئيس من تأليف المعجم كان تحقيق التصحيح والتدقيق في الشواهد، وهذا يظهر جليًا فيما ورد في المقدمة، إذنص المؤلف على ملاحِظه إزاء ما سبق تقديمه، ويشير إلى أنَّ من سبقه استعملوا عبارات مثل: "وفي الحديث" أو نسبوا الأحاديث إلى أمثالٍ ليست حديثًا نبويًا بالمعنى الدقيق، أو أطلقوا لفظ المثل على التابعي أو الحديث بشكل غير متقن. [1]

فالصغاني يوضح هنا أنَّ عمله يركز على تنقيح هذه الأخطاء وتحديد الفروق بوضوح، وإنَّه يعرض الاختلافات بين التعبيرات التي قد يُفهم منها تداخل المعاني، ويرى أن العودة إلى المصادر الدقيقة ضرورية لتأكيد صحة الأحاديث وفهمها الصحيح.

بناء المعجم عند القدماء:

نشأت المرحلة الأولى في تأليف المعاجم من الاهتمام بتفسير غريب القرآن، ومن أبرز المؤلفات في هذا المجال كتاب "غريب القرآن" لأبي عمرو بن المثنى،[2] وقد اشتهر الصحابي الجليل ابن عباس (ت68هـ) باعتنائه الكبير بتفسير الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، إذ كان يسعى إلى توضيح معانيها عبر الاستشهاد بالشعر العربي القديم، مما ساعد على تقريب المعنى للأذهان وتبسيطه لمن واجه صعوبة في فهم هذه الألفاظ.

ولاحقًا، تطور مجال التأليف المعجمي ليشمل توثيق الألفاظ العربية النادرة والمميزة في مؤلفات مستقلة عُرفت باسم "النوادر"، وهذه المؤلفات لم تلتزم بترتيب معين للمفردات، سواء من

(1)العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني:7/1.

[2] ينظر : المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، أحمد بن عبد الله الباتلي: 14.

إذالموضوع أو الحروف، ومن أبرز الأمثلة على ذلك كتاب "النوادر" لـ "أبي عمرو بن العلاء النصري" (ت154 هـ)، الذي يُعَدُّ واحدًا من أقدم الأعمال في هذا المجال.[1]

وفيما بعد، عُنيَ اللغويون بجمع الألفاظ المتعلقة بموضوعات محددة في كتب منفصلة، مثل الكتب المخصصة للخيل، والإبل، والطير، وخلق الإنسان، والسبات، وغيرها، وهذه الأعمال تُعرف اليوم بمعجمات المعاني[2].

ولقد قام الخليل بن أحمد الفراهيدي، الذي (ت 175هـ) ، بتأليف كتاب "العين"، ليكون أول معجم شامل يجمع مفردات اللغة العربية كاملة، وتميز هذا المعجم بترتيبه الصوتي، معتمداً على نظام التقليبات لترتيب الكلمات بطريقة منهجية ، وبعد معجم العين، توالت جهود التأليف في المعاجم اللغوية التي اعتمدت مختلف أساليب الترتيب المعروفة ، إذ تمكن العلماء من توثيق كمٍّ هائل من المعجمات اللغوية الضخمة، واستمرت هذه الحركة في الإنتاج والتطوير حتى يومنا هذا[3].

العرض والتقويم في اللغة الاصطلاح :

عرض في اللغة : مأخوذ (عرض) ومعناه :كشف الشيء وإظهاره وتقديمه وجعله مرئيا للآخرين [4].

وعرض في الاصطلاح : هو عرض البحث بشيء من الاختصار ليطلع عليه القارئ ، وليعرف فكرته ونتائجه ومشكلته .

---

(1) ينظر : المعاجم الغوية وطرق ترتيبها، أحمد عبد الله الباتلي : 15.

(2) ينظر: معجم المعاجم ، أحمد الشرقاوي إقبال : 93 .105

(3) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار : 1/ 174 _ 176

(4) ينظر : العين ، الخليل :271/1 ، ومقاييس اللغة ، ابن فارس : 270/4

التقويم في اللغة : مأخوذ من (قوَّمَ) ، جاء في الصحاح : " وقَوَّمتُه تَقويمًا فَتقوّمَ بمعنى عَدلتُه فتَعدلَ وقومتُ المتاع جعلتُ لهُ قيمةٌ معلومة" [1] .

والتقويم في الاصطلاح : عرفه د. طه عبد الرحمن قائلا : "هو عبارة عن عملية نقدية مبناها . أساسًا- على الاعتراض على هذا النص بالمناهج المشروعة حتى يتبين كيف يستند وسائله أو مضامينه" [2] ، وإصدار حكم ما بغية تحسين كتابة البحوث العلمية وتطويرها وتعديلها والوصول بها نحو الكمال واقتراح الحلول المناسبة التي تصحح مسار البحوث الجامعية العلمية [3].

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 2 /520 .

(2) تحديد المنهج في تقويم التراث ، د.طه عبد الرحمن : 32 .

(3) تحديد المنهج في تقويم التراث ، د.طه عبد الرحمن : 32

الفصل الأوّل:

منهج الترتيب في العباب الزاخر واللباب الفاخر

المبحث الأول : ترتيب الأسماء والأفعال

المطلب الأول : ترتيب الأسماء

المطلب الثاني : البدء بالفعل الماضي المجرد مع ذكر الباب الصرفي

المطلب الثالث : ترتيب الأفعال المزيدة

المبحث الثاني: ضبط الكلمة في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

المطلب الأول: ضبط الكلمة بالحركة

المطلب الثاني: ضبط الكلمة بالكلمة

المطلب الثالث: ضبط الكلمة بالعبارة

الفصل الأول

منهج الترتيب في العباب الزاخر واللباب الفاخر

تُعدّ دراسة الظواهر اللغوية من القضايا المهمّة في المعاجم، لكونها تُظهر مستويات اللغة المختلفة وتكوّن مادة غنية للتحليل اللغوي، وقد حظيت هذه الظواهر باهتمام مخصوص في معجم العباب، إذ أصبحت أبرز سماته، و إنَّ تأثيرها امتد إلى المعاجم اللاحقة، مما أضفى عليها ملامح واضحة تستحق الوقوف عندها بالبحث والدراسة ، وميدان المعاجم يُعَدُّ مجالاً معقداً وليس بالهيّن، وذلك بسبب تنوع الظواهر اللغوية و تفرعها التي يحتويها، فالمعاجم تتضمن الكثير من الأعمال القيمة للعلماء الذين وثّقوا اللغة في صفحاتها، واتبعوا منهجاً مخصوصاً في تسجيل مفردات المعاجم ومحتواها، وربما يرجع تأثير هذه الأعمال إلى اعتماد المعاجم اللاحقة عليها وعدها مرجعاً في دراسة القضايا اللغوية.[1]

وقد تميزت اللغة العربية بأنَّها لغة تعتمد على علم الصرف، مما أفضى بها إلى خصائص ومزايا تضمن حيويتها واستمرارها، ويُعَدُّ الاشتقاق احد أهم سمات اللغة العربية وأحد الوسائل الرئيسة التي استعملها لتوليد الكلمات، وهو ما أعطاها ثراءً في المفردات وقدرة على استيعاب المستجدات في مجالات الحياة من أفكار وعلوم وفنون متنوعة.

والألفاظ بأصولها الاشتقاقية تُعدُّ أهم المظاهر التي ترتبط بعراقة اللغة العربية وديمومتها ، إذتُظهر الألفاظ اشتقاقات تجمع بين معانٍ متعددة ومختلفة ترتكز على جذور أو أصول تحمل دلالات ، وقد يحدث أحيانًا أن تظهر العلاقات الاشتقاقية بين الكلمات وكأنها منقطعة تمامًا

(1) ينظر : تهذيب اللغة، الأزهري : 2 /56.

عن دلالاتها الأصلية في المفردات، مما يؤدي إلى صعوبة تقصي هذه الارتباطات الاشتقاقية والدلالية [1] .

وتقصي أهمية هذا الأمر من لكونه موضوع دراسة رئيس لدى علماء اللغة العرب، الذين سعوا إلى استجلاء المعاني الكامنة في تلك الاشتقاقات من ضمن جهودهم البحثية وأعمالهم اللغوية المختلفة، ومع ذلك لم تخصَّص دراسات مستقلة تعرض هذا الموضوع بشكل شامل ومفصل، مما أدى إلى تركيز العلماء على معالجة تلك العلاقات في سياقات متفرّقة وغير موسعة.

العباب الزاخر يُعدّ احد المعاجم اللغوية البارزة التي أُلِّفت في القرن السابع الهجري، وقد وضعه العلامة الصغاني بناءً على طلب الوزير ابن العلقمي، ويُعدُّ هذا المعجم من الأعمال الرائدة في دراسة اللغة العربية وتوثيق مفرداتها، ومن الجدير بالذكر أنَّ العباب الزاخر كان واحدًا من مصدرين رئيسين اعتمد عليهما العالم الشهير الفيروز آبادي عند تأليف معجمه المشهور(القاموس المحيط) ، وهما كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) و (كتاب المحكم والمحيط الأعظم).

ويتألف العباب الزاخر من ثمانية وعشرين جزءًا، وهو عدد يتطابق و حروف الأبجدية العربية. ومع ذلك، فإنَّ الأجزاء ليست متساوية من إذحجمها وعدد أوراقها؛ إذ إنَّ الاختلاف في عدد المفردات التي يعرضها كل باب من أبواب الكتاب أدَّى إلى تفاوت واضح في حجم الأجزاء، ويرصد هذا العمل الجهد الذي بذله المؤلف في جمع المفردات وتنظيمها وغربلتها ، ليكون مرجعًا غنيًا وشاملًا يساعد على الحفاظ على جمال اللغة وعمقها، ولا تتجلى أهمية هذا

(1) من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، محمد راشد الحمزاوي : 166.

الكتاب من أنّه مصدرًا لغويًا فريدًا فقط ، بل أيضًا في تأثيره الكبير على الأعمال اللغوية التي جاءت بعده .

ذكر الزبيدي فيما يتعلق بكتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) "أن هذا العمل، بالإضافة إلى كتاب التكملة، يعودان إلى الصغاني، وقد عثر عليهما في خزانة الأمير صرغمتش"، أما الكتاب فقد وصل إلينا مشتتًا في مكتبات مختلفة حول العالم، إذتوجد منه نسخ متعددة، بعضها عبارة عن أجزاء كاملة، وبعضها الآخر قطع من أجزاء متفرقة.[1]

وبناءً على ذلك، لقد رأينا أن يتمحور موضوع دراستنا حول عنوان يعرضمظاهر التيسير في معجم "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، إذاخترنا هذا المعجم الذي وضعه الصغاني انموذجًا للتحليل والدراسة، ونأمل أن يحظى هذا العنوان بقبول المؤسسة الأكاديمية والمختصين في الدراسات اللغوية لما فيه من أهمية تتعلق بالبحث في منهجية التصنيف اللغوي والتركيبي للمفردات، وانطلاقًا من هذا الاختيار، قمنا بصياغة الإشكالية البحثية التي سنعالجها على النحو الآتي : إلى أي مقدار أسهم معجم "العباب" في تبسيط المنهج وتيسيره الذي أُلزِم به فيما يخص الجذور اللغوية والتقسيمات المرتبطة بالأبواب الصرفية؟ وما مقدار نجاح هذا العمل المعجمي في الإلمام بالتنويع بين المترادفات وتباين المعاني؟ الهدف هنا ليس دراسة جوانب التيسير في هذا المعجم فقط ، بل الوقوف أيضًا على قدرته على تحقيق التنوع اللغوي بمنهجية علمية محكمة.

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير : 3/ 85.

المبحث الأول

ترتيب الأسماء والأفعال

إنَّ المعجم اللغوي يُعدُّ تجلياً حضارياً ذا قيمة عظيمة، يظهر في المجتمعات التي تحقق وجوداً قوياً مدعوماً بالعلم، ويعكس صورتها الاجتماعية والحضارية، و يمثل كذلك ما اكتسبته من مختلف صنوف المعارف، ولذلك يُعدُّ المعجم في كل أمة انعكاساً لحياتها وسجلاً لكلماتها، بل إنه ديوان العرب .

و اللّغة أداة وُجِدت لتكون وسيلة يمكّن الإنسان عن طريقها التعبير عن حاجاته المختلفة، وعن المشاعر والأفكار التي تراود نفسه وتملأ وجدانه؛ ولأنّه من البدهي أن المعاني التي تحملها النفس الإنسانية لا يمكن حصرها أو وضع حدود لها، فإن الكلمات المتاحة مهما كثرت تظل غير كافية لاستيعاب هذا الكم الوافر من الأفكار والمعاني، ولهذا السبب، كان من الحكمة أن تُوضَع للّفظ الواحد دلالات ومعانٍ متعددة تستعمل على وفق السياق والمقصد، وعلى سبيل المثال كلمات مثل العلم، العقل، السماء، والمطر، جميعها تُعدُّ نموذجًا واضحًا للتنوّع في المعاني التي تعبّر بها عما يحيط بالإنسان وعن حالاته المختلفة، وكلما صيغت هذه المعاني على وفق المقاييس الدقيقة التي تُعتمد في اللغة العربية، كانت أقربِ إلى أن تنتمي إلى الفئة التي يُطلق عليها "الكلام العربي الفصيح"، وبذلك يمكن القول أنَّ اللّغة تظل دائمًا وسيلة حيّة ومتمددة بقدر رحابة المعاني التي يسعى الإنسان إلى نقلها والإفصاح عنها.[1]

و تمكن علماء اللغة المختصون في إعداد المعجمات من جمع المادة الرئيسة المتعلقة بالمفردات العربية، وقاموا بتوثيق نسبة كبيرة من الألفاظ التي وردت في الشعر العربي القديم،

(1) دراسات في العربية وتاريخها، الأزهري: 25.

إلا أنّ النظرة المعيارية التي تبنوها والمنهجية الصارمة التي اعتمدوها عليها عند استعمالها المفردات بوصفها حججا لغوية في أعمالهم جعلت المعجمات التي أعدوها قاصرة عن تقديم صور دقيقة وشاملة لتطور اللغة العربية عبر العصور، ولولا أنه تم تدوين بعض الكتب التي عرضت أخطاء العامة واختلافاتهم اللغوية، التي عكست جانبًا من التطورات اللغوية التي طرأت مع مرور الزمن، لكان من الصعوبة على الباحثين دراسة التغيرات التي طرأت على الألفاظ ومعرفة مسار تطورها تاريخيًا.[1]

وتظهر أهمية دراسة المفردات داخل النصوص الأدبية بشكل واضح وحاسم، إذتستعمل الكلمات عادةً على وفق قيمتها التاريخية وما تحمله من دلالات ومعانٍ متراكمة جراء استعمال ها عبر الزمن، تلك الدلالات تجعل للكلمات أثرا رئيسا في تشكيل النصوص الأدبية وإبراز أبعادها الثقافية والجمالية، ولعل هذا الاهتمام الدقيق بقيمة الكلمات هو الذي دفع المستشرق الهولندي الشهير، (رينهارت دوزي)، إلى الانصراف إلى دراسة النصوص الأدبية بشكل معمق ومباشر، وذلك عندما أدرك أن بعض الألفاظ والتراكيب ذات الأهمية لم تحظَ بتوثيقٍ كافٍ أو لم تُدرَج بالكامل من ضمن معاجم اللغة القديمة، وهذه الفجوة دفعته إلى الاعتماد على النصوص الأدبية بوصفها كنزا غنياً بالمفردات والتعبيرات التي تكشف جوانب مخفية من اللغة وتنير مساحات تاريخية وثقافية كان من الممكن إهمالها لولا اهتمامه الجاد بتلك التفاصيلات الدقيقة.[2]

(1) المولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، د. حلمي خليل: 333.

(2) تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آند دوزي : 1 / 14–16 ، والمولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، د. حلمي خليل: 332

وأوضح ابن جني أنه إذا قادنا القياس إلى اعتماد صيغة معينة للفعل أو مصدره، ثم اتضح أن العرب استعملوا صيغة مختلفة قائمة على السماع، فإنَّ الواجب في هذه الحال هو التخلي عن ما قاد إليه القياس لصالح ما ثبُت سماعه عن العرب، واستنتج من ذلك أنَّ استعمال أي من الصيغتين – إذا كانت كلتاهما قد وُثقت في كلام العرب – جائز، ما يترك المجال للمتحدث أو الكاتب اختيار الصيغة التي يستحسن استعمالها.[1] وفي نظره، إذا تبيّن أن العرب لم يستعملوا الصيغة القياسية التي يُستنبطها العقل استنادًا إلى القياس اللغوي، فإن ذلك يجعل من الضروري تبنّي ما أجمعوا عليه سماعًا بصورة قاطعة دون أي جدال، ويُفهم من ذلك أن السماع، الذي يعكس حقيقة استعمال العرب لغتهم على مر العصور، يشكل معيارًا أعلى من القياس والتقديرات النظرية في فهم اللغة العربية وتطبيقها .

وعند التعمق في دراسة المعجمات العربية القديمة، نجدها تمثل كنزاً من المعلومات اللغوية التي تظهر مقدار تنوع اللغة العربية وغناها ، ولا سيما ماكان في دائرة المصادر وأشكالها الصرفية، وتحظى هذه المعجمات بأهمية كبرى في تحليل البناء الصرفي للكلمات، إذ إنها تقوم بعرض الأفعال إلى جانب مصادرها في بعض الأحيان، وأحياناً أُخر تعرض الأفعال بمفردها دون ذكر المصدر، وفيما يخص المصادر، فإن بعض المعجمات توردها إيضاحاً للمفردات واستكمالاً للمعنى أو لتوضيح دلالة الكلمات في سياقاتها المختلفة.[2]

لقد اعتمد الصغانيّ في تأليف كتابه منهج القافية الذي استند إليه الجوهري في كتابه الصحاح، إذ قام بترتيب الحروف في الكتاب بشكل يجعل الحرف الأخير من الكلمة يكون باباً، بينما الحرف الأول يمثل فصلاً من ضمن هذا الباب ، وعلى خلاف نظام التقليبات المعروف

(1)ينظر الخصائص، ابن جني : 1/ 125، 126، وينظر: المنصف، ابن جني : 1 /2، 3.

(2) المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد ابو الفرج : 76.

الذي اعتُمد في بعض المعاجم الأُخر، اختار الصغانيّ السير على نهج النظام الأبجدي المعتاد ، وقد اتكأ على تقسيم كل باب إلى مجموعة من الفصول، إذ يتم تنظيم الكلمات على وفق أولها من ضمن ذلك الباب، فعلى سبيل المثال، يبدأ باب الهمزة بفصل يضم الكلمات التي تبدأ بالهمزة، ثم ينتقل إلى الفصل المخصوص بالحرف الذي بعده وهكذا دواليك حتى يصل إلى الفصل الأخير الذي يعرض الكلمات التي تنتهي بالهمزة وتبدأ بأي حروف أُخر وصولاً إلى الياء، وبعد إتمام باب الهمزة، ينتقل إلى باب الباء ويُكرر النمط ذاته، مبتدئاً بفصل يعرض الكلمات التي تبدأ بالهمزة وتنتهي بالباء، ثم ما يأتي بعد ذلك من فصول مرتبة التسلسل نفسه .

ولكن يجدر التنويه إلى أنّ هذه الفصول لا يُشترط أن تكون بعدد ثابت أو أن يبلغ كل باب عددًا محدداً كثمانية وعشرين فصلاً كاملاً، فعدد الفصول في كل باب يعتمد بالمقام الأول على وجود الكلمات ذات الصلة والمستعملة فعلاً في اللغة، ولهذا السبب نجد بعض الأبواب قد اكتملت فيها سلسلة الفصول حتى وصلت إلى العدد المتوقع، بينما في أبواب أُخر كان عدد الفصول أقل قيمة لعدم توافر ما يكفي من الألفاظ المتداولة المرتبطة بها.[1]

(1) تقنيات التعريف المعجمي في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر باب الفاء أنموذجاً، ثائر سعود رهيف جياد، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد 77، ج 3، 2024.

المطلب الأول

ترتيب الأسماء

يُعَدُّ الترتيب خطوة رئيسة لا يمكن الاستغناء عنها في عملية تأليف المعاجم، إذ يُمثّل هذا النظام الأساس الذي يعتمد عليه صانع المعجم ويلتزم به بدقة في تنظيم محتوى معجمه لضمان سهولة الوصول إلى المعلومات واستيعابها، ويتخذ الترتيب في المعاجم أسلوباً منهجياً يتبع قواعد واضحة وتقنيات محددة لتوحيد الجهد وتيسير استعمال المعجم من قبل القارئ والباحث.

ولقد تجلّت عناية الصغاني البالغة بمعجم "الصحاح" الجوهري، إذ أولاه اهتمامًا استثنائيًا عن طريق الدراسة المتأنية والبحث الدقيق والتصحيح الشامل، وقد نتج عن هذا الاهتمام إخراج كتابه المعروف بعنوان "التكملة والذيل والصلة"، الذي كان بمنزلة ثمرة لجهوده الكبيرة في هذا المجال. وبعد ذلك، جاء عمل آخر بعنوان "مجمع البحرين"، الذي واصل فيه مسيرته المعجمية، ومع ذلك بقيت لديه الرغبة في تقديم معجم مخصوص يحمل بصمته الشخصية ويمثل فكرته المستقلة، فكان ميلاده عِبر تأليف كتاب "العباب الزاخر"، وقد وضع أمام عينيه هدفًا واضحًا يتمثل في جمع الصحيح والمعتبر فقط من لغة العرب، عل وفق ما أشار إليه في مقدمة معجمه، فقد عبّر عن رغبته في صياغة كتاب شامل لمفردات اللغة العربية، إذ يوحِّد متفرقاتها ويجمع شواهدها البارزة والنادرة، ويتضمن مختلف تراكيبها من البسيط إلى المعقد، مع الالتزام بإحصاء كل مفردة صغيرة كانت أم كبيرة، باستثناء ما يُهمل ولا يُعتد به، وبهذا الطموح الشمولي، كوّن "العباب الزاخر" إنجازًا علميًا واضحًا يفضي إلى شغف الصغاني بلغة العرب.[1]

(1) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري : 1/ 216- 218.

لقد اتبع الصغاني في معجمه "العباب" نظام مدرسة القافية أو المدرسة القائمة على الترتيب الهجائي، والذي يشير بتأثر واضح إلى نظام الجوهري في معجمه "تاج اللغة وصحاح العربية"، وينماز هذا النظام بأنّه منهجية حديثة تقوم على ترتيب المواد على وفق الحروف الأبجدية، مع اعتماد مخصوص على ترتيب الكلمات بناءً على الحرف الأصلي الأخير منها، بدلاً من الحرف الأول، مما يضيف عناصر تنظيمية جديدة.[1]

وفي هذا السياق، يُقسم ترتيب الكلمات إلى أبواب وفصول؛ إذ يُخصِّص الباب للحرف الأخير من الكلمة (الحرف الأصلي الأخير)، بينما يُخصص الفصل للحرف الأول، ويُعدُّ مثالًا على ذلك "باب الهمزة، فصل الهمزة"، وبهذا، رتب الصغاني معجمه بطريقة مبتكرة تعتمد على الحروف الهجائية مع اعتبار آخر حرف في الكلمة كمرجع أساسي في تصنيف الأبواب، متبعًا بذلك أسلوبًا مميزًا يسهل الوصول إلى المفردات بطريقة أكثر منهجية ودقة.[2]

وقد بلغ عدد فصول باب الهمزة ثمانية وعشرين فصلًا، متناظرة مع عدد حروف المعجم، وقد عرضهذا الباب الكلمات التي تنتهي بهمزة، مثل: أجأ، بأبأ، تأتأ، ثأثأ، وهكذا حتى يصل إلى كلمة يرنأ، وهي الكلمة الأخيرة التي يختتم بها باب الهمزة. والتزم الصغاني في تنظيمه للمواد اللغوية، بعد تصنيفها حسب الأبواب والفصول، بمراعاة الحرف الثاني والثالث، إذمنح الأولوية لترتيب الكلمات وفق هذه القاعدة، وقدّم الكلمات التي تستحق التقديم بناءً على هذا النهج، فعلى سبيل المثال، جعل كلمة "أجأ" تسبق "أزأ" ضمن فصل الهمزة، وكذلك قدم "حبطأ" على "حتأ" في فصل الحاء.[3] واتبع "الصغاني" في ترتيبه – بعد الباب والفصل – التصنيف حسب الحرف

(1) المعجمات العربية، الرديني : 80، و ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري : 130.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 21.

(3)العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 21، 39.

الثاني والثالث، مع تقديم ما يستحق التقديم، فقد قدّم – على سبيل المثال – كلمة "أجأ" على "أزأ" في فصل الهمزة، و"حبطأ" على "حتأ" في فصل الحاء.[1]

والتزم الصغاني في تقديم مواد معجمه وشرحها بمنهجية دقيقة تعتمد على ضبط الكلمات بالحركات، إذكان يركز على توضيح الكلمات التي قد تلتبس على قارئ المعجم، مما يسهم في تسهيل فهم المعاني وتقليل احتمالات الخطأ أثناء القراءة أو التفسير، إذقال في مادة (جاجاً): "... والاسم منه الجيء بالكسر".[2]

وقال في مادة (جبأ): "والجُبّأ بضم الجيم: الجبان"،[3] وقال: " والجُبَّاء: بالضم والمد والتشديد [4]"

ومن أبرز الأمثلة التي ذُكرت حول الاستعمال الشاذ والغير المألوف قوله: "ضنا: ضنات المرأة: كثر ولدها وضنا المال وضنِئ: كثر، الضَّنء: الولد، الضنء: الأصل والمعدن واضطناتُ: اسْتَحْيَيْتُ، والتركيب يدل إما على أصل وإما على نتاج، وقد شدّ منه اضطناً أي استحيا".[5]

إن المادة المعالجة هي: ضنا، وأما استعمالاتها فقد حصرها في: "ضنات المرأة: كثر ولدها، وضنا المال: كثر، والضنء: الولد، والضنء: الأصل والمعدن، واضطنات: استحييت.

ثم بيَّن المعنيين الاشتقاقيين لهذه المادة، وهما: الجذر والأثر الناتج.

---

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 21/1، 39.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 26/1.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 1/ 31.

(4) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 32/1.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 1/ 81.

وبالنسبة إلى الاستعمال الشاذ، فقد ركّز منهجية حصره واختزاله في العبارة التي يقول فيها: "وقد شذّ منه اضطناً أي استحيا".[1]

كان الصغاني عند تقديمه محتوى معجمه يركّز على التمييز بين الأفعال الثلاثية المجردة ومشتقاتها المختلفة، فقد أعطى الأولوية للأفعال الثلاثية المجردة ومشتقاتها بشكل واضح ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأفعال المزيدة، إذ ربط بين كل فعل منها ومشتقاته المختلفة [5].

وعلى سبيل المثال، في شرحه كلمة "بذأ"، يقول: "بذأت الرجل بذاءً إذا رأيت منه حالة كرهتها... وباذأته مباذأة وبذاءً: فاحشته"،[2] كما يتَّبع الأسلوب نفسه مع كلمة "برأ"، إذيبدأ بالإشارة إلى الفعل المجرد ومشتقاته، قائلاً: "تقول: برئت إليك من كذا" حتى قوله: "وبرأ الله الخلق برء"،[3] وبعد ذلك، يذكر مشتقات الفعل، ثم ينتقل إلى الأفعال المزيدة، ويستعمل أمثلة توضيحية مثل: "أبرأته مما لي عليه وبرأته تبرئة... وبارأت شريكي إذا فارقته، وبارأ الرجل امرأته، واستبرأت الجارية واستبرأت ما عندك".

واعتمد الصغاني في تقديم محتوى معجمه وشرحه طريقة دقيقة لضبط الكلمات باستعمال الحركات، إذ عمل على توضيح الكلمات التي قد يلتبس معناها أو نطقها على قارئ المعجم، وعلى سبيل المثال، في مادة "جأجأ"، أشار إلى أنَّ الاسم منها يُنطق بكسر الجيم، وفي مادة "جبأ"، بيَّن أنها تُنطق بضم الجيم لتدل على الجبان، و أوضح في مواضع أُخر طريقة النطق بدقة مضيفًا الضبط المطلوب لتجنب أي لبس في القراءة أو الفهم.

---

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1/ 81.

(2)العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 24، و ينظر : لسان العرب ، ابن منظور:239.

(3) لسان العرب، ابن منظور: 239.

وذكر الصغاني بعض أسماء الشخصيات في معجمه "العباب الزاخر واللباب الفاخر" مثل: "إدريس النبيّ صلوات الله عليه، قيل: سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب الله عز وجل، واسمه أخنوخ، وقال الصغاني: هذا قول من يرمي الكلام على عواهنه، ويقول ما خيلت كما يقولون إبليس من أبس من رحمة الله، وإدريس لا يعرف اشتقاقه، فإن الاشتقاق لما يكون عربيا وإدريس ليس بعربي ولهذا لا ينصرف، وفيه العجمة والتعريف، ويقال في اسمه أخنوخ أيضًا، وفي كتب النسب: اخنوخ بحاء مهملة محققة" [1] ،فالصغاني يُظهِر، عِبر اشتقاق لفظ إدريس، موقفًا واضحًا وحازمًا تجاه ما يتم تداوله في هذه القضايا، فهو يرفض قبول الادعاءات التي تُطلق في تصحيح الأغاني أو قبولها بوصفها مرجعا لأي موضوع يتصل بكتاب الله تعالى ومفاهيمه الكبرى، وتعتمد رؤيته على منطق صريح ونقاش دقيق يتماشى و أصول اللغة العربية، إذ يسعى دائمًا للتفحُّص والعودة إلى الاشتقاقات اللغوية والبحث العميق في المعاني قبل إصدار أي حكم أو تبني أي رأي، وأوضح في مادة "ذرأ" قائلاً: ومِلح ذَرَآني بتحريك الراء أو تسكينها.

وإذا كانت الكلمة تحمل بداخلها تعددًا في اللغات أو لهجات مختلفة، فإنه يشير إلى ذلك بشكل مباشر بوصفه نوعا من التوضيح، ومثال على ذلك يمكن لحاظ ما قاله في كلمة "حمأ"، إذأوضح السياق وأشار إلى وجود أربع لغات مختلفة مرتبطة بها، مستعرضًا تفاصيلات هذه اللهجات أو التنويعات التي قد تنتمي لمناطق أو أساليب نطق متنوعة، ثم يمضي في تحديد هذه اللغات واحدة بعد الأُخر، ما يدلّ على عنايته بالنقل الدقيق ويبيّن مقدار اهتمامه بالتفرقة بَين التنوعات اللغوية وتوثيقها بشكل منهجي.

أولاً: ترتيب الألفاظ: اللفظ هو قدرة الكلمة الواحدة على حمل أكثر من معنى واحد، وهو ما يعرف بالدلالة المتعددة للكلمات، على وفق التعريف الشيء في الاستعمال اللغة، فإن هذا

(1) الصغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر : 153.

يشير إلى الحالة التي يكون فيها اللفظ الواحد المستعمل قادراً على الإشارة إلى معاني متعددة وذلك بناءً على السياق الذي يتم فيه استعمال الكلمة، وبعبارة أُخر، تكون الكلمة مرنة في معانيها بإذنُمكّن السامع أو القارئ من استنتاج المقصود الحقيقي عبر الاعتماد على السياق المحيط بالكلمة سواء أكان نصياً أم موقفياً، ويعتمد هذا النوع من الغموض اللغوي غالباً على ثقافة المستعمل وقدرته على التفريق بين الدلالات المختلفة بناءً على ما يحيط بالاستعمال من سياقات وظروف.[1] ويحاول العلماء والباحثون في مجال اللغة العربية غالبًا تتبع الروابط المشتركة بين الكلمات المتشابهة في المعنى، وربطها جميعًا بجذرٍ لغوي أو معنى أصلي واحد، وفي هذا السياق، نجد أن هناك اجتهادات بارزة قام بها بعض علماء اللغة في توضيح الفروق واستعمال ات هذه الكلمات على وفق الهجات القبائل العربية المختلفة، وعلى سبيل المثال، نجد كلمة "الضبس"، فعند قبيلة قيس تأتي بمعنى "الباهية"، أي من يتميز بالدهاء والمكر والحيلة، بينما عند قبيلة تميم اكتسبت هذه الكلمة معنى مختلفًا، إذتشير إلى "الختاع"، بمعنى المبالغة في الخداع والمراوغة.[2] ومن الواضح أن تلك المعاني تعتمد على اللهجة القبلية والسياق الثقافي والاجتماعي لكل قبيلة، ولكن يمكن لحاظ وجود رابط مشترك بين المعنيين، إذ يبدو أنَّ كلا الكلمتين تجمعهما فكرة "المكر" بعيدا عن اختلاف درجة التعقيد أو نطاق التطبيق.

وعند الصغاني، تتمسك الكلمة بمعناها العام الذي يوصف الشخص بالمكر عامةً وقدرته على التخطيط بخداع وذكاء، أما عند تميم، فنجد دلالة الكلمة تنحصر بشكل أدق في المجال الذي يخصّ الخداع والتضليل الموجَّه مباشرةً ضد الأعداء أو منافسين محددين.

(1) المزهر في علوم اللغة وانواعها ، السيوطي : 1/ 369.

(2) لسان العرب، ابن منظور : 1 / 341.

وهذا التنوع اللغوي يفضي إلى ثراء اللغة العربية القديمة، إذ تتيح الكلمات تحولات وتفرعات في المعنى من ضمن السياق القبلي والجغرافي، لتظهر معاني دقيقة وشاملة تتناسب و حال الناس وظروفهم في مختلف الأوساط.[1] وعلى سبيل المثال، في حالة اسم مركب مثل "عبد مناف"، نجد بعض العلماء يميلون إلى النسبة للمضاف إليه، أي الاسم الثاني، مثلما يقولون "منافيّ"، بينما على وفق القواعد القياسية، يتوجب النسبة إلى الاسم الأول، وهو "عبد"، ليقال "عبديّ". هذا الاختلاف في التطبيق ينبع من محاولات لتفادي الالتباس وتيسير الاستعمال اللغوي.[2]

وقد أشار الصغاني، إلى أن النسبة في مثل هذه الحالات عادة ما تعتمد على الأصول القياسية للنسبة، إلا أنَّ هناك بعض التعديلات التي اعتمدها العلماء للتيسير والتوضيح، إذعدلوا عن القياس في مواضع لتجنب الالتباس الذي قد يصاحب النسبة القياسية. ويمكن تصنيف الكلمات من إذمعناها إلى فئات مختلفة يفضي إلى العمليات اللغوية التي تؤدي إلى تغيّر المعاني أو تحولها على المقدار الزمني أو السياقي، و أبرز هذه التحولات تأتي ظاهرة الانتقال بين حالة التوسع والتضييق في المعنى، إذ يصبح المعنى السابق مُحاطاً بتطبيقات أوسع أو مقيّدًا باستعمالات أضيق، وفي أغلب الأحيان، تأتي هذه التحولات بفعل التطور اللغوي الطبيعي الذي يحدث نتيجة عوامل متعددة كالسياق الاجتماعي والثقافي، وما ينشأ عنه من تغيير يسهم في إعادة صياغة الاستعمالات التقليدية أو توسيعها من ضمن إطار جديد يتناسب و الاحتياجات المستجدة للمتحدثين.[3]

(1) ينظر : لغات قيس ، محمد أحمد سعيد العمري : 347.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 618.

(3) جون، فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص : 231.

فمفهوم التدقيق في اللغة يتعلق بالتوسيع والتخصيص في معاني الكلمات، وهو أمر شائع في الاستعمالات اللغوية المختلفة، وعلى سبيل المثال، يمكن أخذ كلمة معينة تشير إلى معنى عام وكبير، ومن ثم تضييق استعمالها لتدل على معنى مخصوص ومحدد على وفق السياق أو البيئة الثقافية، وهذا ما يظهر في حالات كثيرة، مثل إطلاق اسم الوردة على جميع أنواع الزهور بشكل عام، أو الإشارة إلى نوع معين فقط من الأزهار في سياق محدد للتخصيص. وبالمثل، يمكن لحاظ التعميم، كما هو الحال عند استعمال كلمة "البأس"، التي في الأصل تحمل معنى الشدة أو الحرب، ويتم عبر التعميم توسيع معناها لتشمل كل أنواع الشدة والضيق، ويمضي هذا النوع من اسلوب الاستعمال الدلالي في النصوص الأدبية واللغوية ليقدم لنا طرائق مختلفة لإعادة تحديد المفاهيم وتوسيع أو تقليص مدلولاتها بحسب الحاجة والصورة التي تستدعيها الكلمات. [1]

وهذه التحولات تسلط الضوء على تنوع اللغة وثرائها، إذيمكن تكييف الكلمات لاستيعاب معانٍ متعددة وإضفاء بعد إضافي على التعبير اللغوي، مما يدل على مرونة اللغة واستجابتها للسياقات الاجتماعية والثقافية المتغيرة دون أن تفقد جوهرها الرئيس.[2] ولقد وقعت بعض الألفاظ المشتركة بين لهجات اللغة العربية على مرَّ التاريخ، وهي ألفاظ غنية بالمعاني وتظل محفورة في الذاكرة لغناها ودلالتها، رغم قلتها في الاستعمال الحديث، ومن هذه الألفاظ ما يمكن عدّه جزءًا من تراث لغوي يميز المراحل التاريخية المختلفة لكل منطقة، وعلى سبيل المثال، أشار بعض الباحثين القدماء، كالصغاني، إلى وجود ألفاظ مثل "ذهن السليم" التي ارتبطت بلغات القبائل اليمنية في التقاليد العربية القديمة، وقد نسب الصغاني ذلك إلى أهل اليمن الذين تميزوا

(1) جون، فندريس، اللغة : 257.

(2) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب : 197.

بطبقة لغوية تختلف في جوانب معينة عن باقي المناطق.[1] وفي هذا السياق تحديدًا، ذكر الجوهري وأكد النسبة نفسها ، مع الحرص على عدم انكار اصالتها ، متقصيا بذلك الخط العام لدراسة هذه الألفاظ ورصد جذورها، وقد عارض هذا الرأي آخرون مثل ابن منظور، الذي رأى فيها اختلافًا وليس توافقًا تامًا داخل نطاق العربية الواحدة، أما ابن دريد وابن فارس، فقد نظرا إلى استعمال تلك الألفاظ بوصفها جزءا من التنوع اللغوي الغني داخل اللغة العربية نفسها، مشيرين إلى أنها تمثل جزءًا محددًا من لغة اليمنيين قديمًا.[2]

أما التصنيفات اللغوية الأُخر، فقد رأت تلك الألفاظ بوصفها جزءًا من الاختلاف الإقليمي الذي يظهر في مناطق معينة، مما يظهر التنوع الثقافي واللغوي للعرب آنذاك ، ومن ثمَّ تعدُّ هذه التحليلات جزءًا من الجهود المبذولة لفهم عمق اللغة العربية وتنوعها في مختلف عصورها ومناطقها الجغرافية.

ونجد معنى كلمة "السليط" تتباين على وفق السياق والبيئة اللغوية المستعملة، فهي كلمة ذات جذور فصيحة في اللغة العربية، وفي أحد المعاني الشائعة، ترتبط الكلمة بالزيت أو الدهن، إذتُطلق أحيانًا للإشارة إلى نوع معين من الزيت أو الدهن السائل المميز، ومع ذلك نجد أن استعمالها يختلف من منطقة إلى أُخر حسب اللهجات المحلية والعادات الثقافية ، وعلى سبيل المثال، في بعض القبائل العربية، ولا سيما بين أهل اليمن، اكتسبت الكلمة دلالة أكثر تخصصًا غالبًا للإشارة إلى نوع محدد من الزيوت التي يستعملونها في حياتهم اليومية أو في الطهي، وهذا يشير إلى ارتباط الكلمة بعاداتهم وتقاليدهم التي تخصهم تؤثر على معاني الكلمات وتطور استعمالاتها.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 88.

(2) الصحاح، الجوهري : 1134/3.

أما بالنسبة للاستعمال الفصيح العام، فقد بقيت الكلمة تحمل مفهومًا عامًا للإشارة إلى الزيت أو الدهن دون تخصيص كبير، ومع ذلك، يظل هناك اختلاف بين اللهجات وبين القبائل في مقدار دلالة معاني الكلمة وأساليب استعمالها، مما يدل على ثراء اللغة العربية وتنوعها بين المناطق ، وكان الصغاني من بين المعترضين على ما أورده ابن دريد، إذ ذكر بعضهم أنَّ أهل مكة كانوا على رأي مغاير تماماً لما نسب إليه من قول، وهؤلاء وجدوا في رواياتهم واستفساراتهم تفسيراً آخر يختلف في المحتوى والمراد، وهذا الاختلاف المتباين فتح مساحة للنقاش العلمي والتاريخي في مقدار صحة الرواية وأبعادها الثقافية والجغرافية.[1] فضلا على ذلك ، أشار الرواة إلى أن سكان تهامة واليمن قد اتخذوا مواقف تنطلق من تفصيلات دقيقة ترتبط بعاداتهم اللغوية والاجتماعية والتاريخية. هذه القضايا التي عرضت للتحليل والتأويل بين الطرفين جعلت من النقاش ساحة مفتوحة للتفكير الناقد.

ثانياً: ترتيب المعاني:

يُعدُّ المعنى جانبا اساسيا في دراسة اللغة إذيهتم بالإشارة إلى العلاقة بين الكلمات التي تتشابه أو تتطابق في المعنى، وينقسم التَرادف عادة إلى نوعين رئيسين: **النوع الأول** هو التَرادف التام، الذي يُعرّف على أنه التطابق الكامل بين مفردتين في معناهما إذ يمكن استبدال إحداهما بالأُخر دون أن يتأثر السياق أو المعنى، ومع ذلك يُعدّ هذا النوع من التَرادف نادر الحدوث في اللغة إذ يكاد يتعذّر إيجاد حالتين من التطابق التام بين الكلمات، وستيفن أولمان، أحد أبرز علماء اللغة، يشير إلى أن وجود هذا النوع من التَرادف قد يكون أقرب إلى الاستثناء وليس القاعدة، إذ إنّ اللغة بطبيعتها تميل إلى التنويع والإثراء بدلاً من التكرار الجامد. [2]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر ،الصغاني : 88.

(2) دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفين : 97.

أما **النوع الثاني** فهو التَرادف الجزئي، وهو الأكثر شيوعًا في الاستعمال اللغوي، ويشمل هذا النوع الكلمات التي تتقارب في المعنى لكنها تحمل فروقًا دقيقة تمنحها استعمالات أو دلالات معينة تختلف بحسب السياق، ويُظهر هذا النوع من التَرادف مقدار غنى اللغة ومرونتها في التعبير؛ إذ يمكن أن تعبّر الكلمة عن دلالات معنوية إضافية تختلف على وفق السياق أو النبرة التي يتم استعمالها فيها.[1]

وفي ضوء تقدّم يظهر مفهوم الترادف أهمية الفهم الدقيق للكلمات ودلالاتها المتعددة لتجنب الخلط بينها وضمان إيصال المعاني بشكل واضح ومحدد ، ومن ثمَّ فإنَّ دراسة التَرادف ليست فقط جسرًا لفهم اللغة فقط ، بل هي وسيلة لفهم طبيعة التفكير الإنساني نفسه وكيفية التعبير عن التجارب والخبرات بأسلوب غني ودقيق.

مع اختلاف القبائل واختلاط الأقوام، فإنَّ تفسير هذه الظاهرة اللغوية يشير إلى: إذا كثرت الألفاظ المختلفة التي تشير إلى معنى واحد، وتم سماعها في لغة شخص واحد، فمن المرجَّح أن تكون تلك الألفاظ قد نشأت من تأثير التعدد القبلي أو البيئي، فالقبيلة الواحدة لا يمكن أن تتوافق على استعمال مجموعة متنوعة من الألفاظ للدلالة على المعنى نفسه بشكل عشوائي، بل ينتج ذلك عن تباين الاختلاطات البشرية.

أما الاحتمال الآخر، وهو تعدد الألفاظ لمعنى مشترك، كما يظهر في أسماء الأسد والخمر وما شابه ذلك في بعض القبائل، فهو أمر جائز ومقبول على وفق وجه تحليل القياس، فحين

(1) ينظر : في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس : 211، 212.

تكثر الألفاظ التي تعبِّر عن فكرة واحدة، يؤدي ذلك إلى لغات متعددة لجماعات اجتمعت في بيئة واحدة، إذ تستوعب لغة الفرد تلك التأثيرات المتنوعة القادمة من كل جهة.[1]

ومما أفاد الصغاني عن الترادف فانَّه يُعدّ معنى الكلمة في هذا السياق، كما ورد عند بعض المؤلفين البارعين في هذا المجال، مرتبطًا بكلمة "الكرب" أو "القَد"، ويكتسب هذا اللفظ المزيد من التعقيد والتنوع عندما يتم ربطه بعدة مصطلحات مختلفة تشير إليه بعدة أساليب، فقد ذكر ابن دريد في كتابه أن هذه الكلمة تظهر بشكل معقد في أصولها الفارسية، مما يضيف للموضوع عمقًا ثقافيًا، ويشار إلى" الكرب "في الأدب الأزداني بوصف محدد له من قبل ابن دريد إذ يصفه بأسلوبه الفذ، و إن هناك مصطلحات أُخر تستعمل لتسمية الظاهرة نفسها، لكنها قد تختلف قليلاً في تفاصيلها وتفاسيرها، مما يؤدي إلى تعدد الأوجه في داخل الأدب اللغوي في توثيق المسائل الإنسانية مثل الكرب والضيق.

على وفق ما جاء به الصغاني، فلقد أثارت عبارة "السيوف الحنيفية" الانتباه وأصبحت محطّ تساؤلات كثيرة عن أصولها ودلالاتها، فيلحظ أنّ هذه العبارة تُنسب إلى الأحناف من جهة تعريفها واتصالها بالأحنف بن قيس، الذي يرمز إلى صفة الاستقامة والعدل في الفكر العربي القديم، و يظهر ذلك في استعمالها الإشارة إلى قيمة ثابتة ومبدئية تفضي إلى القوة والنُبل في آنٍ واحد.[2]

---

(1) الخصائص، ابن جني : 1 / 373.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : الفاء، 117، لقد جاء في العباب قول الليث (السيوف الحنفية)، وجاء في المعجمات الأخرى، مثل تهذيب اللغة، واللسان، وتاج العروس، والقاموس المحيط، قول الليث نفسه: (السيوف الحنيفية)، فقد يكون ذلك خطأ في نسخة العباب.

المطلب الثاني

البدء بالفعل الماضي المجرد مع ذكر الباب الصرفي

ينقسم الفعل من حيث الزمن على ثلاثة أقسام رئيسة، وهي الماضي، الذي يشير إلى الأفعال التي حدثت واكتمل وقوعها في وقت سابق، والمضارع، الذي يدل على الأفعال التي تحدث في الوقت الحاضر أو تستمر في الحدوث وربما تمتد إلى المستقبل، وأخيرًا الأمر، الذي يستعمل للتعبير عن الطلب أو التوجيه لإحداث فعل معين في المستقبل.

الفعل الماضي:

هو كل ما يُشير إلى حدث وقع في زمن مضى وانتهى، مثل: ظهرت النتيجة، وفاز صديقي، وينماز الفعل الماضي بقدرته على قبول إحدى التاءين (تاء الفاعل وتاء التأنيث)، مما يميزه عن غيره من الأفعال الأُخر في اللغة العربية، وعلامة الماضي أن يقبل إحدى التاءين:

تاء الفاعل: كما في قول الشاعر:

قد تسربت في مسامات جلدي مثل قطرة الندى تتسرب

منذ أحببت الشموس استدارت والسموات صرن أنقى وأرحب

تاء التأنيث الساكنة: كما في قول الشاعر:

أنت التي نسيت تراتيل المنى علوية الأصداء من حلق ندى

كفرت بدين الشوق وهي بلا هوى همل وحرمان ومحض تبلد

وتُحرَّك تاء التأنيث بحركة الكسرة لتجنب التقاء الساكنين الذي قد يؤدي إلى صعوبة في النطق والتداخل الصوتي، وهذا التحريك يهدف إلى تحقيق سلاسة في النطق واستقامة في البناء اللغوي، مما يسهم في تحسين الإبانة وتحقيق وضوح المعنى في الكلمة أو العبارة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾. (سورة يوسف، الآية 31) وتُفتح (التاء) إذا وُقعت عليها علامة التثنية، إذ إنّها تدخل في سياق الجملة لتدل على المثنى باستعمال الألف لأنها الأصل في حركة التثنية، وهذا يأتي بوصفه جزءا من قواعد اللغة التي تهدف إلى الإشارة إلى العدد وتحديده، مما يمنح الكلمة وضوحًا ودقة في التعبير عن المعنى المقصود في السياق اللغوي، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. (سورة فصلت، الآية 11)

ونص الصغاني: "هيت" هيت لكْ، هاتا لك مثل هيت لك:

والنص الذي يعبّر عن هذه الظاهرة في معجم العباب "طَلَعَتِ الشَّمْسُ"، وطلع الكَوكَبُ طُلُوعاً ومَطْلِعاً ومطلعاً، والمطَّلِعُ طلع أيضاً: موضع الطَّلُوعِ" ويمكن تفسيره على النحو الآتي : عندما تُذكر الأفعال المتعلقة بطلوع الأجسام السماوية، مثل الشمس أو الكواكب، يُشار إلى العملية بعبارات متعدّدة تحمل معاني دقيقة، فنقول طلعت الشمس للدلالة على لحظة بزوغها من الأفق، كما نقول طلع الكوكب للإشارة إلى ظهور جرم سماوي في السماء، وتستعمل مصطلحات مثل طلوع للإشارة إلى الفعل نفسه، ومطلع كاسم يُعبّر عن الزمن أو الموضع الذي يتمَّ فيه هذا الطلوع، أما المطَّلِعُ، فهو أيضًا يدل على الموضع الذي منه تنبعث أو تظهر هذه الأجسام، وهو تعبير يحمل بعدًا مكانيًا وفلكيًا يُظهر ارتباط حركة الأجرام السماوية بالمفهوم اللغوي المرتبط بها.[1]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 88.

أولاً: المجرد الثلاثي:

يأتي الفعل الثلاثي المجرد في اللغة العربية على ثلاثة أوزان رئيسية تعتمد على حركة عين الفعل في الماضي، وهذه الأوزان هي: "فَعَل" بفتح العين، و"فَعِل" بكسرها، و"فَعُل" بضمها، وكل من هذه الأوزان يحكمها تقسيم استقرائي يحدد حركة عين الفعل في صيغة المضارع، إذ نجد عين الفعل تكون إما مفتوحة، أو مضمومة، أو مكسورة في هذه الصيغة.

وقد حاول علماء الصرف بذل أقصى ما بوسعهم لتقريب هذه القواعد النحوية والصرفية إلى أذهان المتعلمين، مستعينين بمختلف الأساليب والطرائق التوضيحية لتسهيل عملية الفهم والاستيعاب، ومع ذلك، تبقى هذه القواعد غير شاملة أو مطلقة، إذ لا يمكن عدّها قواعد جامعة تمنع كل احتمال للخطأ في التطبيق، ومن تلك الأمثلة تتجلى حدود هذه القواعد في قدرتها على تغطية كل الحالات اللغوية المعقدة والمتشعبة، ومن ذلك:

1_ باب فعَل يفعُل: عند فتح العين في الماضي، قد ترى تلك اللحظات التي شكلت جزءاً من ذكرياتك، سواء أكانت ممتلئة بالسعادة أم محفوفة بالتحديات، أما عند ضمها في المضارع، فإنك تحتفظ بتلك التجارب في عمق داخلك، مستفيداً منها بوصفها وسيلة لرسم الحاضر وربما التخطيط للمستقبل، فإن هذه العملية بين الماضي والمضارع تُكوّن جسراً يربط الزمنين معاً، ليصبح الحاضر انعكاساً غنياً بالمواقف والدروس التي اكتسبتها سابقاً.

و أورد الصغاني المثال على ذلك في معجمه في باب النون "نفح" نفح بشيء يعني أعطاه وأهداه بكرم وسخاء، ويُقال: لا تزال لفلان نفحات من المعروف،[1] أي إنَّ فلاناً مستمر في تقديم أفعال الخير والإحسان.

(1) لم يفسره، وفي لسان العرب، أي دفعات.

وقال الرماح بن ميادة، وميادة أمه واسم أبيه أبرد، يمدح الوليد بن يزيد:

لما أتيتك من نجد وساكنه نفحت لي نفحة طارت بها العرب.[1]

ويظهر في الأجوف الواوي كما في: قال يقول، ساد يسود، عاد يعود، راح يروح، صام يصوم، سام يسوم، باح يبوح، ناح ينوح ، و يظهر في الناقص الواوي، كما في الأمثلة الآتية: دعا يدعو، رنا يرنُو، سهَا يسهُو، قفا يقفُو، عدا يعدُو، صفا يصفُو، سخا يسخُو. وكذلك المضعف المتعدي يظهر في استعمالات مثل: يشدُّه – يحلّه، إذتعني يشد الحبل أو يربطه بقوة، أو يحل المشكلة ويسعى لفكها، بمعنى أنَّ الفعل يأخذ طابعًا مزدوجًا من القوة والقدرة على التأثير في المحيط سواء بالشد أو الحلّ ، و استعملوه في باب المبالغة، مثل: "ضاربني فضربته حتى أضرُبه"، و"كابرني فكَبّرته حتى أكهله"، و"فاضلني ففضّلته حتى أفضُله".

والذي يبدو ، إذا كانت عين الكلمة أو لامها تحتوي على أحد أصوات الحلق، فلا يُلزم استعمال ها بطريق واحد فقط؛ كما هو الحال في الأمثلة المتعلقة بتلك الفئة الصوتية، فعلى سبيل المثال، نجد هناك أفعالًا من "فاهِمَني" التي تنقل إلى صيغة الماضي الموسعة: "ففَهِمتُهُ"، ثم إلى صيغة التفعيل: "أفْهَمَه"، و الأمر نفسه ينطبق على "فاقِهَني"، إذتتحول إلى "ففَقِهتُهُ"، ومنها إلى: "أفْقَهَهُ". [2]

ومع ذلك، يُرجّح أن الحقيقة ترتبط بمرونة استعمال هذه الأصوات في سياقات مختلفة، دون الالتزام بنمط نحوي أو صرفي ثابت، إنَّ ما يتصل بحروف الحلق لا يُشترط أن يخضع للقواعد المعتادة التي ترتبط بأحوال أُخر، مثل الأفعال الواوية أو تلك التي تحمل صفات

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 2/ 95.

(2) همع الهوامع، السيوطي : 163، و ينظر : المزهر: 2 /38.

الأجوف والناقص اليائي، أما في ما يخص هذا الرأي، فقد أخذ به عدد من النحاة واللغويين غير المتقيدين بالتفاصيلات المألوفة الصرفية المتعارف عليها.[1]

2_ باب فَعَل يفعِل: كانت العين في الماضي تحمل في طياتها تعبيرات مليئة بالحيوية والوضوح، مثل نافذة مفتوحة تنقل بصدق المشاعر والأفكار، وعُرفت بقدرتها على التحدث دون كلمات، ورواية قصص لا تنتهي عن القوة الداخلية والشغف الذي ينبض بالحياة.

يعرض هذا الباب الأفعال التي تأتي في صيغة "الأجوف اليائي"، وهي تلك التي تأتي فيها عين الفعل المتوسطة حرف ياء بصورة مطلقة، ويمكن ملاحظة هذا النمط في أمثلة عديدة تعكس هذه القاعدة الصرفية، مثل: "باع يبيع" إذيتمركز الحرف الأوسط كـ"ياء"، وكذلك "هام يهيم" الذي ينتمي أيضًا إلى نفس النمط، ومن بين الأمثلة الأُخر التي توضح هذا البناء: "عاش يعيش"، إذتتحول العين إلى "ياء" عند التصريف، وكذلك "شاب يشيب"، و"ضاع يضيع"، ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل نشهد ذات القاعدة في أفعال أُخر مثل: "سال يسيل" و"سار يسير"، مما يُظهر مقدار انتشار هذا التركيب الصرفي في اللغة العربية.

وبهذا التوضيح، تساعد دراسة هذه الأفعال على فهم أعمق للبنية اللغوية وتوسيع الإدراك لاستعمالاتها في مختلف السياقات.[2] "لقد تم استعمال اللغتين السابقتين في صياغة الكثير من الألفاظ التي تتضمن بناءها على ضم حرف "العين" في المضارع، مثل الكلمات: يَعْرُش، يَنْفُرُ، يَشْتُمُ، يَنْسُلُ، يَعْلُفُ، يَفْسُقُ، يَحْسُدُ، يَلْمُزُ، يَعْتُلُ، يَطْمُثُ، يَقْتُرُ، وتلك الأمثلة تمثل جزءاً من

(1) شرح شافية ابن الحاجب، الرضي : 1/ 71.

(2) همع الهوامع، السيوطي : 2/ 163.

قائمة طويلة من الكلمات التي يظهر اتساعها وثراؤها بوضوح عند الإمعان في الأنماط اللغوية التي تعتمد على هذا الصوغ الصوتي المميز، ويعدُّ هذا النمط من الإبداع اللغوي ثريًا بالمفردات المتناغمة والألفاظ المُتقنة التي تعرض عمق اللغة وقوة الحروف وتأثيرها الصوتي في أداء المعاني المختلفة، وبعيدًا عن الأمثلة المذكورة، هناك عدّة كلمات عدة أُخر يمكن إدراجها في هذا السياق مما يضيف طبقة أُخرى من التعقيد والجمال إلى طبيعة اللغة وثرائها الذي يزداد وضوحًا بتقصي مثل هذه التراكيب الفريدة والمتنوعة".[1]

و أورد الفعل "وقح" الحافر يوصف بالوقاح عندما يكون شديد الصلابة والقوة، والجمع منه يُعرف بـ"وُقح"، وهو مشابه في وزنه لكلمة "وقد"، يقال إن الحافر يوقح وقاحة، وقد تتخذ الكلمة أشكالًا متعددة على وفق السياق، مثل وقوحة، وقحة، أو وقحا بضمتين.[2]

3_ باب فعَل يفعَل: بفتح العين في الماضي والمضارع يُقصد به أنَّ الفعل تُنطق فيه العين مفتوحة في كلا الزمنين، سواء أكان في التصريف الماضي أم المضارع، دون تغيير في الحركة.

تتمحور أفعال هذا الباب حول لأنَّها إما من الأفعال التي تأتي بحلقية العين أو تصنَّف من ضمن الأفعال ذات اللام الحلقية، وتشمل هذه الأفعال مجموعة من الحروف مثل: الهاء، والهمزة، والعين، والغين، والحاء، والخاء، يظهر ذلك بوضوح في أمثلة متعدّدة نذكر منها: الفعل "نهل" الذي يتصرف ليصبح "ينهَل"، و"نهج" الذي يُصاغ في المضارع على "ينهَج"، ونجد أفعالاً أُخر كـ"سأل" الذي يصبح "يسأل"، و"ذهب" الذي يتغير إلى "يَذهَب" في الحاضر.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /167.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 633.

وغالب أفعال هذا الباب تتسم بخصائص محددة، إلا أنَّ هذا لا يعني انعدام وجود أفعال من ضمن هذا الباب تتميز بخروجها عن القاعدة المألوفة، فمنها أفعال لا تنتمي إلى فئة الحلقية سواء أكان في العين أم اللام،[1] مما يظهر في أمثلة مثل: "أبى يأبى"، و"ركن يركن"، وأيضاً "قنط يقنط"، ورغم أن هذه الأفعال تظل في داخل حدود هذا الباب، لا يمكن التغافل عن وجود أفعال حلقية العين أو اللام قد جاءت من أبواب أُخر، كما هو الحال في: "دخل يدخل"، و"رجع يرجع"، و"صبغ يصبغ"، وكذلك "دبغ يدبغ"، وهذه الأمثلة تفضي إلى عمق التنوع الذي تحمله اللغة في بنيتها، وتنبه إلى التشابه الفني الذي قد يُظْهِر علاقة المرونة بين الأحكام الصرفية والأوزان.

وفي معظم الحالات، يتضح أن هذا الباب يعتمد بشكل أساسي على الاستماع، وبمعنى آخر، يتعامل هذا التيسير بطريقة أكثر وضوحًا وسهولة موازنة بالبابين المذكورين آنفاً.

4_ باب فعِل يفعَل: كسر العين في الماضي وفتحها في المضارع يعكس تغيرًا في الوقت أو الحدث والزمن الذي يصف الفعل، وفي الماضي، يكون التركيز على الأحداث التي وقعت وانتهت بالفعل، إذ تكتسب الجملة طابعًا يوحي بما حدث وترك أثرًا دائمًا أو عابرًا، أما حين تُفتح العين في المضارع، فإن المعنى يتحول يعبر عن الحاضر أو استمرار الشيء أو الفعل، مما يظهر صورة حيّة تعطي شعورًا باتصال الحال بالواقع الجاري.

(1) ينظر : همع الهوامع، السيوطي : 2/ 164، وينظر : شرح المفصل، ابن يعيش : 7/ 103.

وإذا كان الفعل الماضي يأتي بصيغة "فَعِلَ" بكسر العين، فإن حركة عين المضارع تأخذ حال الفتح، وهذا يمكن تمييزه عِبر الاختلاف الواضح في حركة العين بين الزمنين الماضي والمضارع.[1]

هذه العلاقات بين حركة العين والزمان تدل على انسجام القواعد الصرفية ودقتها في اللغة.

قال الصغاني: "أعلف الطلح" خرج لعفه، وقال ابن عباد: "علف الطلح تعليفاً إذا نبت علفه، قال: هذا نادر، لأنه إنما يجيء لهذا المعنى أفعل".[2]

لقد عرض الصغاني الفعل المذكور بشكل مشابه لما أورده ابن عبّاد، إذذكره ضمن قائمة الأفعال التي تُعدّ نادرة الاستعمال لهذا المعنى، ويبدو أن توظيف هذا الفعل في هذا السياق يُعدّ غير مألوف أو قليل الحدوث على وفق السياقات اللغوية المُدونة، وقد أكدَّ الصغاني على أنَّ استعماله بهذا المعنى يحتاج إلى التمحيص، مشيرًا إلى ضرورة تصحيحه ليستعمل بصيغة أفعل بدلًا من الصيغة النادرة المذكورة، وهذا ما أشار إليه الصغاني بشكل واضح عند عرضه الفعل وقوله "أعلف الطلح"، مبرزًا بذلك ندرته وداعي المراجعة في استعماله بما يتناسب و الأصول والمحددات اللغوية القياسية.

وهذا الوزن ينماز بتطبيقاته الواسعة في وصف المظاهر والصفات بصورة عامة، فنجد أمثلة على ذلك تجمع بين أوصاف الصفات والأحوال مثل: "شَنِبَ" الذي يعني الثبوت، و"فَلَجَ" الذي يشير إلى اتساع يمكن تصوره، وكذلك الأحوال الشخصية مثل: "أَعْرَى" للشدة والكشف، و"مَرِضَ" للدلالة على المرض المستمر، و"حَزِنَ" الذي يرمز للحزن العميق والدائم.[3] و تتجلى

(1) همع الهوامع ، السيوطي : 2/ 166، وينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبي حيان : 1/ 76.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1/ 456.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /170.

هذه البنية أيضاً في وصف الألوان والحالات الفيزيائية مثل: "شَهِبَ" الذي يشير إلى الاصفرار أو البهتان، و"صَدِئَ" للدلالة على الصدأ أو السطح المعتمد عليه، و"أَدِمَ" الذي قد يُشير إلى السمرة أو لون الجلد الكامن، و"سَوِدَ" بمعنى السواد المطلق، و فضلاً عن ذلك، يستعمل هذا الوزن لوصف خصائص الأعضاء المتغيرة مع النمو مثل: "أَذِنَ" الذي يعني كبر حجم الأذن أو "عَيْنَ" بمعنى زيادة حجم العين.[1] و يُلحظ عند التعامل مع الماضي الأجوف لهذا الباب، إذا كان الحرف الأوسط ألفًا أو واوًا مثل "نَام" (في المضارع "يَنَام") أو "عَوِر" (في المضارع "يَعْوِر")، فإن الشبه في الحركات ينتظم، أما إذا كان الحرف الأوسط ياءً مثل "هَيْف" (في المضارع "يَهْيَف")، فإن التصريف يظهر كذلك بصورة واضحة. و في ما يخصّ الماضي الناقص، إذا كانت نهايته ياءً، فإن مضارعه يأتي بالألف، مثل "غَنِيَ" الذي يكون مضارعه "يَغْنَى".[2]

5_ باب فَعِل يفعِل: كسر العَيْن يتجلى في كل من الماضي والحاضر، إذيحمل معه أثقال الزمن وعبء المشاعر التي لا تزال حاضرة في الذاكرة، إنه انعكاس لتجارب مضت وتركت بصماتها العميقة، وتستمر في رسم ملامح الحاضر، وكأنها تروي قصة لم تنتهِ بعد عن الألم والصبر والانكسار الذي يشكل جزءًا من مسيرة الحياة.

6_ باب فعُل يفعُل: عن كلاهما، تشمل العين الماضي والمضى بصورة متكاملة، مما يعكس اتصال الحاضر بالماضي وتأثيره المستمر على المستقبل.

(1) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الحلبي، الشيخ محمد بن علي الصبان : 4/ 241، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب ، للرضي الاستراباذي : 72/1، وينظر: همع الهوامع، السيوطي : 2/ 161.

(2) ينظر : الرائد الحديث في تصريف الأفعال ، كامل السيد شاهين : 48 بتصرف.

و على وفق لما أورده الصغاني في حديثه عن الصفات الملازمة، فإنه اختار أن يخصص هذا الباب لموضوع يتسم بحيوية وعمق ، إذ يرتكز ذلك على حركة لا تتم إلا بانضمام إحدى الشفتين إلى الأُخرى، وقد أشار إلى تطبيق هذا المفهوم في تصريف الأفعال، سواء في الماضي أو المضارع، مما يكشف ارتباطًا وثيقًا وعضويًا بين الألفاظ ومعانيها، وهذا التوازن بين الشكل اللفظي والمضمون المعنوي يمثل جزءًا رئيساً من تحقيق الدقة والتكامل في التعبير اللغوي، وهو ما يوضّح جمالية اللغة العربية وثراء تصميمها الصوتي والمعنوي.[1] وتمثل أفعال هذا الباب الأوزان والصيغ الآتية: شَرُفَ يشْرُف، عَظُمَ يَعظُم، لَؤُمَ يَلؤُم، ضَعُفَ يَضْعُف، كَرُمَ يَكْرُم، وظَرُفَ يَظْرُف، ويمكن لحاظ أن الأفعال التي تنتمي إلى هذا الباب تُعد أفعالًا لازمة في بنيتها الأصلية، فلا تتعدى إلى المفعول به إلا إذا تضمنّت معنى فعل آخر متعدٍ في استعمالها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول نصَر بن سيّار: "رحُبتك الدار"، إذ تم تضمين فعل "رحُبت" معنى "وسعَت"، وقوله على وفق رواية عن الإمام علي عليه السلام : "إن بشا قدَر طلع اليمن"، إذ أُعطي الفعل "طلع" معنى "بلغ."[2]

في المثال الأول، يُقال إن الجملة في أصلها قد تكون: "رحُبت بك الدار"، إذتم حذف حرف الجر "الباء" بشكل توسعي في التعبير، مما أدى إلى نصب ما بعده على المفعولية المباشرة، وهذا الحذف والتضمين ينمّ عن عملية لغوية دقيقة تظهر جوانب البلاغة في اللغة العربية، إذ يسمح تضمين الأفعال بإظهار معانٍ أُخر تثري النص وتوسعه دلاليًا وتفسيريًا، مع

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 164.

(2) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي : 135/1، وينظر : لسان العرب، ابن منظور: 1 /305، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك : 195.

الاحتفاظ بالمعنى الأصل المقصود.[1] ومن المثير للاهتمام أن نلحظ هذه الأفعال تدل على حالة أو استمرار مثل لَبِثَ ومَكَثَ أو تلك المتعلقة بالحركة كجَرَى، أو الأوصاف المتعلقة بالطبع والشخصية مثل ثَقُلَ وحَلُمَ تُظهر انسجامًا مع هذا النمط، ونجد صفات أُخر تتبع التسلسل الصوتي نفسه ، مثل الأفعال التي نتحدث فيها عن الكرم أو الفجور كقولنا: كَرُمَ وفَحُشَ، و الأمر ذاته ينطبق على صفات تتعلق بالحواس كقولنا: سَمُعَ. [2]

وهذا النمط اللغوي يعكس جمال اللغة العربية ودقتها في ربط الأوزان بالمعاني بطريقة متناغمة تجعل كل تركيب لغوي مُعبِّرًا بدقة عن الحالة المقصودة. فلم يأتِ هذا الوزن الذي تكون فيه العين يائية، ليحل محل الوزن "فَعِل" المكسر العين، وذلك بسبب ثقل الضمة على الياء في أمثلة مثل: طاب يطيب، وفي هذا السياق، نجد التعامل مع الياء يختلف عن الواو، إذ يُقال إنَّ أصله هو "طَوُل"، ومع ذلك، يشذُّ من العين اليائية مثال مثل "هَيُؤَ الشيء" بمعنى حسّنت هيئته، فقد أتى على وزن "فَعُل" بحالة شاذة.

و فضلاً عن ذلك، لم يرد هذا الوزن بوجود يائية في موقع اللام إلا في حالة واحدة وهي كلمة "نَهُوَ" المشتقة من "النُهية"، التي تعني العقل، وأصلها كان "نَهيُ"، ثم قُلبت الياء واوًا بسبب انضمام ما قبلها، و هناك أمثلة أُخر وردت في هذا السياق تتضمن واو اللام، مثل قولهم "سَرُوَ الرجل"، بمعنى أصبح سريعًا، أو "بَهُوَ"، بمعنى صار بهيًا [3]، و قال الأزهري إنّ الكلمة تُعَدُّ

(1) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الحلبي، الشيخ محمد بن علي الصبان: 4 /241، وينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ابو حيان الاندلسي : 1/ 80.

(2) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي : 74/1، وينظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، الحلبي، الشيخ محمد بن علي الصبان : 4/ 242، وشرح المفصل، ابن يعيش : 157/7، 158.

(3) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي: 1/ 76، وينظر : همع الهوامع، السيوطي : 2 /161، والتسهيل، ابن مالك : 195.

شاذة على وفق رأي جميع النحاة ، وهم متفقون على أن التأويل بهذا الوجه ضعيف، وفيما يتعلق بتفسير العبارة على هذا النحو: "هل أنتم مطلعيّ؟" أو "هل أنتم مطّلعوة؟"، بدون استعمال حرف النون، فإنها تُعامل كما تُعامل عبارات مثل: "هل أنتم آمرُوه؟" أو "آمري؟"، أما بخصوص قول الشاعر:

هُمُ القَائِلُونَ الخَيْرَ وَالْآمِرُونَهُ إذا مَا خَشُوا من مُحدث الأمر مُعْظَمَا.[1]

فوجئ الناس باستعمال هذا الأسلوب من الكلام وإعطاء الأوامر به، إذيُعدّ أحد الأمثلة النادرة وغير الشائعة بين أنماط اللغة.[2]

ثانياً: مجرد الرباعي: الرباعي المُجرد يُعدُّ على وزن (فَعْلَلَ)، ويُستَعمل فاعلاً بِصيغتِه المُتَعدية، كَمَا فِي الأمثِلَة الآتِيَة: جَدْحَرَ الطِّفلُ الكَرز، زَلْزَلَ أرْكَانَ العَدُوِّ، بَعْثَرَ العصفورُ الحبَّ، وكَفْكَفَتِ الفتاةُ دموعَهَا.

ومن ذلك ماورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (سورة التكوير، الآية 17) وقوله تعالى : ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ (سورة يوسف، الآية51) ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾. (سورة الشمس، الآية 14) ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾. (سورة الأعراف، الآية 20)

إن صياغة الكلمات على أوزان معينة بغرض الإشارة إلى معاني أو صفات محددة، نجده في أحد الأمثلة المشهورة في صياغة وزن "فعْلَل" من أسماء المعاني، كما في الكلمات: عسعس، عربد، حصحص ووسوس، وهذه الأفعال مصدرها أسماء تعكس الحالة أو الفعل نفسه، مثل

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 83.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 334.

العسعسة، العربدة، الحصحصة، والوسوسة، وعندما تُصرف هذه الأفعال في صيغة المضارع تصبح على وزن "يُفَعْلِل"، مثل: يعسعس ويعربد ويحصحص ويوسوس، مما يكسبها جرسًا مميزًا ومعنى واضحًا.

ولقد أصبح استعمال الأفعال المشتقة من التراكيب اللغوية ظاهرة شائعة، إذيتم نحت هذه الأفعال على وفق تراكيبات معينة تختصر وتحاكي حكايتها بشكل مبتكر، و أحد الأوزان المستعملة لهذا الغرض هو (فعْلل)، مما يعطي اللغة طابعًا حديثًا وديناميكيًا يمكنه أن يعبِّر عن معانٍ معقدة بكلمات بسيطة ومباشرة، ومن ذلك: حوقل المصاب: يعني قولُ "لا حول ولا قوة إلا بالله" إقرارًا بعدم القوة أو القدرة إلا بعون الله تعالى، وهو مختلف عن استعمال كلمة "حول" بمعنى ضعف أو عجز عن القيام بالأمر، كما قد يُفسر أحيانًا بضعفٍ في الهمة أو الجهد. و استماع القادم قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، متمنياً للجميع السلامة والطمأنينة، ومعبراً عن تحيته بكل ودَّ واحترام. و طلب الصديق قائلاً: أطال الله عمرك وبارك في حياتك.[1]

وقد أورد الصغاني في معجمه العباب "الفوطة" وأصلها، يُشير إلى ثياب تُجلب من بلاد السند، وعادة ما تكون مآزر قصيرة وسميكة تستعمل كغطاء أو لباس سفلي، وقد ورد أنَّها كانت تُباع وتُشترى في الأسواق، ولاسيّما في الكوفة، إذكانت مستخدمة بين الناس من مختلف الطبقات—سواء كانوا من الأعيان أو العامة أو الخدم، وكانت تُسمى الوحدة منها "فوطة".

(1) المزهر في علوم اللغة وانواعها، السيوطي : 1 /483، وينظر : الرائد الحديث في تصريف الأفعال : 57، 58.

أما عن النقاش في كلمة عربية الأصل أم دخيلة، فقد أثار الأمر جدلاً بين العلماء ، فهناك من لم يسمع الكلمة من ضمن التراث العربي ، مما جعله يربطها بعجمية المنشأ، وقد أشار ابن دريد إلى أنَّ الفوطة التي يتم ارتداؤها لا تعود بفصاحتها إلى العربية تمامًا[1].)

وأضاف الصغاني توضيحًا آخر، إذ أكد "الفوطة" مصطلح مستعار من اللغة السندية، ويبدو أنَّها خضعت لعملية تعريب ليتماشى لفظها و اللسان العربي، الكلمة في أصلها السندي كانت تنطق "بوته" بضم الباء بشكل خفيف وغير مستطيل.

المطلب الثالث

ترتيب الأفعال المزيدة

من الأحرف التي تبقى ملازمة للكلمة في جميع التصريفات، وتكاد لا تفارقها إلا في حالات نادرة تعود لقواعد الصرف المعروفة، مثل السين والميم والعين في كلمة "سمع"، ويمكن لحاظها في مختلف التصريفات مثل: استمع، سامع، سميع، مسموع، وما يشابهها من الكلمات الأُخر كـ "إسماع" و"تسميع"، وتتضح هنا أنَّ الأحرف الثلاثة الرئيسة (س – م – ع) ثابتة وحاضرة في الصيغ التي تم ذكرها كافة .

وكذلك الحال في ما خص حرفي الزاي واللام المكررين في الكلمات الآتية: زلزل، يزلزل، زلزالا، زلزلة، تزولزل، مززلزل، متزلزل... وهكذا. لقد حدث اختلاف واضح في التصريفات بين كلا الأصلين اللغويين، الأمر الذي نتج عنه تغيير معين في المعاني المستنبطة من كل صيغة على حدة ، ورغم هذا الاختلاف الجوهري، فقد احتفظت كل صيغة من و من ثمَّ، يمكننا تعريف

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 15 .

الحرف الأصلي: بأنَّه العنصر الذي يظل ثابتاً ومستمراً مع الكلمة، دون النظر إلى اختلاف أشكال تصريفها.

وإذا أمعنت النظر في الحرف "التاء" الموجود في كلمة "استمع"، والحرف "الألف" في كلمة "سامع"، وكذلك الحرف "الياء" في كلمة "سميع"، فضلاً عن الحرفين "الميم" و"الواو" في كلمة "مسموع"، ثم "الميم الأولى" التي تظهر في كلمة "مسمع"، وأخيرًا الهمزة والألف مجتمعين كما يظهران في كلمة "إسماع"، ستلحظ بوضوح أن هذه الأحرف جميعها قد تظهر في بعض الصيغ اللغوية وتختفي في صيغ أُخر، وهذا التحليل المنهجي يقودنا إلى تصنيفها تحت مصطلح يشير إلى طبيعتها، وهو ما يُعرف بـ "الحرف الزائد".

والحرف الزائد هو الحرف الذي يُحذف في بعض تصريفات الكلمة دون وجود سبب يعود إلى علل الصرف.

والتذييلين الأخيرين يحتلان أهمية كبيرة، إذ دون وجودهما يمكن الوقوع في خطأ في الحكم. على سبيل المثال في كلمة "وهب"، يُعتقد أحيانًا أنها زائدة لأن الواو تسقط في المضارع والأمر والمصدر، كما يُقال: "يهب، هب، هبة"، فالأمر مشابه أيضًا في كلمة "استقام"، إذ تُعَدّ الألف هنا مقلوبة عن واو ومحدوفة العين للتخلص من التقاء الساكنين، لكن عند اشتقاق الأمر من الكلمة في صورة "استقم"، يظهر أنَّ الحذف في كلا الكلمتين يعود إلى علة صرفية معروفة للمتخصصين، و من ثمَّ ، فإنَّ الحرف هنا أصلي في الحالتين ولا يُعدّ زائداً.

أولاً: مزيد الفعل الثلاثي:

إنَّ الفعل الثلاثي المجرّد مع زوائده لا يمكن أن يتجاوز ستة أحرف في أكثر زيادة، وهذا يتيح إمكان إضافة حرف، حرفين، أو ثلاثة أحرف بوصفها زيادة إلى الفعل المجرد، وهذه

الإضافات تُعَدّ الحدود العليا للزيادة الممكنة على هذا النوع من الأفعال، مما يجعل الفعل في هذه الحالة يُعرف بالمزيد، وتتم الزيادة على الفعل الثلاثي بناءً على طبيعة مواضع الأحرف المضافة إليه.

إذا تم إدخال حرف على الفعل الثلاثي فيمكن أنْ يكون هذا الحرف همزة تُسبق الفاء، كما هو الحال في "أفعلَ"، وفي بعض الحالات يمكن للزيادة أن تتمَّ عبر إطالة صوت العين أو تضخيمها عن طريق التضعيف، و يظهر في كلمة "فعَّلَ"، وكذلك قد يكون الحرف المضاف ألفاً تأتي بعد الفاء مباشرةً، مثلما في "فاعلَ"، وهذه الاختلافات تُظهر مقدار تنوع التشكيل والزيادات الممكنة وكيفية تأثيرها على بنية الكلمة ودلالتها.

وبحسب القواعد والنماذج المتاحة، يتم استثمار تلك المواضع بعناية فائقة لإيجاد صيغة دقيقة للفعل، إذ تعزز معناه الرئيس أو تضيف إليه دلالة جديدة تجعل استعماله أكثر مرونة وتعبيراً، بهذا يتمكن الناطق باللغة من العثور على ثراء لغوي ومرونة في التعبير، متناغمًا مع قواعد النحو والصرف.

وهذه الإضافات أو الاستعمالات في اللغة ليست منتظمة دائماً أو أنَّها تأتي على وفق قاعدة عامة ثابتة، فلا يمكنك أنْ تطبِّق مبدأ الشمول أو القياس المطلق على جميع الحالات، فمثلًا قد يقول بعضهم أنَّه يمكن الاعتماد على نمط معين كالذي يتبعه "الأخفش" إذا أردنا قياس ما ورد من أفعال لتوسيع نطاقها، ولكن الأمر يتطلب دقَّة وتمحيصًا لكل باب لغوي بدلاً من التسرّع في تعميم الاستنتاجات، ولا يكفي سماع اللفظ في استعماله المعتاد فقط، بل يجب تفحص معناه والسياق الذي ورد فيه.

فلتوضيح الأمر ،فإنَّ ألفاظاً مثل "أذهب" و"أدخل" تعتمد على السماع لاستعمالها الصحيح، سواء أكان المتعلق هو نقل الشيء أم تطبيق الفعل بطريقة محددة، ومع ذلك لا يجوز أن تستعمل "أذهب" بمعنى "أزال"، كما لا يجوز أن تُفسرها بمعنى "عرض للذهاب" أو غيره مما يخالف المعنى الرئيس لها.

و على نحوٍ عام، فالأبواب اللغوية التي تعتمد على هذا النوع من السماع عادةً ما تعتمد على أفعال ثلاثية الجذر التي تُعَدّ الأكثر شيوعًا، مثل تلك الواردة في الاشتقاقات العامة في المعاجم، ورغم ذلك قد نجد استثناءات في عدد أقل من الكلمات التي لم تنشأ من أفعال ثلاثية مثل: "ألجم" و"أسحم" و"جلّق"، وهذه أمثلة لندرة مقاربلتها بالفئة الأولى، إذ تنحصر في استعمال محدد ولا تُعمم كثيرًا الطريقة نفسها، ولذا يبقى التعامل مع اللغة موضوعًا يتطلب تدخلًا مخصوصا عند تحليل المعاني ودراستها في مفرداتها ومراحل اشتقاقها المختلفة.[1]

(أ) أفعل:

والمعنى الرئيس الغالب في أفعال هذا الباب يندرج في جعل الهمزة وسيلة لتعدية الفعل الثلاثي اللازم، مما يؤدي إلى تحويل الفاعل لما كان فعلاً لازماً إلى مفعول به للفعل المتعدي، فعلى سبيل المثال في العبارات التي نقول فيها: ذهب البلاء عنا، خرج محمود إلى صديقه، عاد الكتاب من السابق، لجأ محمود إلى صاحبه، نجد أن الأفعال مثل ذهب، خرج، لجأ، وعاد جميعها أفعال لازمة، والفاعل الذي يأتي بعدها يختصُّ بها بشكل مباشر، ولكن إذا استعملت الهمزة في بداية هذه الأفعال، فإنها تُحدث تغييراً وظيفياً في الجملة، إذ تنقل الفعل من اللزوم إلى التعدي ، وعلى سبيل التوضيح، إذا قلنا: أذهب الله البلاء عنا، ألجأت الظروف محمود إلى صاحبه، أخرجت الكتاب إلى جاره، أعدت محمود من المسابقة، فإنَّ إدخال الهمزة يحوّل الفعل

(1) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي: 84/1، 85.

ويخلق علاقة جديدة تؤدي إلى توسع المعنى ودخول المفعول به في الجملة لتحويل المعنى الأصلي إلى مفهوم مباشر ومحدد. وبذلك يصبح من الواضح أنَّ الهمزة تُعدي الفعل اللازم وتنقله إلى حالة جديدة تؤدي إلى تفاعل أكبر بين الفاعل والمفعول به، مما يثري بنية الجمل ويوسّع حدود استعمالات الأفعال في اللغة.

إذا كان الفعل الثلاثي اللازم ممثلاً بنوع من الأفعال التي لا تتطلب مفعولًا قدر تعلقها بالفاعل نفسه وتؤدي المعنى دون الحاجة إلى إلحاق شيء بها، فإنَّه يبقى على صورته الأصلية بلا تغيير، أما عندما يكون الفعل متعديًا لمفعول واحد، فإنَّه يتطلب إضافة الهمزة لإحداث تغير في بنيته النحوية ليصبح متعديًا إلى مفعولين، وعلى سبيل المثال، إذا أخذنا الفعل "فهم"، فهو في أصله متعدٍ إلى مفعول واحد كما في "فهم محمد درسَهُ"، إذ يعبِّر عن الحدث الذي قام به الفاعل وتأثيره على المفعول به، لكن عند استعمال صيغة الهمزة كما في "أفهم محمداً درسه"، يصبح الفعل متعديًا إلى مفعولين إذيكون محمد هو المفعول الأول، والدرس هو المفعول الثاني، مما يوضح الإضافة التي تطرأ على التركيب بوضع الهمزة، و من ثمَّ فإنَّ هذه الصياغة تُوسع أفق التعبير النحوي لتُمكِّن من إثراء الجمل بمعانٍ أكثر دقة واتساعًا.

وجمع الأفعال على صيغة "فَعْل" يُظهر التنوع اللفظي الذي لطالما ميّز اللغة العربية بثرائها وتعابيرها المتعددة، وعلى سبيل المثال، نجد كلمة "العَجَف" تشير إلى الجفاف والهزال الناتج عن نقص الرطوبة أو التغذية، إذ يُقال إن الشخص الهزيل يُوصف بـ"الأعجف"، بينما يُقال للأنثى "عجفاء"، للتفرقة على وفق الجنس مع الاحتفاظ بالمعنى العام للجفاف أو الهزال، وفي هذه الحالة، يتم استعمال الجمع "جاف" للإشارة إلى الصفة العامة للحالة دون تمييز.[1]

(1)العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 414.

أما في ما يخصّ الفعل "ذَفَّ"، الذي يُقال إنه يعني الإسراع أو التعجل، فإنَّ هذا اللفظ يحمل حركة ديناميكية ودلالة إحتمالية ، إذقيل إن الإنسان "يُعْجِفُ" عَجْفًا عندما يكون في حالة من التعب أو الانهاك، وهنا نلحظ غياباً واضحاً لمعانٍ دقيقة تتفرع بين كلام المذكر والمؤنث في هذا السياق المخصوص.

فإذا كان الفعل متعديًا إلى اثنين، فإنَّه يصبح متعديًا إلى ثلاثة مفاعيل عند إدخاله على هيأة الفعل بهمزة التعدية، على سبيل المثال، يمكننا القول: أعلمت الجاحد اللهَ موجودًا، هذا الأسلوب يعبر عن إيصال المعلومة بشكل يوضح القصد والنقل بين الأطراف. ومن ثمَّ أصبحت هذه الهمزة معروفة بين الباحثين بصفة "همزة التعدية"، بالنظر إلى أنَّ تعدية الفعل اللازم تُعَدُّ أبرز وظائفها الرئيسة ، ومع ذلك لا يمكن تجاهل أن لهذه الهمزة معاني أُخر تستحق الذكر،[1] ونورد منها ما يأتي :

1_ الصيرورة تشير إلى التحول أو التغير في الحالة أو الصفة، مثل قولنا: أغد البعير أي أصبح ذا عادة، وأحصد الزرع، وأعسر محمد أي ضاق عليه الحال، وأيسر صديقه بمعنى تحسَّنت أوضاعه المالية.

1_ السلب بوصفه معنى يشير إلى إزالة شيء ما، مثلما نقول: أشكيت محمدًا، بمعنى أزلت شكواه عنه. وأيضًا عندما نقول: أعجمت الكتاب، أي أزلت غموضه وصعوبته.

3_ التعريض هو استعمال تعبير غير مباشر يتضمن الإشارة إلى شيء معين دون التصريح به بشكل واضح، على سبيل المثال، عندما يُقال: أقتلتُ عليا؟ يكون المعنى أن الشخص قد وضع علياً في موقف عرَّض حياته للخطر أو جعله معرضًا للقتل، وليس بالضرورة أنه قتله فعليًا،

(1) شرح المفصل، ابن يعيش : 7/ 64، 65.

وبالمثل، عندما يُقال: أبعْتُ المتاع، فإنَّ هذا التعبير يعني أنَّ الشخص قد جعل المتاع معروضًا للبيع أو هيّأه لذلك الغرض، دون الإشارة بشكل مباشر إلى إتمام عملية البيع نفسها.

4_ وجود الشيء متلبسًا بصفته وخصائصه المحددة، وهو تعبير يعكس مقدار ارتباط الشخص بسمة معينة أو وصف يشترك به، فعلى سبيل المثال، عندما يُقال "أحمدت أخي"، فإن المعنى يتجاوز مجرد الإشارة إلى وجود الأخ، ليعبر عن كونه متصفًا بالحمد أو محددًا بأخلاق تستحق الثناء، وبالمثل، عندما يُقال "أبخلت جاري" أو "أجبنته"، فالمقصود هو ملاحظته متسمًا بالبخل أو الجبن، وهذه الصيغ تُظهر مقدار عمق اللغة العربية في تصوير الكيفيات والصفات التي يتحلى بها الأفراد، مما يمنح الكلمات بُعدًا أوسع يتجاوز حدود الوصف السطحي إلى إبراز طبيعة الشيء كما هي في واقعها الحسي والمعنوي.

5_ ويتجلى ذلك في قول عمرو بن معد يكرب لمجاشع بن مسعود السلمي حين سأله فأعطاه: "الله ينعم عليكم يا بني سليم، سألناكم فلم نجد منكم بخلًا، وحاربناكم فلم نرَ منكم جبنًا، وها نحن نتحدث معكم فلم نجدكم عاجزين عن الرد أو فاقدي الحجة، وبمعنى آخر وجد فيهم الكرم والشجاعة واللباقة في الكلام".[1]

6_ لإعانة، كما وردت في القول: "أحلبت الخادم وأرعيته"، تحمل في طياتها معنى تقديم الدعم والمساندة، أي إنَّ الشخص لم يقتصر على أمر الحلب فقط ، بل تجاوزه ليشمل عناية أوسع تتضمن تسهيل الحلب وتقديم العون اللازم لتحقيقه، وهذا تعبير عن العمل المشترك أو التضامن.

(1) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي : 1 /91.

7_ بمعنى الفعل الثلاثي تأتي الصيغة لتدل على الفعل الأصلي ذاته بمزيد من التوكيد أو الإيضاح، مثل: أحزنه بمعنى جعله حزيناً وهو ذات معنى حزنه، وأشغله بمعنى جعله مشغولاً وهو نفسه شغله، وأحبه بمعنى جعله محباً أو تعلق به بعاطفة حبه.

8_ مطاوعة الفعل الثلاثي، كما يظهر في عبارات مثل "كببته على وجهه فأكبّ" أو "قشعت الريح السحاب فأقشع"، هي ظاهرة لغوية تحمل دلالة مهمة تتجاوز المفهوم السطحي، فالكثيرون قد يخلطون بين معنى الفعل المطاوع واللازم، ولكن الفرق الأساسي هو أن المطاوعة لا تعني مجرد كون الفعل لازما، بل تشير إلى التأثر وتقبل أثر الفعل الذي سبقه، وبمعنى آخر الفعل المطاوع هو تعبير عن استجابة الكيان المتأثّر بالفعل السابق، سواء أكان هذا الكيان قابلاً للتعلم كما في "علمته الصرف فتعلمه"، أي تقبّل فعل التعلم، أم أنه مجرد استجابة طبيعية لفعل خارجي كما في "قدته فانقاد"، أي استجاب لتأثير القيادة.

ومن الخطأ أن نعدَّ كل حالات التأثير والتفاعل مطاوعة، كما يظهر في مثال: مشاركة علي ومحمد الكتاب"، فليس أحدهما قام بتأثير والثاني تأثر، بل هناك حالة تنازع مشترك هنا، والمفهوم الحقيقي للمطاوع يشير إلى المفعول به الأصلي الذي أصبح لاحقًا فاعلاً نتيجة تأثير فعل معين، مثل "باعدت محمدًا فتباعد"، إذالمطاوع هنا هو "محمد" الذي تحوّل فعله إلى حالة استجابة نتيجة البُعد، ومع ذلك أطلق النحويون على هذا النوع من الأفعال المطاوعة من باب المجاز، رغم أن المطاوعة تستند في أساسها إلى المعنى العميق للتأثر والقبول.

1_ الإغناء عن الثلاثي يتمثل في استعمال أفعال وزنها يزيد على الثلاثي لتعبر عن معانٍ محددة، مثل الفعل "أرقل" أو "أعنق"، إذيحمل كلاهما معنى السير بسرعة، وكذلك الفعل "أذنب"، الذي يشير إلى الوقوع في الإثم، والفعل "أقسم"، الذي يعني أداء اليمين أو الحلف.

2_ والمعاني هنا تأتي دون قاعدة ثابتة، إذ يستعمل صيغة (أفعل) بين الحين والآخر لتحقيق تلك المعاني المذكورة، فمثلًا نقول "أبصره" بمعنى رآه، و"أوعزت إليه" بمعنى تقدمت نحوه أو أشرت، وقد نجد مصطلحات أُخر مشابهة بأشكال تتنوع باختلاف السياق مثل "قَدّرته فأفطر"، أو "بشّرتُه فأبشر"، ومع ذلك يبقى استعمال هذا النوع من الصيغ محدودًا أو نادرًا.

(ب) فعل:

ويستعمل هذا التعبير للإشارة إلى عدة معانٍ ودلالات متنوعة، يمكن أن تشمل ما يأتي :

1_ التكثير يشير إلى عملية المبالغة في حدوث الفعل أو تكراره بصورة تتعدّى المعتاد، وعلى سبيل المثال، يمكن القول: غلقت الأبواب بمعنى أغلقتها مرات كثيرة ، أو فتحتها مرارًا، وأيضًا ذبحت الغنم دلالة على ذبح عدد كبير منها، وجرحت الأعداء بما يشير إلى إصابة الكثير منهم، ويظهر التكثير بشكل واضح في الأفعال المتعدية مثل: غلق وقطع، إذتحمل دلالة على فعل الشيء بكثرة أو قوة، ولكنه لا يقتصر على الأفعال المتعدية فقط، بل يمكن أن يظهر في الأفعال اللازمة كذلك، ومثال ذلك قولنا: جول وطوف، إذتعبر عن كثرة التجول أو الطواف، وموتت الإبل لتأكيد عدد كبير منها، و من ثمَّ فإن التكثير يخدم غرض التركيز على كثافة أو تواتر الحدث في السياقات المختلفة سواء أكانت أفعالًا متعدية أم لازمة.

2_ التعدية تشمل أفعالًا يتم فيها إيصال الفعل إلى المفعول به عن طريق استعمال أدوات معينة، على سبيل المثال: "أسعدت أخي بالنتيجة"، "عاقبت المهمل"، و"دعمت الضعيف بمساعدتي".

3_ السلب يعني إزالة الشيء أو التخلص منه، كمثال: قشرت الفاكهة بمعنى أزلت قشرتها، وقردت البعير أي أزلت القراد عنه، وقديت العين أي أزلت ما بها من قذى.

4_ التوجه إلى المواقع المختلفة يشمل، على سبيل المثال: الشرق، الغرب، الغور، الكوفة، والبصرة؛ بمعنى الاتجاه نحو هذه الأماكن المحددة.

5_ لتوضيح الحكاية بشكل أوسع ومستفيض، يمكن القول : إنَّ التعبيرات الموجزة مثل "أمن" و"هلل" و"سبح" و"سوف" و"كبر" تستعمل للتعبير عن جمل أو عبارات كاملة تحمل مضمونًا روحانيًا أو دينيًا معينًا، وعلى سبيل المثال، كلمة "أمن" تشير إلى قول "آمين"، التي تُقال عادةً بعد الدعاء للتضرع والموافقة، أما كلمة "هلل"، فهي تدل على قول "لا إله إلا الله"، وهي من العبارات الرئيسة في العقيدة الإسلامية للدلالة على التوحيد، كذلك، كلمة "سبح" ترمز إلى قول "سبحان الله"، للإشارة إلى تمجيد وتنزيه الخالق، وفي حين أن "سوف" قد تحمل معاني مثل التطلع أو الوعد بشيء في المستقبل، وإن لم تكن تحمل دلالة دينية مباشرة في هذا السياق، وأخيرًا، "كبر" تعني في مضمونها قول "الله أكبر"، وهو تعبير عن تعظيم الله سبحانه وتعالى. ومن ثمَّ ، فهذه الكلمات المختصرة تخفي وراءها عبارات شاملة ومحمّلة بالمعاني التي تحمل وزنًا كبيرًا في إطار الذكر والتعبير عن الإيمان.

6_ إرجاع المفعول إلى أصل الفعل، كما في القول فسقته وكفرته، أي جعله منسوبًا إلى الفسق والكفر.

وقد يكتسب معنى آخر لا يندرج تحت قواعد محددة، كما هو الحال في: جرب – كلم.[1]

(1) ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي : 96.

(ج) فاعل:

ويأتي بمعانٍ متعددة تُعد أهمها :

1_المشاركة في الفعالية والتأثير المتبادل بين الأطراف هي من الأمور الجوهرية التي تتجلى في المعنى اللغوي، كما هو الحال في المثال الذي نقول فيه: جادل محمد أستاذه، وهنا يتضح أن محمد وأستاذه كليهما يشتركان في دور الفاعل والمفعول به من إذالمعنى؛ إذ إن كلاً منهما قد أثر في الآخر وتفاعل معه بشكل متبادل. هذه التفاعلية المتبادلة تشير إلى أن كل طرف قد قام بفعل ينعكس على الطرف الآخر بنفس الطريقة التي تأثر بها منه، وهذا المفهوم يعبر بدقة عن أحد أبرز دلالات صيغة (فاعل) في اللغة العربية، إذتؤكد هذه الصيغة وجود نوع من التفاعل النشط والمستمر بين الأطراف المتداخلة، مما يظهر أبعاداً جديدة لفهم العلاقة بينهما.

2_معنى "فعل"، مثل جاوزَ الشيء، أي تخطّاه، وواعدَ محمدًا، أي وعده، وقد اعتبر بعض اللغويين أن من هذا القبيل كلمة "سافر" استنادًا إلى أن جذرها الثلاثي مستعمل .

3_بمعنى صيغة (أفعل)، على غرار: حينما نقول باعدت الشيء، فإنَّ المعنى المقصود هو أنني أبعدته، وحين نستعمل كلمة ضاعفته فإنَّ المراد بذلك هو أنني جعلته مضاعفًا أو زدت من حجمه أو كميته.

4_الإثراء لمفهومي الصيغتين السابقتين: (فعل) و(أفعل)، كالأمثلة: بارك الله، ووارَيت الجريمة، بما يعني: فيك – تحمَّل المشقتين – شغلت بالي به أي اهتممت – أخفيتها.

والسياق، في حقيقته، يُعدّ العنصر الحاسم والموجه الرئيس لفهم هذه المعاني واستيعابها بشكل دقيق ومتكامل، فمن غير الممكن الوصول إلى المعنى الكامل لأي صيغة إذا تم عزلها عن سياقها الذي يمنحها الدلالة المحددة ويربطها بما حولها من نصوص وأفكار، وبناءً على

ذلك سنقتصر في تقديم المزيد على الاكتفاء بذكر وزن أو اثنين أو ربما ثلاثة أوزان فقط، مع تقديم أمثلة مختصرة توضح كل منها، متجنبين الخوض بشكل تفصيلي في تحليل معاني الصيغ المختارة أو الغوص في تفاصيلها، والهدف هنا هو عرض الموضوع ببساطة وبتركيز دون الخروج عن الإطار الرئيس.

ثانياً: مزيد الفعل الرباعي:

ذكرنا آنفاً أن الرباعي المجرد ينماز بوجود وزن واحد فقط يمكن أن يُعزى إليه، وهو (فعلل)، ويُعدّ هذا الوزن بمنزلة القالب الأساسي والأصيل لهذا النوع من الأوزان اللغوية، ومن أمثلة الكلمات التي تنتمي إلى هذا الوزن نجد كلمة "زلزل"، التي تجسد بوضوح البناء اللغوي والمعنوي لهذا الشكل ومستوى التناسق الصوتي والدلالي القائم فيه. وهذه الصيغة قد يجري تعديلها بإضافة حرف واحد فقط، وقد يتم توسيعها لتضم حرفين إضافيين، مما يتيح إمكانية التكيف والتنسيق بما يتناسب مع الحاجة أو السياق المطلوب: فالمزيد بحرف له صيغة فِعْلٍ واحدة ترتبط بنمط محدد وهي "تَفَعْلَلَ"، مثل: "تَدَحْرَجَ" و"تَبَعْثَرَ". وتُعد هذه الصيغة مطاوعة لصيغتها المجردة، وعلى سبيل المثال، يُقال: "بَعْثَرْتُ الرماد فَتَبَعْثَرَ"، و"دَحْرَجْتُ الكرة فَتَدَحْرَجَت". أما المزيد بحرفين فيحمل معنيين أو وزنين مختلفين بحسب السياق الذي يستعمل فيه، فقد يكون مثقل بالدلالات العميقة ويوحي بالمزيد من الفهم والبحث، أو يأتي خفيف ودافئ كإشارة إلى الاستمرارية والزيادة غير المتوقفة.

ومن هذه الأوزان :

الأول: هو (افعلل)، ويظهر هذا الوزن في اللغة العربية عندما نعبر عن تجمع أو اجتماع كما في المثال القائل: "أخر نجمت الإبل"، إذتشير العبارة إلى أن الإبل قد اجتمعت معًا

وتجمعت في مكان واحد، ويعود أصل هذا التعبير إلى جذر لغوي يرتبط بفعل يدل على التكدس أو التحشد، مما يُبرز سمة بلاغية تعكس عمق اللغة العربية في توصيف الظواهر المختلفة واستيعابها بمصطلحات دقيقة تستند إلى أوزانها الثرية والمتنوعة.[1]

الثاني: يتخذ هذا الوزن الصرفي (أفعلَّل) شكلًا مميزًا في اللغة العربية، كما يظهر في كلمات مثل "اقشعر"، و"اشماز"، و"اكفهر"، وهذه الكلمات تحمل دلالات تعكس مشاعر وأحاسيس داخلية قوية، إذيرتبط كل منها بحالة نفسية معينة، فكلمة "اقشعر" تتبع من الإحساس بالقشعريرة التي عادة ما تصاحب الشعور بالخوف أو البرد، بينما تأتي "اشماز" لتعبر عن الاشمئزاز أو النفور الذي قد يشعر به الفرد تجاه شيء غير مستحب أو غير مريح بالنسبة له، أما "اكفهر"، فهي تصور حالة من الاكفهرار، التي ترتبط بتغير ظاهر على الوجه يعبر عن الانزعاج أو العبوس. وكلا الوزنين المذكورين سابقًا يُعدّان من الأوزان اللازمة التي لا تتعدى تأثيرها إلى مفعول به مباشر، ومع ذلك، يمكن التفريق بينهما من إذالدلالة والاستعمال ؛ إذ إنَّ الوزن الأول يُفيد في التعبير عن المطاوعة والتفاعل مع الفعل أو الحدث بشكل طبيعي، بينما يستعمل الوزن الثاني للدلالة على المبالغة والتكثيف في المعنى، مما يعكس قوة التأثير أو شدة الفعل.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 240.

المبحث الثاني

ضبط الكلمة في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

لا يخفى على أحد أنَّ المعجم العربي يُعدّ أهم الصناعات اللغوية التي تهدف إلى جمع مفردات اللغة العربية وترتيبها على وفق نظام محدد، مع الحرص على شرح معانيها وتقديمها بشكل يُيَسّرَ فهم اللغة واستعمالها، ويعتمد المعجم في تحقيق هذا الهدف على مجموعة من الأسس والقواعد المنهجية التي وُضعت لتكون دليلًا يتكأ عليها في عملية استقراء الكلمات وتنظيمها، و يلتزم بمناهج دقيقة لضبط مسار تأليفه من حيث طبيعة دراسة المواد اللغوية وطريقة عرضها وترتيبها بشكل متناسق.

ومن بين العناصر الرئيسة التي لا غِنى عنها لأي معجمي عند عمله يأتي مفهوم "الضبط اللغوي"، وهو أحد الأصول الجوهرية التي يتمَّ بفضلها تنظيم بناء الكلمات وتحديد أشكالها وصيغها، ويتحقق هذا الضبط عن طريق استعمال الحركات الإعرابية المتنوعة أو عبر التركيب الصرفي الذي يُظهر البنية الداخلية للكلمات بما يضمن فهمًا دقيقًا وسليمًا، سواء أكان من إذ النطق أم المعنى، وهذه الأدوات مجتمعة تُعد المتَّكأ لضمان صحة المعجم وسهولة استعماله في مختلف السياقات.

ويسلط هذا المبحث الضوء بشكل معَّمق على طبيعة الضبط المعجمي وحقيقته ، وكذلك كيفية وروده في سياق الترويس المعجمي، حيث يعرض أهميته بوصفه عنصراً جوهرياً في داخل النسيج المؤسّس للمعاجم اللغوية على مرِّ التاريخ، فقد تبيّن أنه لم يكن من الممكن لأي عالم لغوي أو باحث في مجال اللغة أن يستغني عن توظيف هذا النوع من الضبط الدقيق

بوصفه وسيلة لضمان دقة مصنّفاته المعجمية، وكان ذلك نابعاً من حرص علماء المعاجم المستمر على ضبط الألفاظ وتدقيق حركاتها بشكل منهجي ودقيق.

وتُظهر الدراسة أيضاً كيف مثّل ضبط الحركات عاملاً حاسماً لتفادي التحريف أو التصحيف الذي قد يحدث إما عن طريق الخطأ غير المقصود من الضابط، أو من الناسخ، ولذلك جرى اللجوء إلى وسائل متقدمة لضمان سلامة النصوص. وأهم هذه الوسائل تقديم وصف دقيق للألفاظ عبر ذكر حركات كل حرف بشكل واضح ومفصّل، بما يشمل طبيعة الأحرف وحركاتها وكذلك الشكل العام للفظة، ويهدف هذا النهج التحليلي إلى تحقيق أقصى درجات الوضوح والدقة، مما يجسِّد العناية المتناهية التي بذلها علماء اللغة عبر العصور في صياغة معاجمهم وضبطها بما يخدم أهداف التوثيق اللغوي والحفاظ على تراث اللغة.

أولاً: مفهوم الضبط: لإضافة المزيد من التفصيل، يمكن توضيح مفهوم "الضبط" بما يُظهر دقته وأبعاده السياقية المختلفة، فالضبط في اللغة يشير إلى الالتزام الكامل أو التماسك الذي لا ينفصل عن الشيء مهما كانت الظروف المحيطة به، وهذا يتمثل في "لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء" بوصفه شرطًا جوهريًا دائمًا،[1] إذ يعِّبر عن قوة التلازم بأشد صورة ممكنة بإذيصبح الضبط مظهرًا للسيطرة الملتزمة.

فضلاً عن ، يُظهر معنى الضبط صفة التنظيم والتقييد عن طريق عبارة "لزومًا شديدًا"،[2] التي تفيد التأكيد على طبيعة الترابط المتين والذي لا يقبل التهاون أو التفكك، ومن جهة أُخر يظهر المعنى الوصفي للضبط بعدّه حالة من الصرامة والحزم، إذ نُعِت الرجل بـ"ضابط" بمعنى

(1) العين ، الخليل : 2 / 23.

(2) الكشاف ، الزمخشري : 573.

لكونه حازمًا، وقويًّا، وشديدًا،[1] وهو ما يعكس مزيجًا من القوة العقلية والشخصية، إذ القدرة على السيطرة المحكمة دون انفلات.

وعلى مستوى الأشياء المادية، يظهر مصطلح "كِتاب مضبوط" للإشارة إلى ما تم إصلاح عيوبه وتصحيح أخطائه بشكل متقن،[2] فالضبط هنا يعني السعي نحو الكمال عن طريق معالجة الخلل وتنظيم الأشياء لتصبح على أفضل حالاتها الممكنة، وفي ضوء هذا المفهوم، يتسع معنى الضبط ليشمل الإصلاح أو التصحيح الدقيق، ويمثّل الجهد المبذول لتلافي أي نقصان أو خطأ، مما يتجلى في عبارة "أصلح خَلَلَه، أو صحَّحه" كدلالة واضحة على أهمية التفاصيل الدقيقة في تحقيق التوازن والانسجام المطلوب.[3]

ويمكننا الاستنتاج، بناءً على ما تم عرضه ، أنَّ المفهوم العام لمصطلح "الضبط" في اللغة يدور في فلك الالتزام بالشيء والمحافظة عليه مع إصلاح أي خلل قد يطرأ عليه، وهذا المعنى يشمل بدقة تعريف الضبط في الاصطلاح، الذي يمكن تلخيصه لكونه عملية إيصال الكلام بالطريقة التي تستحق أن تُسمع بها، يأتي بعدها فهم المعنى المقصود من وراء تلك الكلمات، ثم يأتي أثر حفظ هذا الفهم عن طريق بذل الجهد اللازم والاستمرار في مراجعته وذكره بانتظام إلى أن يحين الوقت المناسب لنقله إلى شخص آخر، بما يضمن المحافظة على دقته وأمانته.[4]

---

(1) لسان العرب ، ابن منظور : 7 / 340.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس : 19 /443.

(3) المعجم الوسيط، (مجموعة من أساتذة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهم: ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) : 533/1.

(4) التعريفات، الجرجاني : 1/ 179.

وإذا جمعنا كل هذه الأبعاد اللغوية والمعنوية المتعلقة بمعنى الضبط، يتضح لنا عمق الكلمة وتنوع استعمالاتها بين ما هو معنوي يرتبط بالشخصية والأفكار وما هو مادي يرتبط بالأشياء والأعمال.

المطلب الأول

ضبط الكلمة بالحركة

بدأ العلماء القدماء بإبداء اهتمام كبير بموضوع العلامات الكتابية، إذتنوعت آراءهم ومذاهبهم في ، ما دفعهم إلى تخصيص مباحث مخصوصة لهذا الموضوع ووضعها في مؤلفات مستقلة وشاملة، وكان هذا الاهتمام ملموسًا بشكل مخصوص لدى العلماء الذين تولوا مسؤولية ضبط النص القرآني، إذ كانت جهودهم الرئيسة التي استندت إليه عملية توصيف تلك العلامات وتحديد مظاهرها بشكل دقيق ومنهجي.

وقد أطلق العلماء الأوائل على هذا المجال مصطلح "علم النقط والشكل"، وهو الاسم الذي كان متداولًا في بدايات البحث في هذا التخصص، ومع تطور الزمن وظهور دراسات لاحقة أكثر تخصصًا، أصبح يعرف بمصطلح "علم الضبط"، وكان هذا التحول نتيجة لتراكم الجهود وتفحُّص المعارف بصورة يجعل المصطلح يعِّبر بدقة عن مضمون العلم وأهدافه.

و أوضح المؤلفات التي عُنيت بهذا العلم يأتي كتاب أبي عمرو الداني (المتوفى سنة 444 هـ)، الذي حمل عنوان "المحكم في علم نقط المصاحف"، وهذا الكتاب يُعدَّ أهم المراجع التي عرضت هذا المجال بصورة مفصلة ودقيقة، إذشمل قواعد هذا العلم وأصوله، وتبع ذلك جهود تلميذه أبي داود سليمان بن نجاح (ت496 هـ)، الذي واصل العمل في هذا الاتجاه وأضاف مساهمته المخصوصة عن طريق تأليف كتابه المعروف باسم "كتاب أصول الضبط وكيفيته"، وبهذا مثّل هذان العملان الأصل في وضع الإطار العلمي والمنهجي لهذا المجال الذي استمر تطويره على مرّ العصور.

ومن بين الحروف التي عُنيت بضبط الكلمة من إذالمخرج صوت الهمزة، وبعض القضايا الصرفية المرتبطة بها، ولذلك كان لهذا الصوت حضوراً واظحاً في الدراسات اللغوية الحديثة، لما يكوّنه من أهمية بنيوية في الكثير من المفردات، فضلاً على التحديات المتعلقة بصعوبة نطقه.

وتباينت آراء اللغويين القدماء والمحدثين في هذه الظاهرة من إذتحقيق الهمزة وتخفيفها، فقد عدّها القدماء صوتًا شديدًا مجهورًا يصدر من أقصى الحلق، أما المحدثون، فيصفونها بأنها صوت حنجري يتولَّد نتيجة انطباق الوترين الصوتيين انطباقًا تامًا يعقبه انفراج مفاجئ، وهي عملية تحتاج إلى جهد عضلي يفوق الجهد المطلوب لإنتاج أي صوت آخر.[1] وصوت الهمزة يحمل أهمية فونيمية بارزة في اللغة العربية، إذيؤثر بشكل مباشر على بنية الكلمة ومعناها التي يظهر فيها، وهذا التأثير يجعل الهمزة عنصراً حيوياً في تشكيل المعاني وإحداث التمايز بين الكلمات المختلفة في اللغة العربية، أما في اللغات الأُخر، ولاسيما تلك التي لا تنتمي إلى العائلة السامية، فإن صوت الهمزة غالباً ما يُعدّ مجرد عنصراً صوتياً إضافياً لا يحمل قيمة فونيمية واضحة، وذلك بسبب غياب الأثر التمييزي الذي يتركه على المعاني أو الكلمات في تلك اللغات.[2]

ولم يقتصر الاختلاف بين القدماء والمحدثين فحسب، بل امتد ليشمل المحدثين أنفسهم، إذتباينت آراؤهم في وصف الصوت المخصوص بالهمزة ، فقد عدّها بعضهم صوتاً مهموساً شديداً مرققاً لا تهتز الأوتار الصوتية عند نطقها، مما يجعل عدم وجود جهد صوتي عند إطلاقها أمراً واضحاً، وفي قُبال ذلك، يرى فريق آخر أنَّها صوت لا يمكن تصنيفه بشكل دقيق

(1) التطور اللغوي التاريخي ، إبراهيم السامرائي : 41.

(2) دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو : 121.

بوصفه مجهوراً أو مهموساً، وذلك بسبب الوضع المخصوص للأوتار الصوتية عند النطق بها، وهو ما يجعل الحديث عن وجود الجهر أو الهمس في هذه الحالة أمراً غير دقيق.[1] وتحقيق الهمزة يرتبط بشكل كبير بطريقة نطق القبائل البدوية، إذإن نطق الهمزة يتطلب جهدًا وقوة في الأداء، وهو ما يتماشى و طبيعة البدوي أكثر من غيره، فالقبائل البدوية تميل بطبيعتها إلى التحدث بسرعة، ولهذا السبب تبحث دائمًا عن الطرق والأساليب التي تُمكِّنها من تحقيق هذه السرعة بأقل جهد ممكن، إذ تتماز هذه القبائل بفطرتهم العملية في اختيار ما يسهِّل عليهم عملية النطق مع الحفاظ على السرعة المميزة لطريقتهم في الكلام.[2] ولقد جاء تحقيق الهمزة عند الصغاني في كلمة (الإناس) في اللغة والتي ترتبط بتفسير يحمل عمقًا لغويًا ودلاليًا، إذ كان النقاش عن علاقة هذه الكلمة بالأصل اللغوي والتكوين الصوتي للمفردات، فالكلمة من إذالنطق والتكوين ، فتحمل إشارة واضحة إلى الإعلال والتحول في بنية الحروف، وهنا يظهر السؤال عن سبب استعمال الألف بوصفه جزءاً رئيساً في الكلمة وعدم اعتماد نمط هجاء محدّد يُظهر تنوّع التركيب، لكنها بحكم استعمالها الأصلي، تعكس بعض التحولات الصوتية التي تحدث خلال الإعلال أو الحذف.

وهذا السياق يوضّح أنَّ الألف في "الإناس"[3] ليست زائدة للبنية الأصلية ولكنها تعويض وحالة استقرار تعكس تطورًا صوتيًا في الكلمة، ففي غياب إحدى الحروف الرئيسة قد تمَّ اللجوء إلى هذه التعويضات لتثبيت المعنى من ضمن البناء الصوتي، و لو كان خلاف ذلك، لما استقرت الكلمة بوجود هذا التركيب وما كانت تتماشى و تطورات اللغة عبر الزمن. إذن، عن طريق هذا، يمكننا النظر إلى كلمة "الإناس" بعدّها نموذجاً يعبّر عن المرونة والابتكار اللغوي

(1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، عبده الراجحي : 95.

(2) في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس : 120.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /471.

في التكيف مع الحذف أو الإعلال الصوتي، مع البقاء على مستوى عالٍ من المحافظة على الأصل والدلالة الجذرية المترابطة بين الأصوات والمعاني.

لقد اقتصر الصغاني في معجمه على القبول، الوِعز، والوضوء، وذكر سيبويه: "قود، ضوء، والولا"، و أشار المؤدّي إلى "العُلوّ، الوِز، والقَبول"، ولم يسمع أبو عمرو بن العلاء هذا المصدر بفتح أوله.[1]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 131.

المطلب الثاني

ضبط الكلمة بالكلمة

الضبط باعتبار دلالة التركيب:

من بين المعايير التي تم اعتمادها لضبط العلاقة بين التركيب اللغوي والدلالات المختلفة التي تحملها الألفاظ المشتقة من جذر لغوي مشترك، ويأتي مفهوم الضبط بصفته أحد الركائز الرئيسة التي اعتنى بها القدماء في تبيان الروابط بين المفردات، ويُعرَّف الضبط لدى من بأنه عملية أخذ صيغة جديدة من صيغة أُخر، إذتتفق الصيغتان في المعنى والجذر الأصلي مع اختلاف طفيف في هيكلية التركيب أو الهيأة، وتهدف الصيغة المنضبطة إلى حمل معنى الأصل ، لكنها تضيف إليه حمولة دلالية جديدة تُثري المعنى الأساسي أو تُخصصه. فعلى سبيل المثال، يمكن لحاظ آلية الضبط في كلمات مثل "ضارب" التي اشتُقَّت من "ضرب"، إذأضيفت دلالة الفاعلية إلى الجذر الأصلي، وكذلك الحال في كلمة "حذرٌ"، التي انعكست صيغتها المنضبطة لتدل على الاتصاف أو الحالة المنبثقة من الجذر الأصل "حذر".[1]

وعليه، فإن العودة إلى الجذر الأصل وإعادة النظر في آلية الاشتقاق الأولى تُسهم بشكل كبير في تمييز الفروق الدقيقة بين المعاني المختلفة. بهذا الأسلوب، إذ يمكن التعرف على البنية الجوهرية للكلمات وفهم الطريقة التي تتطور بها دلالاتها عبر الزمن، مما يُظهر مرونة اللغة وقدرتها على التكيف مع الاحتياجات التعبيرية المتنوعة.

ولقد ربط الصغاني الكلمة بالكلمة في قوله:

والقرقس، الجرجس، أنشد يعقوب:

---

(1) همع الهوامع، السيوطي : 346.

فليت الأفاعي يعضضنا مكان البراغيث والقرقس.[1]

ومن بين المفردات التي قام الصغاني بالتفريق بينها اعتمادًا على أصل الضبط ودقته، نجد تلك التي ربما تتشابه في البناء اللفظي ولكنها تختلف في المعاني أو الاستعمالات، وقد أظهر الصغاني براعة في تقديم شروح دقيقة وتوضيحات تفصيلية تظهر الفروقات اللغوية التي قد تبدو خفية أو ملتبسة للمرحلة الأولى، واعتمد في ذلك على تحليل أصول الكلمة، والتعاقب الصوتي والحركات، مما أتاح له تقديم رؤية لغوية عميقة تمكنت من توضيح الفروق الدقيقة بين الكلمات المتقاربة، وهو ما يفضي إلى عمق فهمه ومهارته في دراسة اللغة العربية، وهذا النهج ساعد في إثراء المعجم العربي بمعرفة دقيقة وشاملة للتفرقة بين المفردات بصورٍ منهجية تعتمد على معايير علمية ولغوية رصينة ، ومن ذلك ماساقهُ في بعض الألفاظ ، وهي على النحو الآتي :

1_ البرية والذرية:

إنَّ كلمة "البرية" تحمل ارتباطًا وثيقًا بمفهوم البرء الذي يشير إلى الخلق والإبداع الخالص، فهي ترتبط بشكل جذري بفعل "برأ"، الذي يدل على قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق الكائنات من العدم بطريقة محكمة ومتقنة، وإذ تُعرف البرية لكونها جزءًا من عظمة هذا الفعل الإلهي، إذتجسد صورة الطبيعة والنظام الذي أوجده الله في الكون بأكمله، ومن هنا فإن كلمة "البرية" ليست مصطلحاً لغوياً فقط ، بل إنها تختزل معاني أعمق تتعلق بالخلق والابتكار الكوني الذي أبدعه البارئ عزّ وجلّ في كل زاوية من الوجود.

و "الذرية" تشير إلى نسل الإنس والجن، وقد اختلفت الآراء في ضبط الكلمة، الرأي الأول يربطها بفعل "الذرء"، مشيرًا إلى معنيين: التباعد والمزايلة، إذانصرف البشر عن موطنهم الأول

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 348.

(الجنة) إلى الأرض التي تشكلت من التراب، وهو أصل خلقهم، أما الرأي الثاني فيشتقها من "الذر"، موضحًا أنها تحمل فكرة البذر والزرع، بوصفه تشبيهاً مجازياً يعبر عن نشرهم وتوزيعهم في أنحاء الأرض، و من ثمَّ فهم منتشرون في أرجاء المعمورة.

هذا المثال يقدم توضيحًا عميقًا للطريقة التي اعتمدها الصغاني في التفريق بين لفظتين اعتقد بعضهم أنهما مترادفتان، ولكن الاختلاف الجوهري في اشتقاقها كليهما أدى إلى ظهور فروق دلالية واضحة لا يمكن إغفالها، اللفظة الأولى لها علاقة مباشرة بالابتعاد عن المسكن الأول، وهو الجنة، كما يظهر ارتباطها بمعنى "البرء"، الذي يشير إلى التراب بعدّها أصل الخلق الإنساني الذي أُبدع منه، مما يضيف بعدًا وجوديًا لفهم دلالتها، أما اللفظة الثانية فتتصل بفعل نشر البشر وتوزيعهم على وجه الأرض، إذيُشتق معناها من فكرة "الذر"، التي تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى على ذرّهم وتوزيعهم بين مختلف الأماكن، ومن هنا يتضح أنَّ فهم هذا التمييز لم يكن عشوائيًا أو عبثيًا، بل يستند إلى العودة العميقة والجذرية لأصل الضبط لكل لفظة والعمل على استيعاب تفاصيلاتها الدقيقة في السياق الدلالي.

ومن بين العلماء الذين دمجوا بين لفظي "البرية" و"الذرية" وافترضوا ترادفهما في المعنى، إبراهيم اليازجي، فقد عرض هذا المفهوم في كتابه "نجعة الرائد" من ضمن الباب الأول الذي يعالج موضوع الخلق وأحوال الفطرة وما يرتبط بها من مفاهيم. في هذا الموضع، أشار إلى أن "برأ الله الخلق" تتضمن معاني متعددة مثل الفطرة والتكوين والتشكيل، وذكر أنَّ الله خلقهم وأوجدهم وصوّرهم بأشكالهم المختلفة، وأضاف أن هذه المفاهيم تشمل مصطلحات مثل البرية والخليقة والورى، مما يدّل على تداخل هذه الكلمات في التعبير عن الفكرة المتعلقة بخلق

الإنسان والكائنات، وبهذا الطرح يظهر أن اليازجي تعامل مع تلك الألفاظ بوصفها مترادفات تعبَّر عن الفعل الإلهي المتمثل في الخلق والجعل والإبداع.[1]

2_ الخوف والتوجس:

الخوف هو شعور مشتق من الجذر اللغوي "خفَّ"، إذ إنّ الكلمة ترتبط بمعنى خفّة الشيء وتقليله من إذالوزن أو الأثر، فعندما نقول "خفَّ الشيء"، فإنَّ ذلك يعني أنه أصبح أقل ثقلاً أو أكثر خفة، وهذا الاشتقاق اللغوي يحمل في طياته دلالة عميقة تُشير إلى التخفف من حالة الثقل سواء على المستوى المادي أو المعنوي، أما فيما يتعلق بالتركيب المعنوي، فإن الخوف يُعبّر عن حالة شعورية تناقض و معاني الثبات والاستقرار أو الرزانة وتخالفها ، فهو يُلقي بثقله على الإنسان رغم اشتقاقه من مفهوم الخفة.[2]

و التوجس يعود في أصله اللغوي إلى اشتقاقه من كلمة "الوجس"، التي تعني الإصغاء أو التسمع إلى صوت خافت أو خفي للغاية، وعن طريق تحليل المعنى الدلالي لهذا التركيب، يمكن استنتاج أنه يشير إلى شعور داخلي ممزوج بالترقب والحذر، إذ يترافق هذا الإحساس و الانتباه أو الإصغاء لمحاولة تمييز ما قد يكون غامضًا أو غير واضح في محيط الشخص.[3]

يتضح من المعنى الأول لكلمة "الخوف" أنّه يشير إلى حالة من الخفّة التي تتعارض تمامًا و الثقل والاتزان، بإذيبدو الشخص الذي يعاني من الخوف وكأنه فقد السيطرة على ذاته، فتطرأ عليه حالة تجعله قد يقوم بأفعال غير محسوبة أو مدروسة دون أن يكون واعيًا تمامًا لما يفعل، أما في السياق الآخر، فإنَّ التركيب الثاني يظهر أنَّ الخوف يتضمن إحساسًا داخليًا قوّيًا

(1) نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي: 1.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 156.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 476.

مصحوبًا بانتباه شديد لما قد يسمعه أو يلحظه الشخص، مما يكشف عن تباين جوهري بين هاتين الحالتين، ومن هذا المنطلق، قام الدكتور أحمد مختار عمر بإدراج كلمتي الخوف والتوجس من ضمن معجمه المسمى "المكنز الكبير" بعدّهما مترادفين، ليضفي عليهما دلالة مشتركة تُعبّر بشكل أوسع عن مفهوم القلق والخشية بمختلف تجلياتها.[1]

3_ اللمس والمس:

اللمس مأخوذ من الجذر "لمس"، وهو فعل يشير إلى الحركة التي يتمَّ فيها ملامسة الأجسام باستعمال اليد أو بحاسة اللمس عمومًا، ويُقال لمس الشيء يلمسه ويلامسه، ليعبّر عن الفعل الذي يقوم به الإنسان عند التفاعل الفيزيائي المباشر مع سطح أو جسم ما، أمّا من إذالمعنى التركيبي، فإنَّه يوحي بالسعي نحو إدراك الشيء أو الإحساس به عن قرب، و يعبّر عن حالة التماس أم الاتصال المباشر به، سواء أكان ذلك بهدف الفحص أم الاستكشاف أم الشعور بحقيقته.[2]

والمس: مأخوذ من الجذر اللغوي "مسس"، إذيُقال مسستُ الشيء بمعنى لامسته أو تحسسته باليد، ويشير هذا الجذر إلى عملية جسّ الشيء أو استطلاعه بالملامسة والتفاعل عبر اللمس.[3]

فمعنى الضبط الأول "اللمس" يحمل دلالة معنوية، بينما التركيب الثاني "المس" يشير إلى الحس المادي، أي الشعور بالشيء بواسطة اليد بشكل ملموس، وهو ما يميّز بينهما، وقد أورد

(1) المكنز الكبير، د. أحمد مختار عمر: 95.

(2) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 2 /414.

(3) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 426.

البحراني في كتابه "بهجة الخاطر" تفريقًا بين اللفظين ، إذأشار إلى أن "المس" يمكن أن يحدث بين جمادين، بينما "اللمس" ينحصر بين الكائنات الحية بالنظر لارتباطه بالإدراك.[1]

(1) بهجة الخاطر ونزهة الناظر، يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني : 47.

المطلب الثالث

ضبط الكلمة بالعبارة

لقد اشترط بعض العلماء أن يكون الاتصال بين التابع والمتبوع خاليًا من وجود حرف الواو بوصفه فاصلاً بينهما، وكان على رأس هؤلاء العلماء أبو عبيد القاسم بن سلام، الذي ذهب إلى الإقرار بعدم جدوى استعمال التابع إذا تم الفصل بينه وبين المتبوع بواو، فقد عدّ أن هذا الحرف يخل بالمعنى المراد ويضعف الرابط الأصلي بين الطرفين، وقد استند في هذا الرأي إلى نهج الأصمعي، متبعًا الطريق نفسه في دعم قاعدته اللغوية وتوجهه الدقيق إلى قوة السياق وارتباطه الداخلي.[1]

والكلمة الثانية في الضبط يجب أن تتميز بعدة شروط لتتماشى مع قواعد اللغة، وينبغي ألا تكون مشتقة من أصل لغوي واضح، وألا تحمل معنى مستقلاً بنفسه، و لا يمكن استعمالها بشكل منفصل، فضلا على ذلك، يجب أن تكون على نفس الوزن الصوتي للكلمة التي تتبعها، وذلك لضمان الانسجام اللغوي والتناغم في السياق، أما إذا كانت تحمل معنى قائماً بنفسه ويمكن استعمالها بشكل منفرد، فإنها عندئذ تُعَدّ توكيداً وليس إتباعاً، ومن أمثلة ذلك: "قسيم وسيم" أو "خاسر دامر"، وبذلك يتضح الفارق الرئيس بين الإتباع الذي يهدف إلى تحقيق تجانس صوتي و التوكيد الذي يعّزز المعنى بتكرار دلالي.[2] وعندما تأتي الكلمة الثانية بمعنى، فإن هذا المعنى لا يكون هو الغاية الرئيسة أو الهدف المباشر من استعمالها في داخل الكلمة التابعة، بل تكمن الفكرة الرئيسة في إنشائها أو اختيارها في تحقيق نوع من الإيقاع الصوتي المتناغم أو الانسجام السمعي بين الكلمتين، وهذا التناغم الصوتي يظل هو الجوهر، سواء

(1) الإتباع والمزاوجة في الدرس اللغوي الحديث ، عطية سليمان أحمد : 15.

(2) نصوص في فقه اللغة العربية، يعقوب : 2 /333.

أكانت الكلمة الثانية تحمل دلالة واضحة تؤدي وظيفة معينة أم كانت مجرد عنصر إضافي يخدم الغاية الصوتية دون التركيز على معناها.[1] وعلى هذا النحو، فإن الغالبية العظمى من الأمثلة المتبعة لضبط الكلمة باستعمال العبارة تشير إلى أنْ تكون طرفا العبارة اسمين متتابعين دون وجود أي فاصل بينهما، فضلاً على ذلك، يجب أن تكون الكلمة الثانية خالية من أي معنى مستقل بنفسها، إذ يصبح الأسلوب أكثر انسجاماً مع مفهوم الإتباع وقواعده اللغوية، مما يجعل التركيب اللغوي مشدوداً إلى هذا النمط البلاغي بشكل أوضح وأكثر تأصيلاً، ولقد عرض الزبيدي مفهوم المزاوجة في معجمه تاج العروس موضحًا معناها وأثرها في اللغة، وأشار إلى أن المزاوجة توازي الازدواج في المعنى، إذ يشترك المصطلحان في الدلالة على نوع مخصوص من التوافق اللغوي الذي يظهر في الكلام، وقد أوضح أن ازدواج الكلام أو مزاوجته يتمثل في تلك الحالة التي يتشابه فيها أجزاء النص أَما من حيث السجع، وهو توافق الحروف الأخيرة في نهايات الجمل، أو من حيث الوزن، الذي يشير إلى تناسق إيقاعات الكلمات والجمل، و أضاف أنَّ مثل هذه المزاوجة قد تكون قائمة على وجود ارتباط وثيق بين قضية وأُخرى، إذ تُكمّل أو تُعضِّد إحداهما الأُخر لتعزيز القيمة الفكرية والبلاغية للنص.[2]

وعند تصفح كتاب "العباب"، نجد أن الصغاني يعرض هذا الأسلوب في عدة مواضع دون الإشارة إلى مصطلح "المزاوجة"، ويظهر أنه لم يميّز بين الإتباع والمزاوجة بشكل واضح، ويبدو أنَّ الصغاني، كغيره من العلماء القدماء، لم يعطِ اهتمامًا كبيرًا لمسألة التفرقة بين المصطلحين، وربما كانت ظاهرة المزاوجة تُصنّف تحت مسمى الإتباع في تلك الفترات، ومع مرور الوقت، ظهرت محاولات للتفصيل بين الاثنين عبر تحديد الفروقات بينهما، إلا أنَّ هذه المحاولات ظلت

(1) ينظر : الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، عطية سليمان أحمد : 13.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي: 26.

محفوفة بالعقبات، إذغالبًا ما كانت النتائج تتعرض للنقض بسبب صعوبة إيجاد حدود واضحة تفصل بين الإتباع والمزاوجة.

قال الصغاني: "الفردوس، الأودية التي تنبت فيها مختلف أنواع النباتات تمثل جزءاً من الطبيعة التي تحوي أشكالاً متعددة من الحياة النباتية، فهناك من يقول إنَّ الفردوس يشير إلى البستان الممتلئ بالأشجار والنباتات المنوعة".[1] وقيل إنَّ أصل هذه الكلمة مشتق من اللغة السريانية بمعنى البستان، بينما يرى بعضهم أنها رومانية الأصل وتشير إلى حدائق غنية بالنباتات، أما عند العرب، فإن معنى الفردوس قد توسع ليشمل جميع الأشياء التي توجد في البساتين، من كروم وأشجار وأنواع مختلفة من الخضرة.

ويبدو أن الصغاني قد اكتفى بالإشارة فقط إلى نقطة معينة تتعلق بالسريانية، دون تقديم تأكيد قوي أو دليل قاطع يثبت صحة القول بأن الفردوس له علاقة مباشرة باللغة السريانية.

وبإيجاز يمكن القول إن مفهوم المزاوجة لا يبتعد عن الإتباع، بل إنهما يتطابقان من إذالمعنى والاستعمال ، فكل ما يُطلق عليه إتباع يمكن أن يُسمى مزاوجة، او الخلاف صحيح، ولا يوجد في الواقع فرق جوهري بين المصطلحين يمكن تطبيقه بشكل عملي للتفريق بينهما، سواء أتعلق الأمر بالعبارات المصنَّفة تحت المزاوجة أم تلك المصنَّفة ضمن الإتباع، لكن ما يميز الإتباع تحديداً هو أنَّ الكلمة الثانية قد تأتي بمعنى دلالي واضح، أو قد تكون خالية من المعنى تماماً.

(1) ينظر : العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 319، 320.

الفصل الثاني

آراء الصغاني في الوقوف على دلالة الألفاظ

المبحث الأول : الظواهر اللغوية (الترادف، الاشتقاق، المشترك اللفظي)

المبحث الثاني : (الحذف ، والاختصار ، والزيادة)

المبحث الثالث : تفسير المعنى المعجمي

الفصل الثاني

آراء الصغاني في الوقوف على دلالة الألفاظ

توطِئة :

تتنوع المعاجم على وفق المقاصد والأهداف التي وضعها مصنِّفوها، فمنها ما سعى مؤلفوها إلى الإحاطة باللغة وجمعها وصون أكبر قدر ممكن من ألفاظها ومعانيها، ومنها ما ركز على الاقتصار على الصحيح الفصيح واستبعاد ما يخالفه، في حين اختص بعضهم بكتابة معاجم تعرضت موضوعات معينة، مثل المعاجم المختصة، والمعاجم الموضوعية، ومعاجم الأبنية، ومعاجم الألفاظ التي تعالج اختلاف الدلالات من إذالفروق والترادف والتضاد، فضلًا عن ذلك عنت بعض المؤلفات بحماية سلامة اللغة عن طريق دراسة أوجه الخطأ الشائعة لدى العامة والمخصوصة، و توجد أيضًا المعاجم المدرسية وغيرها من الأنواع التي تلبي احتياجات وأغراضًا مختلفة.

ومن بين أولئك الذين وجهوا جهودهم التأليفية نحو العمل المعجمي بشكل مخصوص واستثنائي، برز العالم اللغوي "حسن الصغاني" وكان الصغاني صاحب رؤية واضحة وغاية محددة انعكست بشكل مباشر في كل ما كتبه ودوّنه، إذ تجلى ذلك بوضوح في أحد أبرز أعماله، وهو معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر، هذا العمل لا يعد كتاباً في علم اللغة فقط بل يكوّن إضافة عظيمة وثمرة جهد استثنائية تنمَّ عن عمق فكره ودقة منهجه في عرض اللغة العربية ومفرداتها، مما جعله يحظى بمكانة مميزة بين المؤلفين المعجميين في زمانه حتى الأزمنة اللاحقة.

ولا يخفى على من تأمل بعمق في المعاجم العربية وما كتبه أعلام اللغة وأبرز مؤلفيها المرموقين، أن كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) يعد من بين أهم وأشهر الكتب اللغوية التي ظهرت عبر العصور، فهو ليس مجرد معجماً لغوياً محدود النطاق، بل هو موسوعة متعددة الأوجه وموضوعاته زاخرة بمختلف صنوف المعرفة، ورغم أنه قد يُصنف من ضمن كتب المعاجم التقليدية، إلا أنه ينماز عن غيره بما يحتويه من مادة غنية ومتنوعة، إذ يغترف القارئ منه ما يثري الفكر ويغني الطالب بالايضاح الوافي من فنون العلم والمعرفة.

فهذا الكتاب الفريد يكوّن مرجعًا لا غنى عنه للباحثين وطلاب العلم في المجالات والتخصصات، فهو يقدِّم محتوى يستجيب لاحتياجات اللغوي الذي يبحث عن الدقة والأصالة، والنحوي المهتم ببناء الجملة وصقل المعاني، والصرفي الذي يتقصّى أصول الكلمات وتطورها. و يخاطب الأديب والناقد الباحثين عن أدوات تسهم في إثراء نصوصهم وتحليلها، والمفسر الذي يحتاج إلى تبيان دلالات الألفاظ لفهم النصوص الشرعية، والعالم العقدي الذي يعمق البحث في معاني العقيدة، والأصولي والفقيه الساعيين إلى استنباط الأحكام الشرعية، بل حتى غيرهم من أهل العلم يجدون فيه بغيَتهم ومبتغاهم .

يُعد (العباب الزاخر واللباب الفاخر) من النوعية الموسوعية للكتب التي لم تقتصر على تقديم مفردات اللغة ومعانيها فقط ، بل اعتمدت أسلوبًا شموليًا جعل منها مصدرًا مرجعيًا معتمدًا في شتى علوم العربية والعلوم الشرعية الأُخر.

ويعرض هذا الفصل بالتحليل والشرح المرتكزات الرئيسة التي يعتمد عليها منهج التيسير المعجمي في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر، فضلًا عن توضيح مفهوم التلخيص وأثره، ويُظهر الفصل كيف أنَّ هذه الطريقة تسهم بشكل فاعل في تعزيز بناء الملكة اللغوية لدى المتعلِّم، مما يجعل استعمال المعجم ليس وسيلة للبحث عن معاني الكلمات، بل أداة تعليمية

مؤثرة قادرة على دعم دراسة اللغة العربية بعمق وفاعلية، و يُظهر الفصل أثر هذا النهج في تسهيل توظيف الكلم العربي بشكل أكثر تسويغاً في الاستعمال في مختلف السياقات، ولا يغفل النقاش الإشارة إلى ريادة المؤلف الصغاني، الذي استطاع أن يسبق غيره من المختصرين في تطبيق هذا التوجه، مما جعله من أوائل من وضع أساسًا قويا لهذا الأسلوب المعجمي الفريد.

المبحث الأول

الظواهر اللغوية (الترادف، الاشتقاق، المشترك اللفظي)

تعدُّ دراسة البنية الدلالية للكلمة واحدة من أكثر المجالات اللغوية تعقيدًا وتشابكًا، إذإنها تمثل أحد أصعب فروع علم اللغة وأدقها[1]، ويزداد هذا التعقيد عندما يتعلق الأمر بدراسة لغة قبيلة أو جماعة بشرية تربطنا بها مسافات زمنية تمتد إلى مئات السنين، مما يضيف تحديات إضافية لصعوبة البحث في هذا المجال، ولهذا السبب تحديدًا نجد أن العديد من الباحثين المحدثين قد أظهروا عزوفًا ملحوظًا عن دراسة هذا الجانب، إذ إن الكثير من الأعمال الأكاديمية والكتب المهمة التي ظهرت في مجال علم اللغة خلال العقود الثلاثة الأخيرة لم تولِ علم الدلالة إلا جزءًا صغيرًا من اهتمامها، بل إنّ بعضهم تجاهله تمامًا، ويعود هذا الإهمال بشكل رئيس إلى التشكيك الشائع بين عدد كبير من اللغويين في العصر الحديث، الذين يرون أن دراسة المعنى لا يمكن أن تحقق ذات الدرجة من الموضوعية والدقة التي ينماز بها تحليل النحو أو دراسة علم الأصوات، على الأقل على وفق الأدوات والمناهج المتاحة في الوقت الحالي.[2]

(1) ينظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، نايف خرما : 413.

(2) ينظر: علم الدلالة ، جون لاينز: 9،10.

أولاً: الترادف:

الترادف : استعمال مجموعة من الألفاظ المفردة للتعبير عن معنى واحد، يتمُّ النظر إليه من زاوية واحدة أو لحاظ معين،[1]، وبمعنى آخر الترادف يشير إلى وجود أكثر من لفظ يمكن أن يؤدي الغرض نفسه في إيصال الفكرة أو المعنى، ومع ذلك يجدر بالذكر أن هذه الظاهرة ليست قاعدة ثابتة أو أصلاً متجذرًا في اللغة، وكما أوضح (ستيفن أولمان)، فإن وقوع الترادف الكامل أو المطلق هو أمر نادر للغاية، إذتشير المَلاحِظ اللغوية إلى قلَّة الأمثلة التي تنطبق عليها هذه الحالة بصرامة.[2]

ويرجع ابن جني "هذه الظاهرة إلى اختلاف القبائل واختلاط الأقوام، إذيفسّر ظهور الألفاظ المتعددة للمعنى الواحد بأنها ناتجة عن تأثير لغات متعددة على لغة الفرد، فإذا وُجدت في كلام شخص واحد ألفاظ مختلفة تعبّر عن نفس المعنى، فمن المرجّح أن ذلك يعود إلى اكتسابه تلك الألفاظ من قبائل متعدّدة، إذ يصعب أن تتفق قبيلة واحدة على تنوع جميع تلك الألفاظ لمعنى واحد، وهذا تفسير أول، أما التفسير الآخر الممكن، فهو سماح القياس اللغوي بتعدد الألفاظ داخل نفس القبيلة، كما يظهر في كثرة الأسماء المعطاة للأسد والسيف والخمر وغيرها، وفي حال وجود هذا التنوع، يُرجَّح أن يكون نتاج تداخل لغات جماعات مختلفة اجتمعت وتأثرت ببعضها، مما أثّر في لغة الشخص الواحد".[3]

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي : 1/ 402.

(2) دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان: 97.

(3) الخصائص، ابن جني : 1/ 373.

مما ورد عند الصغاني في هذا السياق هو استعمال لفظ "القلف" بمعنى "الكرب"،[1] ويُلحظ أن لهذا المعنى الكثير من الألفاظ التي تشير إليه، إذأشار ابن دريد إلى أن "القلف" يُطلق على أصول السعف، وهو ما يسمّى في الفارسية بـ"الدفوج"،[2] و نسب ابن دريد من يستعمل "القلف" بهذا المعنى إلى الأزد،[3] في حين أن هناك من يطلق عليه اسم "الكرانيف".[4]

نلحظ وجود الكثير من الألفاظ التي تستعمل للتعبير عن المعنى نفسه ، إذيختلف اللفظ باختلاف القبائل ومناطقهم، بينما تظل الدلالة ثابتة ومشتركة.

ومن الكلمات المترادفة نجد كلمة "غس"، التي تعني الدخول في شيء والمضي فيه، وهذه الكلمة تُعدّ من لغة قبيلة تميم،[5] وردت في قول رؤبة:

كالحوتِ لَمَا غَنَّ فِي الأنهار.[6]

أعتقد أن هذا الفعل يُعدّ من المترادفات ؛ لأنَّه يتوافق في المعنى و الفعلين: دخل ومضى.

أما استعمال كلمة (الزحلوفة) للدلالة على آثار تزلج الصبيان من قمة التل إلى أسفله، فهو يعود إلى لغة أهل العالية، في حين أنَّ قبيلة تميم تنطقها بالقاف.[7]

---

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 491، 492.

(2) ينظر : جمهرة اللغة، ابن دريد : 1/ 327.

(3) ينظر : جمهرة اللغة، ابن دريد : 2/ 672.

(4) جمهرة اللغة ، ابن دريد : 1/ 214.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 308،309.

(6) تهذيب اللغة، الأزهري : 8/ 9.

(7) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 236، 237.

و بالنظر لعدم وجود تقارب أو تماثل في المخارج الصوتية بين الحرفين "الفاء" و"القاف"، فإنه من غير الممكن أنْ يحدث إبدال بينهما في الاستعمال أو النطق، ويتجلى هذا الأمر بوضوح عِبر ما أكّده الشعراء في نظمهم القصائد، إذ تظهر كلماتهم بصياغة دقيقة ومتمايزة، سواء في الروي الذي ينتهي ب(الفاء) كما في القصائد الفائية، أو ب(القاف) كما في تلك ذات الروي القافي، ومن الأمثلة البارزة على ذلك نجد قول الشاعر أوس بن حجر، الذي أبدع في تصوير هذا التفريق عبر أبياته الشعرية، مما يقدم برهانًا إضافيًا على تمييز هذين الحرفين في البناء اللفظي والمعنوي على السواء، فيقول:[1]

قلب قيوداً كَأَنَّ سواتها صفا، قد زلقته الرحالف

وقول العجاج: [2]

والشمس قد كادت تكون دفا أنفها بالراح كي تزحلقا

وهذا يشير إلى أنّ كلا الكلمتين تُعدَّان أصلًا مستقلًا، وليست إحدى الكلمتين تطورًا عن الأُخر. و من ثمَّ، إذا كانت المادتان أصليتين، فإنهما تندرجان من ضمن مفهوم المترادفات.[3]

ثانياً: الاشتقاق:

يمكننا الانطلاق بالإشارة إلى أن مفهوم وحدة الدلالة الاشتقاقية وتنوعها قد حظي باهتمام واضح لدى العلماء القدامى، فقد تجاوز هذا الاهتمام حدّ الاعتناء المجرد، ليصل إلى تأليف معاجم ترصد طبيعة الدلالة اللغوية، سواء أكانت وحيدة أم متعددة، وأحد أوضح الأمثلة على

(1) الديوان، أوس بن حجر : 67.

(2) الديوان، العجاج : 494.

(3) ينظر : من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس : 82،83.

ذلك ما نجده بشكل جلياً عند اللغوي أحمد بن فارس في معجمه "مقاييس اللغة"، إذسعى إلى الوقوف على الدلالات الأصلية لكل مادة لغوية، ثم تفسير دلالات مشتقاتها المختلفة في ضوء تلك الدلالة الاشتقاقية. (1)

كما تأثر مجموعة من العلماء بخطى ابن فارس، مثل "الصغاني" الذي استعمل منهجه في بناء معجمه "العباب"، مضيفًا إليه المزيد من الاستعمالات المرتبطة بمواد معجمه، وفي الوقت ذاته، عرض بعض العلماء فكرة وحدة الدلالة الاشتقاقية وتعددها دون أن يؤلفوا لها كتبًا مخصوصة ، بل اكتفوا بتضمينها في أبحاثهم الأدبية واللغوية، مثل ابن قتيبة والزجاجي وغيرهما.(2)

اعتمد الصغاني في شرحه مواد معجمه على إظهار الدلالات الاشتقاقية لمعظم المواد الواردة فيه،(3) ففي بعض المواد، أشار إلى دلالة اشتقاقية واحدة تتفرع عنها معانٍ متعددة على وفق استعمالات المادة اللغوية، بينما في مواد أُخر، عرض أكثر من دلالة اشتقاقية، إذتتفرع عن كل واحدة منها مجموعة من المعاني، وذلك بناءً على السياقات اللغوية المختلفة واستعمالاتها المتنوعة.

يتجلى ذلك بوضوح عِبر المواد الواردة في معجمه ، ومن ذلك :

(حلأ) قال "الصغاني" في شرح مادة (حلأ): "... والتركيب يدل على تنحية الشيء".(4)

---

(1) علم الدلالة ، عبد الكريم محمد حسن جبلدار : 28.

(2) فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك : 75،76.

(3) المعجمات العربية، الرديني : 89.

(4) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 1/ 45.

توضح هذه الدلالة لمادة "حلأ" استنادًا إلى استعمالاتها ومعانيها على النحو الآتي : عندما تقوم بحكِّ حجر على حجر آخر، ثم تستعمل نتيجة الحك كمادة للحك مرة أُخر، تُسمّى تلك المادة "حلاء"، وفي عملية الحكِّ، يحدث إزالة أو تنحية لما يتم حكّه، وقيل إن "حلأت الجلد" تعني قشرته، والقشرة التي يُقشّرها الدباغ من الجلد الملاصقة للحم تُسمّى "حلاءة"، وعملية قشر الجلد تُعد إزالة طبقة منه، ومن باب التشبيه أُطلق مصطلح الحلاء على نوع من الأحياء التي تنتزع سمومها على الطريقة نفسها التي يُزال فيها الرمل من العين باستعمال الكحل عند الحك، كما يُقال: "حلأته بالسوط" إذا جلدته به، و"حلأته بالسيف" إذا ضربته بالسيف، وقد ينتج عن الجلد أو الضرب تقشّر في طبقة جلد الإنسان.

وحالتُه مئة درهم، بمعنى أنني قد أعطيته هذا المبلغ وكأنني بذلك أُزيح عنه مشقّته وألبي حاجته التي تعذر عليه قضاءها بنفسه، وفي سياقٍ آخر، يُقال "حلَّت الإبل عن الماء" عندما يتم طردها بعيدًا عن المورد ومنعها من الاقتراب للشرب منه، وبالتالي يصبح المعنى الذي يحمله الفعل "حلَّ" مرتبطًا بفعل الطرد والمنع، بالإضافة إلى الإشارة إلى التنحية والإبعاد، أي كأنك في هذه الحالة قمت فعليًا بإبعاد الإبل عن مورد الماء، مانعًا إياها من الوصول إليه.[1]

وبذلك استطاع الصغاني أن يجمع هذه المعاني الفرعية من ضمن دلالة اشتقاقية موحّدة تُعبّر عن إبعاد الشيء أو تنحيته.

ومن ذلك (نتأ): وقال في شرح مادة (نتأ): " ..... والتركيب يدل على خروج شيء من موضعه من غير بينونه".[2]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 44/1، 45.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 1 /118.

ذكر الصغاني دلالة اشتقاقية رئيسية واحدة يُمكن أن تتفرع منها بقية المعاني الأُخر، وذلك بناءً على السياقات المختلفة التي تستعمل فيها الكلمة، فرأى أن كل شيء يرتفع عن سطح الأرض، سواء كان من النبات أو غيره، يُطلق عليه وصف "ناتئ"، وعلل ذلك بأن النبات، عند بداية نموه وخروجه من التربة، يظهر بشكل يكاد أن يكون غير ملحوظ للعين المجردة، إذيكون طلوعه في مراحله الأولى متدرجًا وبسيطًا، وهذا التفسير يظهر ارتباط المعنى الجوهري بالأصل الأولي الذي يبدو عليه الشيء المرتفع عن محيطه.

ثالثاً: المشترك اللفظي:

المشترك اللفظي: يشير المفهوم إلى قدرة الكلمة على التعبير عن أكثر من معنى بلفظ واحد، وقد وصفه السيوطي بأنه اللفظ المفرد الذي يحمل معنيين أو أكثر.[1]

وقد أوضح إبراهيم أنيس أنَّ هذه الظاهرة تُعد مستجدة في اللغة، وأنَّ ظاهرة المشترك اللفظي ليست من أصولها، فقد أفاد بأنَّ الأصل في جميع اللغات هو أن يكون لكل لفظ معنى واحد فقط، ومع ذلك قد يحدث أحيانًا أن يستعمل لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين تمامًا، وهي الظاهرة المعروفة بالمشترك اللفظي، وأشار إلى أنَّ هذا الأمر موجود في مختلف اللغات ولكنّه محدود ولا يتجاوز عددًا ضئيلًا جدًّا من مفردات اللغة.[2]

و أوضح أسباب وجود المشترك اللفظي اختلاف لغات العرب وتوظيف المجاز، وقد أشار ابن سيده منقولًا عن أبي علي الفارسي إلى "أن توافق لفظين مع اختلاف معنييهما لا يُفترض أن يكون أساسًا مقصودًا في الوضع اللغوي أو قاعدة له، بل ينشأ ذلك إما من تداخل بين لغات

(1) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي : 369/1.

(2) ينظر : دلالة الألفاظ ، إبراهيم أنيس : 212.

متعددة، أو نتيجة استعمال كل لفظة في معنى معين ثم استعارتها لمعانٍ أُخر، حتى يصبح هذا الاستعمال الجديد أكثر شيوعًا وغلبة، فيغدو وكأنه الأصل".[1]

لقد بذل بعض الباحثين جهودًا واضحة في محاولة ربط المشترك اللفظي بين الكلمات وردّها إلى أصلٍ واحدٍ يحمل دلالة موحدة، وذلك عن طريق تحليل استعمالاتها المختلفة بناءً على التغيرات السياقية واللهجات القبلية، فعلى سبيل المثال، نجد كلمة *الضبس* تعني في لغة قبيلة قيس "الداهية" أو الشخص المتميز بالذكاء والفطنة في مواجهة المواقف الصعبة، بينما تستعمل عند قبيلة تميم بمعنى "الحبّ"، وهو ما يظهر للوهلة الأولى تبايناً دلالياً واضحاً، ومع ذلك، إذا تعمقنا في دراسة العلاقة بين هذه المعاني، نجد أن "الخب"[2] عند تميم يُفسّر أيضًا بمعنى "الخداع"،[3] ما يُظهر جسرًا دلاليًّا مشتركًا بين المفهومين.[4]

ويمكننا لحاظ ارتباط ضمني بين الاستعمالين؛ ففي الحياة العملية، يتصف الداهية غالبًا بالقدرة على المكر والحيلة، وهي صفات تتماشى مع مفهوم الخداع الذي قد يُمارس لتحقيق أهدافٍ تتطلب الذكاء والتخطيط المحكم، ولا سيما تجاه الأعداء، وبناءً عليه يبدو أن معنى كلمة "الضبس" في لهجة قيس يعكس المفهوم العام للداهية بمختلف أبعاده وصفاته الشاملة، إذ يشمل الحيلة والفطنة بوصفها مكونات رئيسة ، أما عند تميم، فقد ضاق هذا المفهوم ليقتصر على جانبٍ محددٍ منه وهو الخداع تحديدًا، مما يُظهر كيف يمكن لتغير الاستعمال اللهجي أن يُعيد تكوين السياق والدلالة العامة للكلمة.

---

(1) المخصص في اللغة ، ابن سِيده : 5 /259.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 232.

(3) لسان العرب ، ابن منظور : 1 / 341.

(4) لغات قيس، محمد أحمد سعيد العمري : 347.

ويمكن تفسير هذه التغيرات التي تحدث في معاني الكلمات عند بارتباطها بمفاهيم التضييق والاتساع والانتقال، و عادةً ما يكون الاتساع والتضييق نتيجة مباشرة لعملية الانتقال نفسها في أغلب الحالات.[1]

والتضييق يشير إلى عملية حصر أو تخصيص الدلالة اللغوية، إذ يتّم تقييد معناها العام ليصبح معنى محددًا ومخصصًا أكثر وضوحًا، ومن ناحية أُخرى يُفهم التوسيع على أنه "إطلاق اسم يرتبط بنوع معين ضمن إطار أوسع من الجنس ليشمل الجنس بأكمله"،[2] وهذا يُعدّ من التعميم في اللغة، وعلى سبيل المثال يستعمل مصطلح (الوَرْد) ليس للإشارة إلى نوع معين من الزهور فحسب، بل ليصبح رمزًا يشمل جميع أنواع الأزهار المختلفة، وكذا يُطلق لفظ البأس ليدل على كل أوجه الشدة والمشقة، رغم أنَّ أصله اللغوي يستعمل للدلالة على مفهوم الحرب بشكل مخصوص.[3]

ومن الواضح أنَّ الصغاني ربط قضايا المشترك اللفظي بتقارب اللهجات، مستندًا في ذلك إلى توضيح صريح لهذا الربط، وتأصيل بعض الاستعمالات عبر إثباتها عن طريق السماع.

ولقد أورد الصغاني بعض الكلمات التي تندرج تحت مفهوم المشترك اللفظي، ومن بينها كلمة "السليط"، التي تشير إلى الزيت عند معظم العرب،[4] فضلا عن ذلك أشار الصغاني إلى أنَّ الكلمة تستعمل أيضًا للدلالة على دهن السمسم، ونسب هذا الاستعمال إلى لهجة أهل اليمن،[5]

---

(1) اللغة ، جوزيف فندريس : 231.

(2) اللغة ، جوزيف فندريس : 257.

(3) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ، د.رمضان عبد التواب : 197.

(4) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 88 ، الصحاح ، الجوهري : 1134/3.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /88.

معتمدًا في ذلك على ما ذكره الجوهري،[1] وقد وافقه ابن منظور في هذا الرأي،[2] وعلى النقيض خالفهما كل من ابن دريد[3] وابن فارس،[4] إذ عدَّا "السليط" لفظاً يشير إلى الزيت في لهجة أهل اليمن، بينما يدل على دهن السمسم في لهجات بقية العرب.

ويتضح أن مفهوم السليط في كلتا اللهجتين متقارب، إذيشير إلى الزيت أو دهن السمسم، إلَّا أنَّ إحدى اللهجتين اتخذت تخصيصًا لدى بعض القبائل، مثل أهل اليمن، لتقتصر على دهن السمسم تحديدًا، بينما ظل المصطلح يشير إلى الزيت بشكل عام عند غالب العرب.

ويتضح أن للصغاني مساهمة واضحة في معالجة هذه القضية، إذنقض رأي ابن دريد وقدم تصحيحًا له بقوله إن الأمر ليس كما ذكر ابن دريد، وأوضح الصغاني أنه قد استمع إلى أهل مكة – حرسها الله – وكذلك أهل تهامة واليمن، وهم يطلقون على دهن السمسم اسم السليط.[5]

(1) الصحاح ، الجوهري : 3 / 1134.

(2) لسان العرب ، ابن منظور: 7 / 320.

(3) جمهرة اللغة ، ابن دريد : 2 /836.

(4) مقاييس اللغة ، ابن فارس : 3 / 95.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 88.

المبحث الثاني

(الحذف ، والاختصار، والزيادة)

لقد اعتنى أصحاب المعجمات القديمة باتباع أساليب متنوعة للتيسير على مستعملي معجماتهم، وأبرز تلك الأساليب تمثلت في الاختصار والإضافات التي تهدف إلى تبسيط الفهم ودعمه للمصطلحات الغامضة والمعقدة، فالاختصار كان أداة رئيسة ركّزت على تقديم الألفاظ والمصطلحات بشكل مقتضب دون إسهاب في الشرح غير الضروري، ومن جهة أُخر جاءت الإضافات لتسهم في تقديم شرح أعمق وأكثر تفصيلاً لبعض الكلمات التي تحتاج إلى إيضاحات إضافية لتبديد اللبس والغموض.

وإذا تأملنا الفرق بين الاختصار والإضافة، نجد أن لكل منهما وظيفة مستقلة ومكملة الأُخرى. فالاختصار يعنى بتقديم الألفاظ بأقل قدر من الكلمات المركّزة، بينما تسعى الإضافات إلى تقديم تفاصيلات إضافية تسهم في توضيح السياقات التي تستعمل فيها تلك الألفاظ، ويمكن القول إنّهما يمثلان وجهين تكامليين لعملة واحدة، إذ إنَّ كلاً منهما لا يغني وحده عن الآخر.

إذ اعتمدت هذه الأساليب بشكل كبير على الإيجاز والدقة، إذ كان الهدف منها معالجة زيادة حجم المعجمات و من ثمَّ تسهيل استعمالها وتقليل الوقت المستغرق في تقصي المعاني المطلوبة، ولهذا نجد الاقتصار على جوهر المعنى دون الانشغال بالحواشي أو التفاصيلات الزائدة كان أسلوباً مستعملاً في أغلب الأحيان.

المطلب الأول

الحذف

الحذف لغةً: يعني القطع، وقد ذكر ابن منظور أنَّ الحذف يتمثل في "قطع الشيء من طرفه"، موضحًا أنَّه يقال "حذف الشيء يحذفه حذفًا، بمعنى قطعه من أطرافه".[1]

ويُعرف اصطلاحاً: بأنَّه إسقاط كلمة تُستبدل بأُخر تقوم مقامها، أم حذفٌ لبعض الألفاظ مع اعتماد بقية النص للإشارة إلى المعنى المتروك.[2]

ويتم تحقيق ذلك عِبر حذف أحد العناصر الرئيسة أو الثانوية التي تكوّن بنية الجملة، سواء أكانت هذه العناصر ذات طبيعة إسنادية أم غير إسنادية، وعلى سبيل المثال يمكن حذف المبتدأ الذي يمثل الركيزة الرئيسة للجملة، أو حذف الخبر الذي يكمل معناها ويوضح مضمونها، فضلاً على ذلك قد يتضمن الحذف الفاعل ايضاً ، وهو العنصر الذي يدل على من

(1) لسان العرب : ابن منظور : 9 /40.

(2) رسالتان في اللغة ، أبو الحسن الرماني : 70.

قام بالفعل، أو المفعول به الذي يقع عليه تأثير الفعل، وجميع هذه الأشكال من الحذف تأتي بهدف تبسيط التركيب اللغوي للجملة أو تكييفها على وفق للسياق الذي تستعمل فيه.

فإنَّ الحذف يمثل وسيلة مهمة تستعمل لتبسيط بناء التراكيب اللغوية وصياغة أشكال الجمل المختلفة، مما يسهم في تحقيق الدقة والإيجاز في التعبير، ويأتي هذا الحذف من ضمن الأنظمة المتّبعة في قواعد الجملة العربية، سواء أكانت فعلية أم اسمية، وعند التأمل في فكرة حذف أحد عناصر الجملة الإسنادية، يتبيَّن أنَّ هذا الإجراء ما هو إلا طريق يفضي إلى فهم عميق لمكونات الجملة ومقدار المرونة التي تتماز بها اللغة العربية، هذه المرونة تتجلى في قواعدها التي تتيح اللجوء إلى الحذف بحسب السياق، سواء كان الحذف ضرورة لا غنى عنها لتحقيق المعنى والدلالة المطلوبة أم خيارًا ممكنًا يسهم في تحسين أسلوب التواصل، وعليه يظهر فن تحرير النصوص عبر هذا الحذف، سواء أكان واجبًا لإتمام الجملة وإيصال المعنى بوضوح، أم جائزًا يتم توظيفه لتحقيق جمالية لغوية ورشاقة في التعبير، حسب الحاجة والسياق المستعمل فيه التركيب .

ومثال على ذلك استشهد الصغاني على حذف "أنْ" بقول الشاعر:

فلم أر مِثْلَها خلسة واحد ونهنهت نفْسِي بما كُنت أفعله.[1]

فذكر أن كلمة "أَفْعَلَهُ" التي وردت في البيت السابق جاءت في حالة النصب بإضمار "أنْ"، وهذا هو رأي البصريين،[2] وأشار سيبويه إلى أنَّ الشعراء غالباً ما يلجؤون إلى استعمال "أنْ" في مثل هذه المواضع اضطراراً في كثير من الأحيان.[3]

(1) الكتاب ، سيبويه ، ونسبه سيبويه إلى عامر بن جوين الطائي : 306/1، 307.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /117.

(3) الكتاب ، سيبويه : 3 /307.

قال الصغاني إنَّ كلمة "الروف" مصدرها "رافَ" وتأتي بصيغة "روفًا" عند من لا يهمزون الكلمة، وذكر أن هناك من يقول بأن "الروف" مشتقة من السكون، وليست مرتبطة بعبارة "رُوفٌ رحيم"، التي تعود للرأفة وهمزها أصلي، رغم أن هذه الكلمة تُنطق "روفٌ" في بعض لهجات من لا يهمز. كما تُظهر قراءة الحسن البصري والزهري كلمة "لريف" بالتليين، وظن بعض الباحثين خطأً أنهما نطقاها بالواو، لكن ذلك وهم ؛ لأن الكلمة أصلها مهموز، والهمز المضموم عند التليين يشبه الواو، أما أبو جعفر فقد قرأ الكلمة على هيأة "درووف" مع تليين وزيادة في إشباع الهمزة.[1]

المطلب الثاني

الاختصار

تُعَدّ ظاهرة الاختصار واحدة من الظواهر اللغوية التي تؤدي أثراً محوريًا في تطور اللغة وتيسير استعمالها في مختلف المجالات، ولهذا السبب أولاها العلماء عناية بالغة ودراسات مكثفة، فقد تم تسليط الضوء على أهميتها في تحقيق الكفاءة اللغوية وتبسيط التعبير، إذ تسهم في توافر الجهد والوقت عند التواصل، سواء أكان ذلك في الكتابة أم الحديث، وقد شملت هذه الدراسات تحليل أشكال الاختصار المختلفة وأساليبه المتنوعة، إلى جانب دراسة تأثيره على القواعد النحوية والمعاني البلاغية، مما يفضي إلى مقدار عمق العلاقة بين الاختصار وسلاسة استعمال اللغة في الحياة اليومية.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 231.

الاختصار في اللغة: الاختصار عند بعض أهل اللغة العربية يُعدَّ مرادفًا للإيجاز، بينما رأى آخرون أنه أضيق منه في المعنى؛ إذ يرتبط الاختصار تحديدًا بحذف الجمل، بخلاف الإيجاز الذي قد يتضمن الاختصار، ولكنه أوسع وأشمل.(1)

واصطلاحاً: يمكن تعريفه على أنه عملية حذف الألفاظ الزائدة أو غير الضرورية وإبعادها من النصوص أو الكلام المؤلف، مع ضرورة الحرص الشديد على الحفاظ التام على المعاني المقصودة دون المساس بجوهر الفكرة أو الإضرار باتساق النص، وهذه العملية تهدف إلى تبسيط وتنسيق التعبيرات اللغوية وتنسيقها ، مما يسهم في تعزيز الوضوح وتحقيق أسلوب أكثر دقة وفاعلية في التواصل.(2)

إنَّ الاختصار يعدّ احد الأساليب التي اعتمدها معظم علماء اللغة في وضع معاجمهم، إذبُذلت الجهود لتقديم المادة اللغوية بأسلوب موجز ومكثف، وذلك بهدف الحدّ من التضخم الذي كثيرًا ما كان يُعدّ عيبًا واضحًا في المعاجم القديمة، وتجلّى مفهوم الاختصار في تقليل عدد الألفاظ المستعملة مع الحرص على زيادة كثافة المعنى، إذ يتم إيصال الفكرة بأقل عدد من الكلمات دون أن يمسّ ذلك بمضمونها الكامل، وقد ورد تعريف الاختصار على أنه إقصاء الزوائد اللفظية من الكلام المُركّب، مع المحافظة التامَّة على المعاني الرئيسة والمقصودة منه، ويطبق ذلك غالبًا على كلام سبق تأليفه وصياغته.(3)

أما مفهوم الإيجاز، فهو قريب في الجوهر، لكنه مختلف قليلاً من إذالتنفيذ والأثر؛ إذ يتمثل في صياغة التعبير أو النص بإذتتسم كلماته بالندرة والاقتصاد، في حين يغدو معناه مستفيضًا

(1) مختار الصحاح، الرازي : 161.

(2) لسان العرب ، ابن منظور : 1 / 118.

(3) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري : 1 /27.

وغنيًا. بمعنى آخر، يقوم الإيجاز على بناء الكلام بحد أدنى من الألفاظ، ولكنه يعوّض ذلك بكثرة المعاني المستنبطة منه، مما يمنحه قوة تعبيرية وجاذبية معرفية دون حاجة إلى تطويل النص أو تشتيت القارئ بجمل زائدة.

ومن بين ما ورد عند الإمام الصغاني في هذا السياق، نلحظ استعمال كلمة "الخط" للدلالة على "الشط"، وهو تعبير يحمل معنيين متقاربين من ضمن الاستعمال اللغوي القديم. ومن الأمثلة التي تطرق إليها أيضًا قولهم "اشترلي"، إذ يجمع بين اللفظ والمعنى،[1] وقد أوضح الصغاني أن هناك من أقوام العرب من يستبدلون حرف الشين بحرف الضاد في سياقات لغتهم، فينطقون الكلمة على هيأة "اضترلي"، فيخرج صوتها بين الشين والضاد، فلا تكون ضادًا صحيحةً تمامًا ولا شينًا خالصةً، وأشار إلى أن هذه الطريقة في النطق تُعدُّ لهجة تفرَّدت بها قبائل ربيعة واليمن بطريق مخصوص، مما يدل على تنوع اللهجات العربية واختلافها عبر المناطق والزمن.[2]

وكان الصغاني يتجاوز عن شرح بعض الشواهد تمامًا دون أن يوليها عناية تُذكر، وفي أغلب الأحيان كان يتركها دون تعليق يُضيء للقارئ معناها أو يفك غموضها، أما إذا قرر تفسيرها، فعادة ما كان يكتفي بتفسير مختصر وموجز لا يتعدى الأساسيات، ونادرًا للغاية ما كان يمنحها شرحًا مفصلًا أو يُسهب في تحليلها بعمق ووضوح.[3]

وذهب الصغاني إلى القول بأنَّ مخرج الأصوات الثلاثة: الجيم، والشين، والضاد، ينطلق من موضع واحد في داخل الفم، مما يدل على تقارب هذه الأصوات من إذالحيز الصوتي، ويُفهم

(1) العباب الزاخر والعباب الفاخر ، الصغاني : 197/1.

(2) العباب الزاخر والعباب الفاخر، الصغاني : 1/ 197.

(3) المعجم العربي نشأته وتطوره ، د. حسين نصار : 1 /201.

من كلام الخليل أنَّ الشين كانت تُنطق بوصفها صوتاً جانبياً إلى جانب الضاد، بالنظر إلى انتمائها إلى الحيز الفموي نفسه ، وهذا التصور يدعمه استمرار نطق هذين الصوتين بصورة جانبية في بعض اللهجات العربية الجنوبية الحديثة، الأمر الذي يوثق استمرار هذا النطق حتى يومنا هذا، وفضلاً على ذلك ما زالت الضاد تُنطق بوصفه صوتاً جانبياً في بعض المناطق في اليمن في الوقت الحالي، مما يفضي إلى اختلافًا في تطور النطق بين مناطق العالم العربي وتنوع اللهجات المحلية المرتبطة بالبيئة والثقافة.[1]

ومن أمثلة الحذف ، قال الصغّاني: "جوعاً له وجلوساً له" [2] إنَّ حذف عنصر بدل الصوت يُعَدّ عمدة من اجل اتاحة معان في الجملة الفعلية كان له أثر واضح على بنية الجملة، إذ تحقق تقليص في البناء العام متيحًا حملاً لمعانٍ ودلالات إضافية تعزّز فهم النص، وفي هذا السياق يمكن استنتاج دلالة رئيسة وهي أنَّ الفعل يتضح مفهومه عن طريق سياق الكلام السابق الذي تم التصريح به مسبقًا، مما يعني أن القارئ أو المستمع يستطيع تجاوز الحاجة إلى إعادة ذكره، وهذا الاختصار لا يقتصر على الاقتصاد اللغوي، بل يقدم أيضًا إشارات إلى طبيعة الإجابة السريعة والعفوية، مشيرًا إلى تأثير هذا التوجه في إظهار التفاعل السريع والتجاوب دون الحاجة إلى التكرار الواضح، هذا الأسلوب يُظهر قدرة اللغة على التعبير باختزال دون أنْ تُفقد النص ثراءه ودقته في إيصال الرسالة المطلوبة.[3]

(1) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ، تشيم رابين : 72.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 82.

(3) الكشاف ، الزمخشري : 657/4.

المطلب الثالث

الزيادة

إنَّ زيادة المصطلحات والمفاهيم في اللغة العربية ليست مجرد تركيب كلمات فقط، بل تتطلب عمقًا في التحليل وإدراكًا لمسحة الدقة الكامنة في اللسان العربي، إذ إنَّ معنى "الزيادة" في سياقاتها المختلفة يعبر عن النمو والامتداد، وهي تعكس إضافة جديدة أو تجاوزًا عما هو محدود أو معلوم، وهذا المصطلح يتجلَّى في استعمالاته بدءًا من المعنى اللغوي الرئيس الذي يشير إلى أي شيءٍ يضاف ليرفع الكم أو الجودة، إلى المعاني الأكثر تجريدًا مثل التطور، التحسن، أو المبالغة.

وفي قواعد اللغة، يقال إنَّ الشيء "زاد" إذا ارتفع عن حدّه الرئيس ، و"زاد الشيء زيادةً" يعني إضافة عليه بنحو محسوس أو معنوي، أما إذا تجاوز الشخص في كلامه دون داعٍ فهو

"يتزيد"،[1] أي إنه يتكلَّف ويضيف عناصر زائدة تفقد كلامه البساطة والوضوح، وهذه المفاهيم ترتبط بفكرة التجاوز، التي تُعرّف غالبًا بوصفها محاولة للوصول إلى مستوى مفرط من الإضافة، وقد تكون مستحَّبة إنْ أتت بمضمون نافع ومفيد، لكنَّها مكروهة إذا أسهمت فقط في الغموض أو خلق عبء تواصلي.

في ضوء ذلك نجد اصطلاح "الزيادة" يحمل روحًا تنبثق عن احتياجات البشر للتطوير والتحسين، فالسؤال ليس عن الكمية المضافة فقط ، بل عن جدواها وكيف تؤثر في السياق العام، إذ إنَّ طلب الزيادة له طابع يظهر القوة والاستمرار، حتى على المستوى الشخصي؛ كأن يُطلب من أحدهم المزيد من العمل أو العطاء بقصد استمراره وتوسعه، ولكن الزيادة تطلَّب توازنًا وتحليلاً دقيقين كي لا تتحول إلى عبء.[2]

ومن ثمَّ ، فإنَّ إدراك جوهر هذا المفهوم يتجاوز فهم كلمة واحدة نحو تحليل أعمق لتغير المعاني في داخل الزمان والسياق، فاللغة العربية ببلاغتها وثرائها تتيح مجالاً كبيرًا لهذا النوع من التوسع الفكري الذي يتشابك مع العمق الثقافي واللغوي للمتحدثين بها.

ويمكن القول إنَّ وجود الزيادة في اللغة ليس في معظم الحالات بالأمر الذي يُعدُّ ذا قيمة أو هدف سامٍ في حد ذاته، وفي الحقيقة إنّ كثيراً الزيادات تأتي بوظائف تؤدي إلى غاية معينة قد تكون بسيطة أو معقدة، لكنها غالبًا ما تُضاف لتوضيح أو تأكيد بعض المعاني المحدَّدة التي يودُّ المتكلم توصيلها بطريقة دقيقة، و من ثمَّ لا يمكن عدَّ أي زيادة في الأصل بأنها عمل لغوي عبثي أو غير ذي جدوى، بل غالبًا ما تكون لها صلة بأبعاد لغوية معينة.

(1) لسان العرب ، ابن منظور : 17/2 .

(2) ينظر : المخصص ، ابن سيده : مجلد 4/ باب الزيادة.

وهذه الإضافات اللغوية ليست إضافات صُوَريّة تحمل وزناً زائداً في النصوص أو العبارات، ولكنها تنطلق من قواعد نحوية أو صرفية تهدف في الأساس إلى تسهيل الفهم أو إظهار معنى ما بصورة أفضل، لذا فهناك قيمة تكمن فيها تجعلها أداة فاعلة لتحسين التواصل اللفظي.

ومع ذلك يجب التأكيد على نقطة مهمة، وهي أنَّ وجود مثل هذه الإضافات لا يعني بالضرورة أن كل زيادة تُواجَد في موضع ما سيؤدي دائمًا إلى توظيف نحوي أو وظيفة صرفية بعينها [1]، فقد تأخذ الزيادة طابعًا اصطلاحيًا أو أسلوبيًا يفضي إلى تفضيلات المتحدث أو الكاتب. وفي النهاية، يكمن التحدي الرئيس أمام المتحدث أو الكاتب في توظيف هذه الزيادات بطريقة مدروسة تخدم أغراض النص دون أن تصبح عبئًا لا مسوِّغ له.

ومن أمثلة مايرد من أهمية الزيادة قول الصغاني: "والكاف حرف جر للتشبيه، وقد تقع موقع الاسم فيدخل عليها حرف الجر" [2] .

كما ورد عن امرئ القيس في وصفه للفرس: [3]

وُرِحْنا بَكابْنِ الماءِ يُجذبُ وسْطُنا تُصوب فيه العين طوراً وترتقي

استعمل حرف الجر "الباء" مع الكاف في كلمة "بكابن" للدلالة على الزيادة أو الارتباط، إذأُضيفت الكاف بوصفها ضميراً متصلاً للإشارة إلى المخاطب بطريق مباشر، ما يعزز الرابط بين الفعل أو المعنى المراد توصيله والشخص المعني بالحديث.

وقال خطام الريح المجاشعي: [1]

(1) التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي : 30.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 55/5.

(3) ديوان امرئ القيس / امرئ القيس : 107.

"وصاليات ككما يؤثفن"، ودخل حرف الجر "الكاف" على نفسه في صيغة "ككما"، إذاجتمعت الكافان لتؤديان وظيفة دلالية مضاعفة تُظهر التأكيد أو التشبيه بشكل مركب في السياق.

المبحث الثالث

تفسير المعنى المعجمي

إنَّ العمل المعجمي يُعدّ احد أبرز المجالات وأدقها التي تندرج من ضمن نطاق الدراسات اللغوية في اللغة العربية، فهو يمثل ركيزة رئيسة لفهم اللغة وإثراء مفرداتها. لقد كانت الحركة المعجمية عند العرب نتاجًا لجهود مضنية، سواءً على المستوى الفردي أو الجماعي، ما أدَّى إلى ظهور سلسلة من المعجمات التي كوّنت علامة فارقة في التراث اللغوي العربي، ولقد بذل المعجميون القدامى جهدًا جبارًا في سبيل مواكبة التطورات التي عرفتها الحقول اللغوية الأُخر، إذ أفضت هذه الجهود في حرصهم الشديد على جمع الألفاظ المتنوعة للغة العربية وتدوينها ، سواءً تلك المرتبطة بالاستعمال العام أم التي ذات الطابع العلمي، ولم يكن هذا الجهد عشوائيًا، بل اعتمد على أُسس منهجية دقيقة تتمثل في الحصر المنظم للألفاظ، وتوثيقها بأسلوب دقيق،

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني :55.

وتعريفها تعريفًا يوضح معانيها ويحدد استعمالاتها، مما أسهم في تعزيز مكانة اللغة العربية والحفاظ على غناها الثقافي والعلمي.

وتُعَدّ المرحلة الأخيرة، والمعروفة بمرحلة الجمع والترتيب، جزءًا رئيساً من عملية التعريف، إذتتمثل مهمتها الرئيسة في شرح الألفاظ وتقديم تفسير دقيق لما تحمله من معانٍ ودلالات، وتهدف هذه المرحلة إلى تسهيل فهم الكلمات والمفاهيم المرتبطة بها، مما يجعلها أكثر وضوحًا وإدراكًا في ما يخصّ القارئ أو الباحث، ومن الجدير بالذكر أنّ المعجميين لم يلتزموا بطريقة واحدة فقط في التعريف، بل اعتمدوا على مجموعة متنوعة من الأساليب والطرائق التي أسهمت في تقديم الشروحات بصور متعددة لتلبية احتياجات فئات مختلفة من المستعملين واهتماماتهم .

ويلجأ المعجمي أثناء تقديمه الشرح وتفكيك المادة اللغوية التي يعمل عليها، إلى توظيف مجموعة متنوعة من الأساليب والطرائق التي تم ابتكارها مخصوصة لتيسير عملية الفهم والوصول إلى عمق المعنى الرئيس للكلمات والتعبيرات المختلفة، وقد تعدَّدت هذه الأساليب وتباينت على وفق المنهجية التي يعتمدها كل معجمي في عمله، فكل منهم يسعى إلى تطوير صيغة فريدة تتيح له تقديم محتوى يسهم بفاعلية في تمكين القارئ من تعزيز المهارتين الرئيستين المرتبطتين باللغة: أولاهما : مهارة الاستعمال التي تعنى بالطريقة المثلى لاستعمال الألفاظ وتوظيفها في السياقات المختلفة، وثانيهما : مهارة الاستقبال والتي ترتبط بفهم المعاني المعروضة وتحليلها واستيعابها .

المطلب الأول

التفسير بالتعريف

يُعدّ التفسير بالتعريف وسيلة لشرح المعنى باستعمال مجموعة من الكلمات المختلفة، إذ يتم إعادة صياغة الفكرة بأسلوب وعبارات متعددة ، وإذ يرى المناطقة أن التعريف هو عبارة عن مجموعة من الصفات أو الخصائص التي تظهر مفهوم الشيء وتجعله مميزًا عن غيره من المفاهيم الأُخر، ومن ثمَّ يُعدّ التعريف والمعرَّف وجهين لعملة واحدة: أحدهما يقدم الفكرة بشكل مختصر وموجز، بينما الآخر يعرضها بالتفصيل والشرح. ولهذا السبب، نجد الكتب العربية تطلق عليه "القول الشارح"، لكونه يهدف إلى توضيح الفكرة وإظهارها بشكل أوضح وأكثر تفصيلاً.[1]

ومن المعاجم التي استندت إلى نهج التفسير بالتعريف في توضيح معاني ألفاظها ومداخلها يأتي معجم العين في مقدمتها، إذ اعتمد أسلوباً تفسيرياً واضحاً ومباشراً، فعلى سبيل المثال،

(1) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 112.

عند تفسيره مصطلح "الجحيم"، وصفه بعبارة تحمل دقة ووضوحاً بأنّها "تعني النار الشديدة الاشتعال والاحتراق المشتد"،[1] و في تعريفه كلمة "القذف"، أوضح أنَّها تشمل معاني متعددة، "أبرزها الرمي باستعمال السهم أو الحصى"،[2] أو حتى الكلام المعبر عن الاتهام، أمَّا في سياق شرحه معنى كلمة "سلسبيل"، فقد أشار إلى أنها "تُعبر عن نبع أو عين ماء موجودة في الجنة"،[3] وهو وصف يربط الكلمة بدلالتها الروحية ومنزلتها السماوية.

ولقد أوضح ابن فارس في شرحه كتاب (التثريب) ، مستفيضاً في تفسير المفاهيم ومناقشة الأفكار بمزيد من التعمق والتفصيل، إذ عرض الموضوع بأسلوب مُطوَّل ومُدعَّم بالحجج والأدلة التي تضيف وضوحاً إلى المعاني المقصودة وتفضي إلى مقدار البصيرة التي تمِّيز بها تفسيره، إذقال: " بأنه اللوم والأخذ على الذنب".[4]

أما العالم اللغوي الصغّاني فقد اهتم بتوضيح معاني بعض الألفاظ عن طريق منهج الشرح بالتعريف، مما يظهر عمق فهمه ودقته في التعامل مع المفردات اللغوية، ومن بين الأمثلة التي عرضها شرحه كلمة "الحوف"، إذ قال إن الحوف هو الرهط، موضحًا أنه جلد يُشَق ليصير أشبه بالإزار، وكانت ترتديه النساء في أوقات الحيض والصبيان، إذ قال: " الحوف: الرهط ؛ وهو جلد يشق كهيأة الإزار تلبسه في أوقات الحيض والصبيان وقال شمر: الحوف إزار من أدم تلبسه الصبيان والجمع الأحواف، وقال بن الأعرابي: الحوف – في لغة أهل الحجاز – الوثر؛ وهو نقبة من أدم تقد سيوراً عرض السير أربع أصابع تلبسه الجارية الصغيرة قبل إدراكها"،[5]

---

(1) كتاب العين ، الخليل : 4/ 87.

(2) كتاب العين ، الخليل : 5 /135.

(3) كتاب العين ، الخليل : 7 /345.

(4) مقاييس اللغة ، ابن فارس الرازي : 375/1.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : ، 8 / 120.

أما شمر فقد أضاف أن الحوف هو إزار مصنوع من جلد يُرتدى تحديدًا من قبل الصبيان، وكلمة "الأحواف" تستعمل للجمع، في حين تابع ابن الأعرابي تفسيره للكلمة في سياق لغة أهل الحجاز، معرفًا إياها بأنها الوثر، وهي قطعة جلدية تُصنع على شكل نقبة تُقطع إلى سيور، ويبلغ عرض السير منها أربع أصابع، وترتديها الفتيات الصغيرات قبل بلوغ سن الإدراك.

وعرض الصغّاني التعريف بلفظة أُخر هي "العجرفية"، مبينًا أنَّها تشير إلى الجفوة أو الشدة في الحديث، وإلى نوع من الخرق أو عدم الإتقان في أداء الأعمال، فقال: "جفوة في الكلام وخرق في العمل، ويكون الجمل عجر في المشي لسرعته ورجل فيه عجرفية"،[1] وعن طريق هذه التوضيحات يظهر مقدار تمكّن الصغّاني من استنباط المعاني العميقة والدلالات المختلفة للكلمات على وفق اختلاف اللهجات والمناطق، ما يفضي إلى أثر عمله في إثراء اللغة العربية وعلومها.

وأشار كذلك في تفسيره مفهوم "عرفات" إلى أنها: "عرفات: الموضع الذي يقف الحاج به يوم عرفة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾. (سورة البقرة، الآية ١٨٩)، وهي اسم في لفظ الجمع فلا تجمع"،[2] وعرض تفسير كلمة "الصلفاء" عِبر قوله، "الصلفاء: الأرض الصلبة، والمكان أصلف، وقال ابن عباد الصلفاء صفاة قد استوت في الأرض، ويقال: صلفاءة –بوزن حرباءة–. وقال الأصمعي: الأصلف والصلفاء: ما اشتد من الأرض وغلظ وصلب، والجمع الأصالف والصلافي"،[3] إذ قدّم وصفًا دقيقًا يظهر معانيها المتنوعة ودلالاتها المختلفة، مشيرًا إلى أنّها تعبيرًا يدلّ على صفات مُحدَّدة ترتبط بشدة السلوك أو الطبع.

(1) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 413/12.

(2) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 12 / 423.

(3) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 6/ 356.

وفي سياق شرحه مصطلح "الكرناف"، أوضح قائلاً إنّه: "أصول الكرب تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف، وما قطع مع السعف فهو كرب، الواحدة كرنافة، والجمع كرانيف، وقال ابن عباد الكرنافة – بالضم – لغة فيها، ويقال للرجل العظيم القدم: كأن قدمه كرنافة؛ أي كرية".[1]

وذكر الصغّاني في تفسيره مصطلح "النجف" أنها تعني: "مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، والجمع: نجاف. وقال الليث: النجف يكون في بطن الوادي؛ شبه بنجاف الغبيط؛ وهو جدار ليس بجد عريض له طول منقاد من بين معوج ومستقيم؛ لا يعلوه الماء، وقد يكون في بطن الأرض وقال بعضهم: النجاف أرض مستديرة مشرفة على ما حولها، واحدتها: نجفة".[2]

والكثير من الألفاظ التي قام الصغّاني بجمعها وإيرادها في مؤلفاته، إذ عرضها بالشرح والتفصيل عن طريق التفسير العميق والدقيق، وقد حرص على توضيح معانيها وسياقات استعمالها بمزيد من العناية، مما أضاف قيمة معرفية كبيرة إلى هذا المجال، وأسهم في إثراء اللغة وتوسيع إدراك المتلقي للتراث اللغوي.

(1) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 12/ 533، 534.

(2) العباب الزاخر والباب الفاخر، الصغاني : 12/ 580.

المطلب الثاني

التفسير بالكلمة

قال الدكتور هادي نهر: "إن العمل المعجمي لا يقتصر على ربط لفظ محدد بمعنى أو مفهوم معين، بل يتجاوز ذلك ليصبح عملية توثيق ودراسة للغة في حركتها الاجتماعية، مع التركيز على ملاحظة السياقات التي تستعمل فيها"،[1] فالكلمة الواحدة لا تكتسب معناها الكامل بمفردها، بل تتأثر بشكل مباشر بما يسبقها وما يأتي بعدها من كلمات في السياق، إذ إنَّ المعنى يتكوّن بناءً على هذا الترابط اللغوي ويتحدد في ضوئه ، فالكلمات تعمل معًا بوصفها وحدة متكاملة لتعبر بدقة عن الفكرة المقصودة أو الرسالة المرادة.

وبناءً على ذلك قام علماء الدلالة بتعريف معنى الكلمة على وفق النظرية السياقية على النحو الآتي : " استعمال الكلمة في اللغة، أو الكيفية التي يتم توظيفها بها ضمن النسيج اللغوي، لا يمكن فهمه بشكل كامل أو إدراك معانيه الدقيقة إلا عن طريق وضعها في سياقات

(1) علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، عبد الكريم محمد حسن جبل : 63.

متعددة ودمجها في مواضع مختلفة، وهذا التفاعل مع السياقات هو ما يتيح كشف أبعادها ومعانيها المتنوعة، مما يجعلها تأخذ مدلولات مختلفة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه".[1]

وقد أورد إبراهيم فتحي في معجمه الشهير المتعلق بالمصطلحات الأدبية تعريفًا للسياق، إذ أشار إلى أنَّ السياق يمثل الإطار العام أو البيئة النصية التي تحيط بالعبارات والتراكيب في الخطاب الأدبي أو النصوص المختلفة، فأشار إلى أنَّ السياق هو: " بيئة النص ومحيطه تتشكل عبر بناء متكامل من الفقرات المترابطة، إذتُظهر العلاقة بين أي جزء من النص والأجزاء الأُخر التي تسبقه أو تأتي بعده مباشرة، وهذا السياق المتماسك لمجموعة الكلمات لا يركز فقط على إيضاح معاني الكلمات الفردية، بل يسهم أيضًا في الكشف عن المعنى الشامل والغاية الرئيسة للفقرة ككل".[2]

ويرى بعض الباحثين أنَّ السياق لا يقتصر على أنَّه إطارًا عامًا يُورد من ضمنه الكلام فحسب ، بل إنه يمثل الغاية الرئيسة والهدف الأعمق من عرض الأفكار أو صياغة العبارات أو توظيف الألفاظ، فالسياق بحسب هذه الرؤية، هو المحرك الرئيس الذي يمنح النص أو الخطاب معناه الحقيقي ويكشف عن مقصده النهائي، ليصبح بذلك أداة جوهرية لفهم القصد وإدراك الرسالة التي يسعى المتحدث أو الكاتب إلى إيصالها.[3]

وبالنظر إلى الأهمية الكبيرة التي تحتلها النظرية السياقية في مجال تحديد معاني الكلمات والألفاظ، فإن الكثير من علماء اللغة العرب قد أولوا هذا الموضوع اهتمامًا مخصوصاً، مشدِّدين على أثره المحوري في فهم النصوص وتحليلها، ومن بين هؤلاء العلماء الذين عالجوا هذا

(1) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 132.

(2) معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي : 1 / 201، 202.

(3) سياق الحال في كتاب سيبويه في النحو والدلالة ، د. أسعد خلف عوادي : 22، 32.

المفهوم بعمق وموضوعية ، العالم اللغوي الجليل عبد القاهر الجرجاني، الذي عرض هذا المبدأ في مؤلفه القيّم "دلائل الإعجاز"، وقد أبدى الجرجاني رؤية فريدة عن العلاقة الوثيقة بين الكلمة وسياقها من ضمن النسيج العام للنص، إذ أشار إلى أن المعنى ليس مرتبطًا بالكلمة مفردة بل ينبع من سياقها والمحيط الذي توجد فيه، وهذا ما يجعل فهم النصوص يعتمد بدرجة رئيسة على إدراك هذا الارتباط السياقي المميز، فيقول: "إن الألفاظ في ذاتها ليست أفضل أو أدنى من غيرها باعتبار كونها مجرد كلمات منفردة، بل تتجلى قيمتها وسوؤها في مقدار توافق معناها مع المعنى الذي ترتبط به".[1]

وتُعَدّ نظرية النظم التي عرضها عبد القاهر الجرجاني الركيزة الرئيسة لدراسة الدلالة السياقية، إذ إنها تعرض عملية الكلام من منظور يقوم على مفهوم الدلالة المرتبطة بالسياق، وهذه النظرية تأخذ في الحسبان طبيعة الكلام، سواء كان تعبيراً عادياً مألوفاً أم أسلوباً فنياً يرتكز على البلاغة والجمال اللغوي، يتضح هذا الطرح بجلاء في كيفية عرض عبد القاهر لموضوع اللغة في مؤلفيه الرئيسين (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) ، إذ وضع تصوره عن النظم بعدّه شبكة معقدة من العلاقات اللغوية التي تستند إلى أسس محكمة، تتمثل في بناء نسق لغوي وتركيبه واستعماله يقوم على قواعد دقيقة ومعانٍ مترابطة، وعن طريق رؤيته، يُظهر النظم بوصفها عملية إبداعية تدلّ على جمالية اللغة وقوتها التعبيرية، مما يلقي الضوء على أهمية التماسك والانسجام بين الألفاظ والمعاني لتحقيق أداء بلاغي وتأثير يتناسب و المقاصد التواصلية.[2]

(1) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : 1 /46.

(2) أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : 227، 230.

ويُعدّ الاتجاه اللغوي لعبد القادر في دراسة الدلالة السياقية إنجازًا بالغ الأهمية، إذ قام بتأسيس منهج متكامل، ووضع قواعده الرئيسة ، وحدد معالمه بوضوح، ويعود هذا التميز إلى ثقافته اللغوية الواسعة، وموهبته الاستثنائية، وقدرته العالية على التذوق الجمالي والنفسي للنصوص الأدبية واللغوية، ولقد صاغ نظريته بأسلوب مبدع من ضمن إطار منهج دلالي سياقي، مجسدًا ذلك في "نظرية النظم" التي تعد واحدة من إبداعات فكره اللغوي وأكثرها تميّزًا.[1]

ويتضح أنَّ المنهج الدلالي السياقي الذي اعتمده عبد القاهر الجرجاني يتجاوز المفهوم التقليدي لدلالة الكلمة بوصفه كياناً مستقلاً خارج إطار السياق، إذ إنَّه لا يقتصر على المعنى المعجمي المحض، بل يعرض تداخل اللفظ والمعنى في وحدة تعبيرية متماسكة ترتبط بصورة وثيقة بمقامها وسياقها العام، وعندما يتحدث الجرجاني عن النظم، فإنه يقصد به السياق بكل أبعاده، بما يدلّ على توجهه نحو الكشف عن المعنى بطريقة شمولية تغطي مختلف المستويات اللغوية، سواء أكانت صوتية أم صرفية أم نحوية أم دلالية، وعن طريق هذا الفهم العميق، يصبح واضحًا أنّ المعنى لا يُمكِن استنباطه فقط من الكلمات المفردة التي تنتمي إلى المعجم بمعزل عن غيرها، بل يُستفاد أكثر من التفاعل الدقيق بين الكلمات من ضمن السياق العام للنص، وبمعنى آخر فإنَّ السياق قد يحمل دلالات ثرية وشاملة لا يمكن نسبتها بطريق مباشر إلى كلمة محددة بعينها أو إلى مجموعة كلمات مشتركة في النص، وإنما ينبثق المعنى الكامل من الانسجام والتكامل بين هذه العناصر ضمن السياق الذي يربط بينها، و بذلك فإن عبد القاهر الجرجاني يؤكد المعاني اللغوية أنَّها تُستَمد من السياق الكلي للنص و تُفهَم و يُبنى على

(1) الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش المصطفى : 146.

شبكة العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تشكّل النصوص الأدبية أو الخطابية.[1]

ومن الواضح أنّ الصَّغاني يولي اهتمامًا بالغًا بالعلاقة الوثيقة بين الكلمة وسياقها، مع الحرص على تحقيق الانسجام بين اللفظ والمعنى، ويتجلى هذا بوضوح عن طريق استعماله مجموعة غنية من المصطلحات التي تتكرر عشرات المرات في مؤلفاته، وهي مصطلحات تدلّ على رؤيته العميقة للنصوص ودقة تعبيره عن أساليبها، ومن هذه المصطلحات: النظم، الترتيب، البناء، التأليف، النسق، الصوغ، النسج، الوشي، النقش، الحوك، التعليق، مقام الاستعمال، ومقتضى الحال، وهذه الكلمات ليست مصطلحات عفوية أو مفردات خالية من الدلالة المعبّرة عن القصد بل تحمل دلالات عميقة تعبِّر عن تصوره الفريد لعمليات التعبير والتركيب اللغوي وكيفية مراعاة الظروف المختلفة التي تفرضها سياقات الكلام المتنوعة.[2]

وذكر الصغّاني في معجمه "العباب الزاخر" معنى لفظة (أم) واستعملها من ضمن سياقات متعددة، منها: "أم الجراف: بالفتح والتشديد الترس، والدلو أيضاً".[3] و"أم حذرف: الضيع، وأم خشاف: الداهية".[4] و"أم خلف الداهية العظمى"،[5] و"للجرادة: أم عوف".[6]

(1) الدلالة السياقية عند اللغويين ، عواطف كنوش المصطفى : 146.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني :6/ 437.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 6/ 59.

(4) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 6 / 85.

(5) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 6/ 142.

(6) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 12/ 420.

المطلب الثالث

التفسير بالعبارة

إنَّ تفسير معنى الكلمة عن طريق تحديد ملامحها الدلالية من ضمن سياق عبارة أُخر، إذ يتم تقديم فهم أعمق وتجسيد لمعناها بطريق غير مباشر عِبر التركيز على معانيها التمييزية ، و تعتمد فكرة العناصر التكوينية أو التحليلية على تفكيك المحتوى الدلالي للكلمة وتحليله إلى مجموعة من المكونات أو الملامح المميزة التي تفرّدها عن غيرها من الكلمات، وتهدف هذه الفكرة إلى أنْ تكون هذه الملامح مقتصرة على العبارة المستهدفة فقط، فلا تشترك فيها مع عبارة أُخرى ؛ لأنّ المشاركة في الملامح نفسها قد يؤدي إلى الترادف بين الجملتين، فضلاً على ذلك تستفيد نظرية العناصر التكوينية من ثلاث جوانب رئيسة في علم المعجم، مما يساعد على بناء فهم أكثر تعمقاً ودقة لتمايز الكلمات ومعانيها في السياقات المختلفة.[1]

(1) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 131.

تتبع أهمية تحديد سياقات العبارات واستعمالاتها الفعلية من كون العبارة لا تمتلك وجودًا مجردًا ومستقلًا بذاتها، وإنما يتحقق وجودها الفعلي عبر الطريقة التي يتم استعمالها بها، ولهذا يصبح من الضروري تحديد معنى العبارة وما تتضمنه من معاني بوصفها جزءًا من نظام متكامل، إذ إنَّ العبارة قد تحمل معاني متعددة تبعًا للسياق الذي تُوظَّف فيه.(1)

وقد أشار الدكتور علي زوين إلى أنَّ التفسير باستعمال العبارة يمكن عدّه احد من المظاهر التي تتبع من السياق العام للنصوص، وقد عبّر عن هذا المفهوم بقوله إنَّ هذه الظاهرة تعكس قدرة النص على تقديم توضيحات تساعد القارئ أو المستمع على استيعاب المعاني المضمرة أو الضمنية التي قد لا تكون واضحة بصورة مباشرة، بقوله: "المعنى المخصوص للكلمة المشتركة لا يتحدد إلا عن طريق السياق الذي ترد فيه في العبارة، فمثلاً عبارة العين التي تم استعمالها كمثال تحمل في طياتها مجموعة متنوعة من الدلالات، وهذه الدلالات يُطلق عليها في مصطلحات علم اللغة الحديث "المعاني المعجمية"، وهذا النوع من المعاني تتماز بقدرته على التنوع و التعدد ؛ إذ يمكن للكلمة أن تشير إلى عدة مفاهيم على وفق لاستعمالها المعجمي، وعلى خلاف ذلك نجد المعاني السياقية تتماز بوضوحها وتحددها، إذتقتصر على معنى واحد فقط يتم اختياره من بين مجموعة المعاني المتاحة بناءً على السياق المحيط بالكلمة".(2)

وأشار الصغّاني إلى عدة مواضع فسّر فيها معاني الكلمات باستعمال العبارات، ومن بينها: "ما جاء في شرح لفظة "الأسيف"، إذ أورد لها عدة معان ، منها: العبد، والأجير، والسريع الحزن الرقيق القلب، والذي لا يكاد يسمن".(3)

(1) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 132.

(2) منهج اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين : 121.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 / 22.

وتعدَّدت معاني لفظة "الخطاف" كما ورد في الشرح، و أبرزها: "طائر، وحديدة تكون البكرة فيها المحور، وفرس".[1]

وقدم أيضًا تفسيرًا شاملاً للفظة "الخلف"، موضحًا معانيها المتعددة بتفصيل دقيق، فقد أشار إلى أن هذه الكلمة تحمل في ثناياها دلالات متنوعة، تُستمد من السياق الذي تستعمل فيه، فقال: "والخلف القرن بعد القرن، يقال: هؤلاء خلف سوء الناس لا حقين بناس أكثر منهم.... والخلف: القرن بعد القول، ومنه المثل: سكت ألفاً ونطق خلفاً. نصب "ألفا" على المصدر؛ أي سكت ألف سكتة ثم تكلم بخطأ... والخلف – أيضاً – الاستقاء.... والخلف – أيضاً –: أقصر أضلاع الجنب... وقال بن الأعرابي: الخلف: الظهر بعينه".[2]

قام الصغّاني بتفصيل معنى كلمة "السعف" في شرحه، إذأوضح ذلك بدقة، إذ قال: " لسعف ورق جريد النخل الذي يسف منه الزبل والجلال والمراوح وما أشبهها، وقال الليث: أكثر ما يقال له السعف إذا يبس، وإذا كانت السعفة رطبة فهي شطبة ... والسعف – أيضاً –: التشقق حول الأظفار والشقاق، وقد سعفت يده – بالكسر – وستفت... والسعف – أيضاً – داء يأخذ في أفواه الإبل كالجرب تتمعط منه خراطيمها وشعر عيونها".[3]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 / 152، 153.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 / 161، 162.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 8 /273، 274.

المطلب الرابع

التفسير بالسياق

يهتم اللغويون المعاصرون بتوضيح سياقات الكلمة بهدف تحديد مجالات استعمالها المختلفة، والتعرّف إلى المصاحبات اللفظية التي تكون شائعة معها، بالإضافة إلى عرض التراكيب التي تكوّن جزءًا منها، فإنَّ فهم الكلمة لا ينبغي أن يقتصر على تفسير معناها المجرد ؛ لأنَّ معناها الحقيقي يظهر بوضوح عند وضعها في سياق مناسب، ووجود الكلمات يتجلى عبر استعمالها وليس عن طريق تجردها ، فلكل كلمة نسبة من الغموض تبقى قائمة حتى تستعمل في سياق محدد يوضح معناها الفعلي.[1]

وقام بعض اللغويين بتصنيف الكلمة على أربعة سياقات مختلفة:

(1) صناعة المعجم الحديث ، أحمد مختار عمر : 131، 132.

أولاً: السياق اللغوي: يشير إلى البيئة اللغوية المحيطة بكلمة أو جملة أو صوت لغوي (فونيم)، ويشمل نوع الكلمات والتعبيرات المحيطة التي تسهم في تحديد المعنى وفهم المحتوى بطريق أدق.

ثانيًا: السياق الثقافي: وهو السياق الذي يكشف عن المعاني المرتبطة بثقافة أو حضارة معينة، أو بفئة اجتماعية محددة، فعلى سبيل المثال في اللغة العربية، فنجد كلمة "جذر" تحمل معنى مختلفًا عند المزارعين والفلاحين موازنة بمعناها عند الرياضيين، وكذلك كلمة "فاعل" تكتسب دلالة معينة عند علماء اللغة والنحو تختلف عن معناها القانوني الذي يستعمله القضاة، و تتغير المعاني هكذا تبعًا للسياق الثقافي والاجتماعي.

ثالثًا: السياق العاطفي: يتجلى عن طريق استعمال ثنائيات لغوية تؤدي المعنى نفسه، ولكن بدرجات مختلفة، مثل الكُره والبُغض، الحب والعشق، النوم والسبات، الجلوس والاتكاء، وغيرها من الأزواج التعبيرية المشابهة.

رابعًا: سياق الموقف: والذي يُعرف أيضًا بسياق الحال، يُشير إلى الإطار الخارجي الذي يتم فيه حدوث عملية التواصل بين شخصين أو أكثر، ويشمل هذا السياق مجموعة من العناصر التي تُحيط بالتفاعل، مثل الزمن الذي تمَّ فيه التواصل والمكان الذي جرت فيه المحادثة وطبيعة العلاقة التي تجمع بين الأطراف المتواصلة، فضلاً على القيم والأعراف المشتركة التي تؤثر في فهم الرسائل المتبادلة، و يُؤخذ في الحسبان الكلام السابق الذي حدث قبل هذا التفاعل، والذي قد يكون له أثر كبير في تحديد المعنى المراد وفهمه. [1]

(1) المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث ، محمد أحمد أبو الفرج : 107.

ولتوضيح هذا النوع من السياق بشكل أعمق، يمكننا النظر إلى استعمال العبارة "يرحمك الله"، ففي حالة قولها لشخص عطس، تكون الغاية هي طلب الرحمة له في حياته الدنيوية كتعبير عن الدعاء وطيب النية، أما إذا ذُكرت العبارة نفسها في سياق الإشارة إلى شخص متوفى، فإن المقام يكون مختلفًا، إذتستعمل للتضرع وطلب الرحمة له في الحياة الآخرة، واللافت هنا هو التغير البسيط في ترتيب الكلمات، إذ يُقال "الله يرحمه" للتعبير عن هذا المعنى المخصوص، ويُظهر هذا المثال بوضوح كيف يمكن لسياق الحال أن يغير المعنى تمامًا على وفق الموقف وحالة الأطراف المتواصلة.[1]

ولقد شهد استعمال المنهج السياقي في المعاجم الأوروبية رواجًا حديثًا مع تطور الدراسات الدلالية المعاصرة، إلا أنّ تطبيقه الشامل ما زال محدودًا، نتيجة لتحديات تعترض تنفيذه، فعندما يقرر معدّ المعجم أنَّ كلمة معينة تأتي مرتبطة بسياقات محددة ، يتوجب عليه إثبات هذه الكلمة إلا أنّها تستعمل إلا في تلك السياقات ولا تظهر مع غيرها، فضلاً على ذلك يواجه هذا النهج عقبة كبيرة تتعلق بارتفاع التكلفة؛ إذ يستلزم إنشاء قاعدة بيانات شاملة، واستعمال تقنيات حديثة مثل الحواسيب والماسحات الضوئية، وتحضير ملفات تضم الاقتباسات المطلوبة، وهو ما يعني الحاجة إلى ميزانية مرتفعة جدًا لتحقيق ذلك.[2]

وتتجلى أهمية اتباع المنهج السياقي في القدرة على تحديد الكلمات التي تستعمل معًا من ضمن السياق نفسه والتمييز بين المجالات المختلفة التي تُوظَّف فيها تلك الكلمات، فعن طريق هذا المنهج، يصبح من الممكن الكشف عن الفروق الدقيقة بين الكلمات التي يُعتقد أنَّها مترادفات لدى الناطقين باللغة، إذ من النادر جدًا أن تستعمل كلمتان مختلفتان بشكل متطابق

(1) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، فريد عوض حيدر : 158- 162.

(2) دراسات في الدلالة والمعجم ، رجب عبد الجواد إبراهيم : 25.

تمامًا في جميع السياقات، ولذلك يُعدَّ المنهج السياقي أداة فاعلة تسهم في تعميق فهم العلاقة بين الكلمات وطبيعة استعمالها وفق اختلاف المواضع والظروف التواصلية.

واعتمد الصغاني على المنهج السياقي بوصفه أحد الأساليب التي استعملها لتوضيح الألفاظ وتيسير فهم معانيها، إذ أورد ذلك من ضمن عرضه مادة (وقف) : " قال ابن دريد: الوقفة – بالضم –: من قولهم هذه زقفتي أي لقفتي التي التقفتها بيدي ... يقال توقفت الكرة وتلقفتها بمعنى واحد، وهما أخذها باليد أو بالفم بين السماء والأرض".[1]

ويتضح ذلك في مادة "العذف" بطريق أكثر وضوحًا ودقة ، إذ قال: " العدوف والعذوف واحد وهو ما يتقوته الإنسان والدابة".[2]

و أضاف في تفسيره ما "الحف": " اللحف واللحس: واحد".[3]

المطلب الخامس

التفسير بالمصاحبة المعجمية

ظهرت فكرة المصاحبة المعجمية في الكثير من الكتب والدراسات بصور متعددة ومفاهيم متنوعة، إذ عرض كل عالم أو مفكر لغوي مادته على وفق رؤيته التي تخصّه ، ولم يقتصر الاهتمام بهذه الظاهرة على مؤلفات اللغويين العرب فحسب، بل أولت المعاجم العربية عند القدماء أيضاً عناية كبيرة بها، إذ تضمنت الكثير من الألفاظ الصاحبة من ضمن محتوياتها، أما اللسانيون الحديثون، فقد عرضوا هذه الظاهرة من منظور جديد، يختلف عن رؤية القداماء لها، مستندين إلى توجهاتهم المعرفية والنظرية والمنهجية التي تخصهم .

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 3 / 249.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 12/ 420.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 12/ 562.

فالمصاحبة تُعرف بأنها العلاقة التي تربط بين الكلمات في التعبير اللغوي، إذتتجاوز إحدى الكلمتين الأُخر في التركيب، ويُقصد بذلك أن تكون العلاقة بين الكلمتين من نوع ما، مثل العلاقة التي تربط الصفة بالموصوف، و أبرز ما يميّز المصاحبة المعجمية هو الإيجاز، بساطة التركيب، سهولة الألفاظ، قوة الدلالة، إضافة إلى الاتساق والانسجام بين المفردات المستعملة.[1]

ومن العلماء القدامى الذين أدركوا أهمية هذه الظاهرة الصغاني، إذ أوضح ضرورة وضع الكلمة المناسبة في موضعها المناسب من ضمن التركيب بما يقتضيه السياق، واتجه الصغّاني إلى استعمال الأمثلة التوضيحية بوصفها أداة فاعلة لتبسيط معاني المفردات اللغوية وشرحها بأسلوب واضح ومفهوم، ومن ذلك ما قدّمه من تفسير معمقًا للفظة "خسف"، إذ اتكأ على تفصيل معانيها المختلفة مع الإشارة إلى سياقات استعمالها، مما جعل الشرح أقرب إلى الأذهان وأكثر وضوحًا للمتلقي ، عند قوله : "خسف المكان يخسف خسوفاً: ذهب في الأرض، وخسف اله به الأرض خسفاً: أي غيبة فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾. (سورة القصص، الآية (81).

ما أورد الصغاني في تفسير كلمة "سرف" أنَّ السرف ضد القصد، وجاء في حديث النبّي أنه قال: لا ينتهب الرجل نهبة ذات سرف وهو مؤمن، أي نهبة ذات شرف وقيمة عظيمة، فالمراد هنا الأشياء ذات القدر الكبير التي يستنكرها الناس لعظمتها ويعجبون بها ويُعدّونها فائقة الأهمية.[2]

(1) المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف ، علاء طلعت أحمد : 18.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 6/ 136.

ويتضح من الأمثلة التي عرضناها أنَّ الصغّاني اتكأ على التنوع في الأمثلة التوضيحية أثناء شرحه الألفاظ، إذ استعمل الشواهد القرآنية والمقتطفات الشعرية فضلاً على الأمثال بوصفها أدواتٍ لتوضيح المعاني التي أراد إيصالها للقارئ أو المتعلِّم .

الفصل الثالث

تقويم معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

المبحث الأول: مزايا معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

المبحث الثاني: مآخذ معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر على غيره من المعاجم

المبحث الثالث: أهيمة معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر عند المحدثين

الفصل الثالث

تقويم معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

توطئة :

لقد أضاف الصغاني إلى معجم العباب نفحات من إبداعه الذي يخصّه، إذ تجلَّت فيه جودة اختياراته التي كانت تحمل في طياتها دقة وذوقاً رفيعاً، و ازدانت صفحات المعجم بجمال وصفه الذي أضفى على الكلمات بهاءً ورونقاً مميزاً، فضلاً على إشراق عباراته التي أدّت أسلوباً أدبياً بديعاً، ولم يقتصر إسهامه على ذلك فحسب، بل كان لأسلوبه الرقيق ولمآخذه اللطيفة أثراً واضحاً في جعل المعجم مرجعاً قيّماً مزدهراً بالمعرفة والعذوبة معاً.

و أغنى النص بما أضافه من تجاربه الحياتية المتنوعة، سواء عن طريق مشاهداته اليومية، أو رحلاته الممتدة عبر الأزمنة والأماكن، أو لقاءاته مع الشخصيات المختلفة التي تحمل في داخلها عوالمها التي تخصَّها ، فقد تنقَّل بين الكثير من البلدان التي تتباين في عاداتها وثقافاتها وطرائق حياتها، سواء أكان في اللغة أم الأسلوب أ؛ المناهج العلمية والنظم السياسية السائدة فيها ؛ ولأن بصيرته المتوقدة لم تكن تسمح لأيَّ تفصيل بأن يمرّ أمامه مروراً دون أي تفحصّ ودراية كما يحدث مع كثيرين، فقد كان التوقف عند كل تجربة والتمعُّن في تفاصيلها ديدنه، مما صاغ رؤيته الثرية وصقل ملامح فكره بصورة عميقة ومتفردة.

لقد كان يتمتع بفطنة متوقدة وذكاء مرهف يظهر في استكشاف أسرار الاجتماع الإنساني، إذكان دقيق الملاحظة في تمييز الجوانب الإيجابية من السلبية، ومتقنًا في تدوين انطباعاته ومَلاحِظه بعناية فائقة، هذا الاجتهاد الفكري العميق والاهتمام الدقيق بما يسمع وما يرى أفضى إلى أن تكون كتاباته ذات طابعًا خاصاً، لو أطّره بصبغة استثنائية جعلت أعماله تتماز

بخصيصِّة لا يمكن أن تخطئها العين، مما زاد من قيمتها الفكرية والثقافية ومنحها طابعًا فريدًا من ضمن مجالها.

المبحث الأول

مزايا معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر

لقد انماز كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) بعرضه المتعمق لموضوع المغرب وما يتصل به من قضايا ومباحث مختلفة، مما يدلّ على قدرة المؤلف على تقديم رؤية موسعة وشاملة، وإنّه أثرى محتواه بإيراد عدد كبير من القصائد، والمقطعات الشعرية، والأرجاز التي نسبها إلى قائليها، مع توضيح الخلافات عن صحة نسب بعضها، وهذا الأسلوب يُظهر دون شك ذوق المؤلف الرفيع في الانتقاء، وحسن اختياره لأبرز الأعمال التي تعطي النص بعدًا أدبيًا وجمالياً مميزاً.

ففي كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) ، تجد كنزًا من القصائد والأشعار التي انمازت بفرادتها، إذ تحتوي على مدوّنات لا يمكن العثور عليها في أي من المعاجم الأُخر المتداولة، بل وأكثر من ذلك، فهي تشتمل على نصوص شعرية لا توجد حتى في الدواوين المطبوعة لشعرائها، مما يجعلها مصدرًا فريدًا وثمينًا لعشاق الأدب والمهتمين بالشعر العربي الأصيل.

ويحتوي كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) على كم هائل من المادة المعرفية الغنية التي تعرض بالشرح والتفصيل موضوعات متنوعة ، بما في ذلك الأماكن والمواقع الجغرافية المختلفة، والدارات بمفهومها التاريخي والجغرافي، فضلاً على المعلومات المتعلقة بالمياه من أنهار وبحيرات وغيرها، كذلك يتطرق الكتاب إلى الأعلام والشخصيات التاريخية البارزة، فضلاً على تسليطه الضوء على المواقع والبقاع ذات الأهمية الثقافية أو التاريخية.

وفي العباب، أُوليت المواد اللغوية عناية بالغة وعناية فائقة تجلّت في عرضه المتميز لها في داخل سياقاتها المناسبة، وإلى جانب ذلك حرص المؤلف على أن يورد إضافات قيمة ومفصلة

لكثير من المعاني التي أغفلها أو لم يتطرق إليها غيره من العلماء والباحثين، مما جعل الكتاب مرجعًا ثريًا ومتفردًا في مجاله.

ويتضمن تصحيح أسماء الصحابة والتابعين والمحدثين وتنقيحها التي وقع فيها التصحيف من المؤلفين، ويتضمن ذلك أيضاً توثيقًا لأسماء الخيول وأصحابها، فضلاً على تسجيل أسماء السيوف وحامليها.

ففي معجمه العباب، يتم عرض المؤلفات اللغوية ومؤلفيها عن طريق عرض شامل يتضمن الإشادة بمزاياهم، وتقديم النقد عند الحاجة، فضلاً على التصحيح والتعقيب، وفي بعض الأحيان يُعبر بالاعتذار حينما يقتضي الأمر.

وله الكثير من العبارات البديعة في هذا السياق، و أبرزها ما قاله عن ابن فارس: "وأما شيخ هذه الصناعة وفارس ميدان البراعة أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي فإنه مع كثرة تصانيفه وجودة تأليفه لم يسلم جواده في جواد هذا المضمار من الكبوة والعثار".

و أورد حديثه أيضًا عن ابن السكيت: "وأما شيخ شيوخ هؤلاء السيف الإصليت، يعقوب بن إسحاق السكّيت فَمُ شَارٌ إليه في هذا الفن، وكتابه الإصلاح محتاج إلى الإصلاح".

و جاء من كلامه ما يسوَّغ فيه متابعته هؤلاء الأعلام ، قوله : "ولم أذكر ما ذكرت مما وقع فيه السهو، وانحرف عن سنن الصواب ونهج السداد والعياذ بالله – إزراء بهم، أو غضًا منهم، أو تنديداً بالهفوات، أو وضعا من رفيعات أقدارهم بالسقطات.

وكيف وما استفدت إلا من تصنيفاتهم، ولا انتفعت إلا بتأليفهم، وما اهتديت إلا بأنوارهم، ولا اقتفيت إلا لواجب آثارهم، وما حملت ذلك إلا على الغلط من الناسخين لا من الراسخين؟

وإنهم لفرط اهتمامهم بالإفادة لم يتفرغوا للمعاودة والمراجعة؛ فهم القدوة، وبهم الأسوة – رحمنا الله تعالى وإياهم – فجزاهم عن جدهم وجهدهم خيراً.

و انماز العباب بجودة الترتيب والتبويب، إلى جانب رقي العبارة ومثل هذه الخصائص التي تعطيه عليه قيمة مخصوصة.

وتتضمن مقدمة هذا الكتاب العظيم شرحًا مفصلاً لقيمته ومكانته الرفيعة، وباختصار يُعد هذا الكتاب أحد الإنجازات البارزة في مجال التأليف، وشاهداً على عظمة هذه الأمة ومكانتها الرفيعة، وكذلك على البركة العظيمة التي منحها الله لها .

ذكر ابن تيمية جانبًا من هذا الموضوع في عباراته، إذ قال: "من يتأمل في أحوال العالم يجد أن المسلمين يتميزون بحدة الذكاء وقوة العقل، وأنهم يحققون في فترة زمنية قصيرة من إنجازات العلوم والمعارف أضعاف ما يحققه غيرهم على مقدار قرون وأجيال".

وفي سياق آخر، أشار قائلاً: "فهدى الله البشرية بنور نبوة محمد وما حملته من البينات والهداية هداية فاقت حدود الوصف، وارتقت عن إدراك حتى أكثر العارفين علماً، وتمثلت آثار هذه الهداية في نعمة العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق السامية والمبادئ القويمة التي حظيت بها الأمة المؤمنة عامة، وأهل العلم مخصوصة، فلقد منحت هذه الرسالة أمة الإسلام حكمة بالغة وعملاً رشيداً يفوق بكثير ما جمعته حكم سائر الأمم من صفاء وتجرد عن الشوائب، ولولا هذا التفاوت الكبير بينهما لما أمكن إدراك مقدار الفرق بين الجانبين، فلله الحمد حمداً يليق بجلاله ويرضيه، وما يدل على ذلك ويشهد له متوافر، وإن لم يكن هذا الموضع محل تفصيله".

فليس مستغربًا أن يحظى الصغاني وكتابه العباب بتلك المكانة الرفيعة والعظيمة؛ فقد كان عَلمًا بارزًا وموسوعيًا في علوم اللغة، وفقيهًا متمكنًا ومحدثًا متبحرًا ساهم بإسهامات جليلة في ميادين المعرفة المتنوعة ، وقد ترك بصمته المميزة عِبر مؤلفاته الرائعة والمبتكرة، التي يتصدرها كتاب العباب.

ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء وأشاد بمنزلته ومكانته، مشيرًا إلى علمه وفضله، و أورد بعض مواقفه التي تدل على حكمته وسعة علمه، فقال: "إليه النهاية في علم اللغة".[1]

وذكر الدمياطي بإسهاب في سياق حديثه، فقال: "كان رائداً في علوم اللغة والفقه والحديث، ومتميزاً فيها".

وأورد ابن مخرمة في روايته عنه فقال: "يُعد كتاب العباب من المؤلفات الفريدة التي لم يُنتَج مثلها في مجال اللغة".[2]

وذكره السيوطي، العالم الجليل والمؤلف البارز، فقال: "أحد أعظم المؤلفات التي ظهرت في اللغة بعد عصر كتاب الصحاح كان كتاب "المُحْكَم والمحيط الأعظم" لأبي الحسن علي بن سيده الأندلسي الضرير، الذي أُلِّف في عام 458 هـ، تلاه في الأهمية كتاب "العباب" للرضي الصغاني، الذي يُعدّ من أبرز الأعمال اللغوية أيضًا".[3]

يُعدّ معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) من أبرز المعاجم التي إنمازت بثراء محتواها وغزارة مفرداتها، إذإنه يتفوق بشكل واضح على غيره من المعاجم في شمول مادته وتنوّع

(1) سير أعلام النبلاء ، الذهبي : 302.

(2) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مجلد 39 : 50.

(3) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي : ج1/ 100.

ألفاظه، وقد استمد العباب قوته وموسوعيته من تضمينه جميع ما ورد في مجمع البحرين، لكنه لم يكتف بذلك، بل أضاف إليه مواد جديدة وتراكيب مبتكرة، إلى جانب أسماء الشعراء والمحدثين والصحابة، فضلًا على الكثير من الشواهد والاقتباسات التي لا يمكن العثور عليها في مجمع البحرين أو في بقية المعاجم الأُخر، ونتيجة لهذه الإضافة النوعية والتجديد الملحوظ، لقي المعجم استحسان العلماء وقبولهم الواسع، إذأثنوا عليه بشدة وعدّوه جديرًا بكل تقدير وإشادة لما توافر فيه من قيمة علمية كبيرة ودقة لغوية متقنة.

لقد استدرك الصغاني على مَن سبقوه في هذا المجال، فأضاف ما غاب عنهم، وصحَّح ما وقعوا فيه من هفوات أو نقص، وحرص على الرواية والإسناد تعزيزا للمصداق والدقة، وقد أوضح موقفه ومنهجه هذا بكل وضوح، مبينا رؤيته الثاقبة وأسلوبه المنهجي الدقيق، فقال: "ما أردتُ توضيحه بناءً على ما ذكرتُه هو أنني لاحظتُ أن من سبقوني في جمع النصوص والأحاديث غالبًا ما كانوا يكتفون بالتعميم في ما يوردونه، فقد استعملوا مثلاً تعبير "وفي الحديث" دون أن يبيّنوا إن كان المقصود حديثًا نبويًا أو قولًا لصحابي، أو حتى رواية عن تابعي، وأحيانًا استعملوا لفظ الحديث للإشارة إلى مثل، والعكس صحيح، إذ قد يطلقون وصف المثل على الحديث، بل وربما ورد في كلامهم قولهم "وقولهم" ويقصدون به أحد الأحاديث الصحيحة، ومن جهتي، عمدتُ إلى جمع الأحاديث التي تتسم بغرابة المعاني أو إشكالية الألفاظ بشكل تام ومتكامل، فإن كانت هناك عدة ألفاظ غامضة في الحديث الواحد، قمت بإيراده كاملًا، ثم فصّلت تفسير كل لفظة منها في الموضع المخصوص بها وتركيبها اللغوي، كما أشرتُ إلى موضع ذكر النص الكامل للحديث في تركيب معين؛ بهدف توضيح السياق العام للحديث وتجنب الوقوع في التكرار أو الإعادة غير الضرورية".[1]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 1 /138.

وذكر محقق العباب الزاخر، وبكل جدارة مؤكداً ذلك بعد أنْ تعامل مع هذا الكتاب وأحاط بمضمونه أفضل إحاطة: "في الواقع، يُعدّ "العباب" أعظم معجم في تاريخ اللغة العربية حتى يومنا هذا، فهو يتفوق على جميع المعاجم الأُخر التي أُلفت قبله أو بعده، بإذلا تجد له نظيراً يقاربه أو يضاهيه من إذالشمولية والدقة. إن هذا المعجم قد أبدع في تقديم ما لم يستطع الأقدمون الوصول إليه، وكأنما روحه تنطق بفخر وجلال، مؤكدًا تفرده وريادته في مجال التأليف اللغوي، ذلك لأن كتاب العباب اشتمل على كل ما ورد في كتاب مجمع البحرين، ليس فقط على مستوى المحتوى، وإنما تجاوزه بمراحل من إذالإثراء والإضافة، فقد زاد العباب مواد جديدة وتراكيب مبتكرة وأسماء لشعراء ومحدثين وصحابة لم ترد في الأصل، وعلاوة على ذلك، تضمّن الكثير من الشواهد والأمثلة التي لا يمكن العثور عليها لا في مجمع البحرين ولا حتى في أي من المعاجم الأُخر المشابهة، مما جعله مرجعًا فريدًا وغنيًا يفوق غيره شمولية وعمقًا".[1]

لقد نقل الصغاني في مصنفه ذخائر كثيرة من اللغة المحكية في عصره، مع التركيز على الكثير من مسائل النحو والصرف والمعرّب، و ضمّن الكتاب مجموعة كبيرة من القصائد والأبيات والأرجاز، إضافة إلى تصحيحات واستدراكات على بعض دواوين الشعراء، وقد أورد شواهد شعرية لم تُسجل في المعاجم السابقة له، وعرض أسماء الشعراء الذين اشتركوا في لقب أو اسم واحد، فضلًا عن أسامي الخيل وأصحابها، وأسامي السيوف، وأسامي الأسد .

وتحدث أيضًا عن الأماكن المتشابهة، مثل المياه والدارات والجبال والمواضع المختلفة، مستندًا إلى شواهد تدعم ما ذكره، و أبدى اهتمامًا بالنباتات والأشجار، واشتمل عمله على نقد أو إطراء لبعض الكتب اللغوية التي سبقته، مما أضفى قيمة إضافية على هذا الكتاب.

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /54.

ويُعدّ كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) إنجازًا علميًا بالغ الأهمية، ومصدرًا ثريًا بمعلومات شاملة متنوعة، فهو مشروع موسوعي جمع بين عوالم الفنون والمعارف المختلفة، ولم يكتفِ فقط بتحليل اللفظة ودلالتها، وبذلك استحق أن يكون أبرز مؤلفات الإمام الصغاني وخزانة أفكاره التي تدلّ على عمق علمه وسعة اطلاعه.

وكان الصغاني يحرص دائمًا عند دراسته كتب الحديث على الاحتفاظ بكتاب الصحاح للجوهري إلى جانبه، وكلما احتاج إلى تفسير أو توضيح معنى كلمة معينة، كان يعود إلى المعجم، موثقًا الصفحات والأسطر بدقة لتيسير عملية الرجوع إليها من قِبل طلابه.

وبفضل هذه المكتبة، تمكن الصغاني من تأليف مجموعة من المؤلفات والمعاجم العربية الفريدة التي لا مثيل لها في اللغة، ما أسهم بشكل كبير في إثراء المعجم العربي، وتصحيح مسارات اللغة، وتوثيق شواهدها المستمدة من الشعر، والأحاديث النبوية، والقرآن الكريم، بأسلوب غير مسبوق في هذا المجال، و أبرز ما أبدعه الصغاني في هذا المجال، كما أشار هو نفسه، ما يلي:

ويعرض كتاب "العباب الزاخر واللباب الفاخر" جهدًا في جمع ما تفرق من ذخائر اللغة العربية في كتبها المشهورة ومصنفاتها المعتبرة، بالإضافة إلى ما وصل إلى المؤلف مما حصّله علماء اللغة القدامى، الذين عاصروا العرب الأصليين، وعاشروهم في ديارهم، وتجولوا معهم في محطاتهم المختلفة، من موارد المياه إلى المناهل، ومن المنتجعات إلى المحطات المتنقلة.

كما يضم الكتاب القواعد والمصطلحات التي سادت بين العرب وازدهرت خلال أزمانهم، محتوياً على المفردات الحاضرة والمستعملة، وكذلك النادر منها الذي ضاع مع رحيل أهله، وقد دعم الكاتب محتوى الكتاب بنصوص من القرآن الكريم، الكتاب العزيز الذي لا يطوله الباطل

من أي موضع، كما استشهد بأحاديث نبوية غريبة اتسمت بالحجة الواضحة والدلالة الساطعة، وأقوال الصحابة الصالحين وتابعيهم العلماء، بالإضافة إلى كلمات مأثورة لفصحاء العرب الذين ورد ذكرهم في النصوص ، والقصص المأثورة.

ويمثل الكتاب محاولة قيَّمة لتوثيق اللغة العربية وشواهدها الأدبية من ضمن سياقها الأصيل والعريق، مع إظهار حكمتها وبلاغتها التي حافظت على مكانتها بوصفها رافداً حضارياً وثقافياً عظيماً.

وبأسلوب فصيح وشامل وجزيل من الأشعار، وسائر الأمثال التي تناقلتها الألسن عبر الأجيال، جئت ذاكرًا أسامي خيول العرب التي اشتهرت بها تاريخهم، وسيوفهم التي شهدت ميادين المعارك، وبقاعهم التي احتضنت حضاراتهم، وأصقاعهم التي امتدت حدودها في كل ناحية، وبرقها وداراتها التي بقيت شاهدة على عظمتهم وبطولاتهم، وفرسانهم الذين سجلوا صفحات المجد، وشعرائهم الذين كانوا لسان حال القبائل ورواة أمجادها، وقد أوردت الأشعار التي انتقيتها بأمانة علمية كاملة، دون اختلاف أو تغيير في مضمونها أو تحريف في كلماتها، محافظة على صحة الروايات وارتباطها بمصدرها الصحيح، وعندما عزوت القصائد وأشعار العرب في كتابي هذا إلى قائليها، قمت بذلك بدقة بالغة وإسناد مباشر دون تقليد أو اتباع الأهواء الجامحة لأولئك المصنّفين أو المؤلفين السابقين، وإنما بالتزامي بمراجعة ما ورد في دواوين الشعر ومصادر التاريخ العربي الموثوقة، مستندًا إلى أصح الروايات وأبلغ الآراء، مقتديًا بما اختاره المثقفون وأصحاب الدراية الواسعة في هذا الشأن.

"وبناءً على ما ذكرت، لاحظت أن من سبقني في جمع النصوص كانوا يتوسعون في التعبير فيما يوردونه، إذأطلقوا التسميات دون تفصيل دقيق بين الحديث النبوي، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين، وأحيانًا كانوا يستعملون لفظ "الحديث" للإشارة إلى الأمثال، أو "المثل" للإشارة إلى

الحديث، وربما استعانوا بعبارة "وقولهم" عند الإشارة إلى الأحاديث الصحيحة، أما أنا فقد حرصت على جمع الأحاديث التي تتميز بعمق معانيها وغرابة ألفاظها بشكل مكتمل ومفصل. وإذا اشتمل الحديث الواحد على أكثر من لفظة غريبة، أوردته بشكل كامل وقمت بتفسير كل كلمة في موضعها المناسب وتحليل تركيبها، كما أشرت إلى مكان ورود الحديث كاملاً ضمن السياق، حتى يتضح المعنى ويرتبط بسياقه، مع تجنب التكرار والإطالة غير الضرورية".[1]

وكان يتمتع بثقة كبيرة في نفسه وفي معرفته، إذقال:

"لقد سبق إلى الميدان الهجين العراب، وإذا به يقارع المستحيل في ساحة يصعب فيها أن يثمر الجهد، ليصبح وكأنما يضرب في حديد قد برد قديماً ولم يعد يرجى منه نفع. فلا ينبغي لأحد أن يسيء الظن، فإن كنت خارج دائرة الشبهة، فهنالك غيري ممن هو أحق بأن يُتهم بالتزييف، أو أن يكون مرمى الاتهامات بالتصحيف والتحريف، ولقد غربلت الكتب المتداولة بين العامة غربة الحاذق المتمعن، ونخّلت كل ما يستحق التنخيل، فاكتشفت أنني بعدما أثرت نصوص تلك الكتب المبعثرة وتمعنت في تفاصيلها المفصلة، واجهت محتوياتها بما هي عليه: مجموعة متنافرة من النصوص التي توحي بالقوة والانسجام، ولكنها، عند الفحص الدقيق، تبدو ضعيفة الحجة تفتقر إلى غطاء يحميها حتى من أخف الرياح. وكأن الحافي هو من يتوهم حمايتها دون سلاح حقيقي".[2]

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1 /45.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر : الصغاني : 10/1 .

ويمكن تلخيص الإسهامات التي قدمها الصغاني عن طريق أعماله بهدف تطوير المعجم العربي وتحسينه على النحو الآتي :

1_ يقوم بذكر المواد ووضعها في أماكنها الصحيحة على وفق السياق المناسب، بينما لجأ أصحاب المعاجم إلى إيراد المواد في أماكن قد لا تتفق تمامًا مع مواقعها الأصلية أو المقصودة ، مما قد يؤدي في بعض المواضع إلى خروجها عن مواضعها الدقيقة أو الإخلال بمعانيها المقصودة.

2_ يُنسب الشعر عادةً إلى قائله الأصلي الذي أبدعه وعبّر عن طريقه عن فكره وإحساسه، إلّا أنَّ بعض أصحاب المعاجم، ولأسباب قد تتعلق بالخطأ أو عدم التحقق الكافي، قاموا بإرجاع هذا الشعر إلى شخص آخر غير صاحبه الحقيقي، وهذه النسبة الخاطئة تُعَدّ إخلالاً بقواعد الأمانة الأدبية وتؤدي إلى تضييع حق المبدع الأصلي في ارتباط اسمه بإنتاجه الشعري.

3_ يقوم بمراجعة الروايات الشعرية والتأكد من دقتها وسلامتها اللغوية والمعنوية، إذ يعمل على تصحيح أي أخطاء في النصوص نفسها وتأويلاتها، وفضلاً على ذلك، يعنى بتدقيق أسماء الشعراء وضبطها بشكل صحيح لتتسق مع المصادر الأصلية والمراجع المعتمدة، مما يضمن تقديم معلومات دقيقة ومصداقية عالية للمتلقي.

4_ يزيد بشكل كبير من المحتويات والمعاني التي يُظهرها بوضوح في سياق حديثه أو عمله، إذ نجد هذه الإضافات أو التفاصيل التي يقدمها تكاد تكون غائبة أو غير مذكورة عند الآخرين، مما يمنحه تميزاً واضحاً وعمقاً فريداً.

5_ يُعنى هذا العمل بتصحيح الأسماء وتحقيقها التي تخصّ بالصحابة الكرام والتابعين العظام والمحدِّثين البارزين، التي تعرضت للتحريف أو التصحيف في كتابات المؤلفين المتقدمين، ويتطلب ذلك جهداً علمياً دقيقاً، إذيعتمد على مراجعة عميقة ومدققة للمصادر الأصلية والموثوقة، مع موازنة النصوص واستعمال أدوات البحث العلمي المتخصصة لإعادة الأسماء إلى صيغتها الصحيحة، يُعد هذا النوع من الجهد جزءاً مهماً من حفظ التاريخ الإسلامي وتصحيح المعلومات التي تُتناقل عبر الأجيال، و يسهم في تحقيق الدقة العلمية وإكمال صورة التراث الإسلامي بشكل أوضح وأكثر نقاءً.

6_ يقوم بسرد أسماء الخيول وتحديد أصحابها، مما يضفي طابعًا من التميز والتفصيل على السرد، و يحرص على الإشارة إلى أسماء السيوف ومن كانوا يملكونها، وهذا النهج يعكس أثراً واضحًا في توثيق الروابط بين الأشمخصوص وممتلكاتهم، سواء كانت خيولًا تحمل طابع القوة والهيبة، أو سيوفًا تحمل في طياتها رمزية الشجاعة والمكانة الرفيعة.

7_ يعرض النص الحديث عن البلدان المختلفة والمناطق المائية فضلًا على البقاع والأصقاع الجغرافية، إذيتم التعريف بها وتحديدها بدقة متناهية وبصورة خالية تماماً من أي خطأ، مما يضمن تقديم معلومات موثوقة وشاملة تتسم بوضوح وصحة لا تقبل التشكيك.

8_ يقوم بتصويب الأخطاء وتعديلها التي وقع فيها العلماء السابقون في مجال اللغة، إذيعمل على دراسة أفكارهم ونتاجهم بتمعن ودقة، ثم يبني على هذا النتاج عن طريق تقديم رؤى أكثر عمقًا وتحليلات أدق، ويسعى عن طريق ذلك إلى

تطوير القواعد والمسلمات اللغوية مع الحفاظ على روح اللغة وأصالتها، مما يسهم في دفع عجلة البحث اللغوي إلى الأمام ويعزز فهمنا اللغة بشكل أفضل .

9_ تتوافر الكثير من الشواهد اللغوية والأمثلة التي لا يمكن العثور عليها في أي من تصنيفات المعاجم الأُخر، مما يضفي على معاجمه طابعاً فريداً ويميزها بثرائها وخصوصيتها في توثيق اللغة وتقديم أمثلة دقيقة وشاملة.

10_ يقدم لنا أمورًا وأفكارًا غريبة لا يمكن العثور عليها أو التحقق من وجودها في أي من المصادر والمراجع المتوفرة حاليًا، مما يثير الفضول عن أصل تلك المعلومات أو مقدار صحتها ودقتها.

المبحث الثاني

مآخذ معجم العباب الزاخر و اللباب الفاخر على غيره من المعاجم

يُعدُّ العباب الزاخر أحد أبرز معاجم اللغة العربية وأهمها التي أُلفت في القرن السابع الهجري، وهو يشكل علامة فارقة في التصنيف اللغوي العربي، قام بتأليفه الصغّاني، الذي وضعه بطلب من الوزير ابن العلقمي، ليكون مرجعاً غنياً وثرياً بمعارف اللغة ودقائقها، ويُعدّ هذا المعجم واحداً من الكتابين الرئيسين اللذين اعتمد عليهما اللغوي الشهير الفيروز آبادي في تأليف معجمه المعروف (القاموس المحيط) ، وهذان الكتابان هما (العباب الزاخر) و(المحكم) ، وتجدر الإشارة إلى أن العباب الزاخر ينماز باتساعه وتنظيمه الذي يتبع عدد حروف اللغة العربية، إذ يتألف من ثمانية وعشرين جزءاً، مما يفضي إلى بيان بنية منهجية دقيقة وشاملة تغطي جميع الجوانب اللغوية المتاحة في ذلك العصر.

ويتفاوت عدد أوراق الكتاب تبعًا لاختلاف حجم مفردات كل باب، وقد أشار الزبيدي عند حديثه عن العباب بقوله إنه لم يتمكن من الاطلاع على أحد أجزائه رغم بحثه المستفيض، وأضاف في موضع آخر أن كتابي العباب الزاخر والتكملة، وكلاهما من تأليف الصغّاني، إذ تمكّن من العثور عليهما في مكتبة الأمير صرغتمش، ومع ذلك، فإن الكتاب قد وصل إلينا في صورة مبعثرة عبر مكتبات متفرقة في العالم، تضم نسخًا مختلفة، بعضها أجزاء كاملة وبعضها مقتصرٌ على أجزاء من النص، وبين هذه النسخ هناك ما كُتب بخط المؤلف المشهود له بالدقة والضبط، ومنها ما نُسخ عن أصل المؤلف بخط يده وتصويباته، أما بعض النسخ فقد كُتبت بأيدي نُسّاخ متنوعين، تعرضت لأخطاء متفاوتة.

ولذلك اعتمد المحقق في نشر الكتاب على أجزائه المكتوبة بخط المؤلف، وأُصدر حتى عام 1980 ثلاثة أجزاء: الحروف الألف والطاء والغين، يتميّز منهج الصغّاني في هذا العمل بتدقيقه العميق في مفرداته، واعتماده على مصادر موثوقة مسندة، كما عمل على تمييز الأحاديث النبوية والآثار الصحابية والتابعية التي وردت في معاجم اللغة بدقة عالية دون تقليد الآخرين، لكنه اطلع على أعمالهم وراجعها، واختار أجود الروايات والأصح منها معتمدًا آراء الثقات من العلماء المتقنين.

وقد أضاف الصغّاني ثراءً لغويًا وأدبيًا في كتابه عن طريق ذكر أسامي خيل العرب وسيوفهم، وأماكنهم ومواقعهم، وبرقهم وداراتهم، وفرسانهم وشعرائهم، أورد الأشعار الأصلية دون تحريف أو تشويه أو إدخال إضافات عليها، ولإظهار عمق مصادره، ذكر في مقدمة كتابه أسماء 110 مرجعًا أخذ عنها مادته العلمية، إلى جانب مصادر أُخر لم يسمها بشكل صريح في المقدمة ولكن أشار إليها إجمالًا، ومن بين هذه المصادر، أشار إلى كتب مختصة بأسامي خيل العرب، المذكر والمؤنث، المقصور والممدود، أسامي الأسد، الأضداد، الجبال والمواضع والبقاع ودارات العرب، إضافة إلى مؤلفات حول النباتات والأشجار والألفاظ المتفقة شكلاً والمختلفة معنًى، وكذلك الكتب المتعلقة بالأمهات والبنين والبنات.

ولقد اعتمد الصغّاني في كتابه منهجًا قائمًا على نظام القافية الذي وظفه الجوهري في كتاب "الصحاح"، إذ قسّم الكلمات إلى أبواب على أساس الحرف الأخير وفصول وفق الحرف الأول، وتخلى عن نظام التقليبات واتبع النظام الأبجدي المعتاد، إذرتّب الفصول حسب الأحرف الأولى للكلمات، فمثلًا يبدأ بباب التاء ثم الثاء فالجيم فالحاء وهكذا، ويُقسّم كل باب إلى فصول تبدأ بحرف الهمزة تليها الحروف الأُخر وصولًا إلى الياء، بعد الانتهاء من باب معين، ينتقل إلى الباب الذي بعده الطريقة بنفسها ، مثل الانتقال من باب الهمزة إلى باب الباء، ومع ذلك لم يكن

من الضروري أن تحتوي جميع الأبواب على ثمانية وعشرين فصلًا بالضرورة، إذ يتوقف ذلك على وجود الألفاظ المستعملة أو غيابها، بناءً على ذلك اكتملت بعض الأبواب بهذا العدد الكامل من الفصول، في حين بقي بعضها الآخر غير مكتمل.

تخلى الصغاني عن نظام ترتيب الحروف بحسب مخارجها، وتجاوز ترتيب أوائل الألفاظ وفق الترتيب الأبجدي، وأهمل نظام الأبنية والتقليبات، عوضًا عن ذلك، ابتكر نظامًا جديدًا يعتمد على ترتيب الألفاظ بناءً على أواخرها.

فالمعجم في تصنيفه لديه تقسيم دقيق ومُنظم يتكون من ثمانية وعشرين باباً، يُخصص كل باب منها للألفاظ التي تشترك في الحرف الأخير من كلماتها، وعلى سبيل المثال هناك باب مخصص للألفاظ التي ينتهي آخرها بحرف (ء)، وباب آخر للكلمات التي تنتهي بحرف (ب)، ثم باب للحروف الأخيرة التي تكون (ت)، و تستمر الأبواب بالتتابع هكذا على وفق ترتيب الحروف حتى الوصول إلى الحرف الأخير من الأبجدية، وهذا الأسلوب يتسم بالدقة والترتيب، مما يسهل عملية البحث والتنقل بين أقسام المعجم المختلفة.

ولقد قام بتقسيم كل باب من هذه الأبواب إلى فصول، مستنداً إلى الحرف الأول من الكلمة ومرتّباً الفصول على وفق ترتيب الحروف الأبجدية، وعلى سبيل المثال، يتمّ تقسيم باب الهمزة إلى فصول تبدأ بحرف الهمزة وتنتهي بحرف الياء، مع المحافظة على هذا التسلسل المنظَّم.

وتتضمن هذه الفصول جميع الكلمات ذات الجذور الثنائية والثلاثية والرباعية.

ويحتوي معجم العباب الزاخر في صفحاته على الكثير من المَلاحِظ والنقود اللغوية، إذ يتركز معظمها على نقد أصحاب المعاجم، وفي هذا البحث قمنا بدراسة بعض هذه النقود وتحليلها، ومن أبرز مانعرضه ما يأتي :

أولاً: الخليل بن أحمد الفراهيدي:

ورد في مادة "جذل" نقدٌ للخليل قام بذكره الليث، إذ وصف قول الخليل باستعمال كلمة "الجذل" بأنه تصحيف، وأشار إلى أن الصواب هو "الجدل" بالدال، إذقال الليث: "جُذلت الدروع"، بمعنى أُحكمت، إلا أن الصغاني، مؤلف هذا الكتاب، اعترض قائلاً بأن هذا تصحيف، والصحيح هو "جَدلت" بالدال المهملة.[1]

ويرى الصغاني أنَّ الخليل قد جانب الصواب في وصفه، عادّاً ما ورد منه تصحيفاً. وللتحقق من دقة اللفظ بين "الدال" و"الذال"، يصبح الرجوع إلى أهل اللغة ضرورة لا غنى عنها، أما الخليل، الذي وُجّه إليه النقد، فقد عرض في مادة "جذل" أشكال الكلمة المستعملة مثل "جدل" و"جلد" فقط، ومن بين المعاني التي يحملها لفظ "الجدل"، أورد قوله: "الجدل: إحكام الدروع".[2]

وإمكان وقوع التصحيف في هذا الموضع تبدو ضئيلة للغاية ؛ وذلك لأنَّ نظام الترتيب الدقيق الذي اتبع في تصنيف "كتاب العين" يجعل من المستبعد أن يكون موضع مادة "جدل" قريباً من مادة "جذل"، ويعني ذلك أنَّ احتمال الالتباس أو الخلط بينهما في النص الأصلي ضعيفٌ جداً، إلا في حال تم إدخال العبارة المشار إليها في وقت لاحق من النُّساخ أو المدونين، وقد تعمَّق المحققون في عرض هذا النص بإضافة ملحوظة مهمة في الحاشية رقم [1] الجزء السادس، الصفحة 95 من "العين"، إذأوردوا الإشارة الآتية: ورد بعد ذلك في الأصول المخطوطة ما نصه (وقال غيره: جدلت بالدال أعرفه)، وهذه العبارة كان من الأجدر ذكرها في متن الكتاب الأصلي بدلاً من وضعها في الهامش ؛ لأنَّها تحمل توضيحاً حاسماً يعرض طبيعة

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 13/ 109.

(2) معجم العين ، الخليل : 6 /95.

الجدل في استعمال حرف الذال أو الدال، وهو الجدل الذي يمكن إنهاؤه بذكر هذه العبارة صراحة.

إن العبارة "وقال غيره: جدلت بالدال أعرفه" لا تعني أن المصدر الذي نُقل عنه التعبير مجهول تماماً أو مبهم، بل تشير إلى أن الخليل، العالم اللغوي المعروف، كان على دراية تامة بمن قال ذلك، لكنه اختار أن يُعرض عن ذكر اسم المصدر صراحة في السياق، وإذا ما دققنا في معنى العبارة بعمق، نجدها تفيد بمعرفة القائل بوجود من يستعمل كلمة "جدلت" بحرف الدال بدلاً من الذال، ولكن رغم ذلك، يتضح أن الأصل اللغوي السليم للكلمة يقوم على استعمال الذال وليس الدال.

وبناءً على ما تقدم، فإنَّ أي محاولة لتفسير العبارة دون مراعاة هذا التوضيح قد تؤدي إلى الالتباس، مما يؤكد أهمية دمج هذا البيان بطريق أوضح في متن الكتاب الأصل لتوافر تفسير أكثر شمول ودقة للمسائل اللغوية المعروضة.

وأورد أبو علي القالي رأياً مختلفاً عما جاء به الخليل، إذ استعمل لفظة "الجدل" بمعنى إحكام نسج الدرع، وناقشها من ضمن مادة "جدل"، وقد أشار في كلامه إلى الدقة والإتقان في صنع الدرع، مما يعطي الكلمة بُعداً لغوياً يعبر عن التماسك والقوة في بنية الأشياء، ويقول: والجدل، بحسب ما جاء في الدراسات اللغوية القديمة، يحمل معنى الإحكام والإتقان في صنع الدروع، وهو ما يمكن استنتاجه من تحليل الكلمة في سياقها الفعلي والاشتقاقي، ويتمثل هذا الإحكام في طريقة نسج هذه الدروع بصورة تجعلها متينة وقادرة على أداء وظيفتها بكفاءة، وقد استعمل مؤلفون ولغويون قداماء هذا المصطلح للإشارة إلى إتقان الصنعة، و أبرزهم الأزهري، الذي أوضح هذا المعنى مستشهداً برؤى وأقوال علماء اللغة، ومن بينهم الخليل.

وقد عرض الخليل الجذر اللغوي في مادة "جدل"، إذ عرّف لفظ الجدل في ضوء ارتباطه الوثيق بخصّيصة الإحكام، ولكنه عرض ذلك من ضمن المادة "جدل" وليس "جذل"، ما يعني أنّ هناك دقة عالية في التصنيف والمعالجة اللغوية التي اعتمدها، وفي إطار توضيحه هذا المفهوم، نقل الأزهري قول أبي عبيد[1] الذي أكد المصطلحين "الجَدْلاء" و"المجدولة" يستعملان لوصف الدروع ذات النسج المتين والمتقن، وبالمقارنة مع مفهوم الدروع الموضونة، فإن الجَدْلاء تشير إلى الدرع المنسوجة بإبداع ودقة. [2]

وقد جاء الشعر القديم معضداً هذه التصورات اللغوية، إذ أورد الأزهري بيتاً شعرياً للحطيئة الذي يصف به درعاً بأنها جدلاء محكمة النسج تُظهر المهارة في صناعتها، فقال الحطيئة :

جدلاء محكمة من نسح سلام [3]

وهذا البيت يوثق التأكيد على الجودة العالية والإبداع في نسج الدروع آنذاك، وهو ما يجعل مفردة الجدل تشمل معنى يتجاوز التناظر أو الحوار ليترسخ في إطار فني يعبر عن الإتقان والحرفية العالية.

ذكر الازهري عن الليث أن جمع كلمة "الجدلاء" هو "جدل"، وقيل: "جدلت الدروع" بمعنى أحكمتها،[4] ومع ذلك، فإن هذا القول الأخير الذي نسبه الأزهرِي إلى الليث، أي صاحب كتاب "العين"، لم أعثر عليه في نصوص "العين"، فيظل مصدر هذا النقل الذي اعتمده الأزهرِي موضع نقاش .

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 1/ 220.

(2) البارع في اللغة ، أبو علي القالي : 1/ 633.

(3) ديوان الحطيئة ، الحطيئة : 138.

(4) تهذيب اللغة ، الأزهري : 10 / 342.

وكان لابن عباد رأي مختلف عن موقف الأزهري، إذ أبدى توافقه مع الخليل فيما يتعلق بمعنى لفظ "الجدل"، فقد أوضح ابن عباد أنَّ الجدل يشير إلى عملية إحكام وصنع الدروع بإتقان، وقد ورد عنه أنَّه قال إنَّ الجدل يتمثل في إحكام الدروع، موضحًا ذلك بقوله: "يُقال جدلت الدروع، أي أتقنت صناعتها وأحكمت تشكيلها"،[1] ومن جهة أُخر، أضاف الجوهري تأكيده لفظ الجدل يرتبط بالدال ويستعمل للدلالة على المعنى نفسه المتعلق بصناعة الدروع بإتقان ومتانة.[2]

وأشار ابن فارس إلى مفهوم الجدل بمعنى الإحكام في كتابيه "المجمل" و"المقاييس"،[3] وذكر في "المقاييس" أنَّ الجذر الثلاثي للجيم والدال واللام يعود إلى أصل واحد، وهو ما يرتبط باستحكام الشيء مع تماسكه واسترساله، ومن ذلك، ما ورد عن "الدرع المجدولة"، التي تُوصف بأنها مُحكمة الصنع ومعقودة بإتقان.[4]

ولم يخرج ابن سيده عن إطارهم، لكنه انماز باستشهاده ببيت شعري لأبي ذؤيب، إذ استعمل المصدر بدلًا من الصفة المشتقة، فقد ذكر: ودرع جذلاء، ومجدولة محكمة النسج، مستدلًا بقول أبي ذؤيب:

فهن كعليان الشريف جوانح وهم فوقها مستلنمو حلق الجدل [5]

(1) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده : 7 / 67.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 4 /1654.

(3) مجمل اللغة ، الرازي : 1 /179.

(4) مقاييس اللغة ، الرازي : 433/1، 434.

(5) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، أبي ذؤيب الهذلي : 70.

الحلق المجدولة للدرع باتت تستعمل بحرية، إذاستُبدل المصدر بالصفة التي حلّت مكان الموصوف.[1]

وعرض الزمخشري في تفسيره وصف الدروع بأنَّها تتسم بالجدل، وهو استعمال مجازي يشير إلى الإحكام والدقة في صناعتها وصيانتها، وعزّز ابن منظور هذا المعنى بنقل آراء من كان قبله، إذ أكد دلالة "الجدل" على الدروع المحكمة الصنع، وأورد إضافة لرأي الخليل الذي ذكر مفهومه عن الجدل في مادة "جذل".[2]

وفي سياق مشابه، تحدث الفيروزآبادي عن الدروع المحكمة بصيغة الجمع تحت مادة "جدل"، مما يدل على الاتجاه نحو تأكيد هذا الاستعمال المجازي، ومن جانبه قدَّم الزبيدي تفسيرًا أكثر تفصيلًا، مشيرًا إلى أن الدروع المحكمة يمكن وصفها بالجدلاء أو المجدولة، وأنَّ جمعها هو "جدل"، واستشهد في ذلك بأبيات شعرية تدعم رأيه وتظهر استعمال هذه المفردات شعريًا. [3]

وفي خطوة لافتة، أشار الزبيدي إلى نقاش الصغاني الذي أضاف ملحوظة نقدية على رأي الخليل. فقد نقل الزبيدي عن الليث قوله بأن الدروع إذا جُذلت، فهذا يعني أنها أُحكمت، إلّا أنَّ الصغاني اعترض على هذا القول عادّاً إياه خطأً أو تصحيفاً، وأوضح بأن الصواب في هذا المقام أن يكون الحرف هو الدال المهملة، فهذا النقاش يبرز طبيعة الجدل اللغوي حول مصطلحات دقيقة وعريقة كالتي أُثريت بها اللغة العربية عبر تطورها.[4]

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده : 7 /324.

(2) لسان العرب، ابن منظور : 11 /104، 105.

(3) القاموس المحيط ، الفيروزأبادي : 975.

(4) ديوان كعب بن زهير، كعب بن زهير : 67.

نستنتج مما تم عرضه أنَّ من الدلالات المرتبطة بكلمة الجدل هي الأحكام، إذ وصفوا الدرع بالجدل بمعنى المحكمة، وهو رأي يتفق عليه الغالب من أهل اللغة، ومع ذلك شذ عن هذا الإجماع الخليل وتبعه ابن عباد، إذ عدّوا أن اللفظ الأصل الذي يشير إلى إحكام الدروع هو الجذل بالذال، ورغم أنَّ بعض اللغويين نقلوا استعمال الجدل بالدال في السياق نفسه، إلّا أنَّ ما ورد في كتابي العين والمحيط ضمن مادة جذل، إذ وُصف هذا الاستعمال بأنَّه تصحيف، يدعم صحة رأي الصغاني الذي أشار إلى هذا التصحيف، فالاتفاق بين العلماء في المعجمات والشعراء الذين استعملوا اللفظ في قصائدهم يعزز صحة ما ذهب إليه الصغاني. (1)

أما في ما يخصُّ العبارة "جدلت بالدال" التي قيل إنه يُعرف استعمالها، فإنَّ ورودها قد يكون من الإضافات أو من أخطاء النسّاخ التي تسلَّلت إلى النصوص المكتوبة.

ثانياً: ابن دريد:

يعرض الموضوع جدالًا لغويًا عن أصالة الحروف وزيادتها في كلمة "صنبور" وتحليل وزنها اللغوي، إذ يقدم ابن جني والصغاني تأييدًا لأصالة النون في الكلمة، بينما يرفضون رأي ابن دريد الذي يرى أن النون والواو زائدتان. (2)

وقد استند الصغاني على أصالة النون إلى أمثلة شبيهة، مثل وزن "جمهور" و"بهلول" الذي يتطابق في بنيته مع كلمة "صنبور"، و إلى استعمال تعبيرات مثل "صنبر أسفله" و"عشش أعلاه"، التي تعضد فكرة أنَّ وزن الكلمة "فعلل" وليس "فنعل"، فهو ملحق بالفعل الرباعي

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 6 /198.

(2) شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ، ابن جني : 103.

استعمله على قلة ، و أضاف دليلًا آخر من كلمة "نهشل"، إذأوضح أن النون أصلية فيها بناءً على اشتقاقها ووزنها الصوتي. (1)

في قبال ذلك ، أشار النص إلى رفض الصغاني رأي ابن دريد الذي رأى أنَّ النون والواو زائدتان في كلمة "صنبور" في جميع معانيها، وعدّ هذا الرأي غير صحيح ، ولاسيّما وجود تأييد قوي من حجج ابن جني وتصريحات الصغاني التي تثبت أصالة النون،(2) وبهذا يظهر أنَّ الجدال هذا يؤدي إلى دراسة عميقة للغة العربية وتحليلًا دقيقًا للأوزان والتراكيب اللغوية.

إنَّ ابن دريد لم يكن أوَّل من أشار إلى لفظ "الصنبور"، فقد ورد هذا اللفظ في كتابات الخليل من ضمن المادة الرباعية "صنبر"، مما يُثبت أنَّ النون أصلية، إذأورد الخليل تعريفه قائلاً: "الصَدير هو الرجل اللئيم... والصنبور أيضاً هي القصبة التي تستعمل في الإداوة، سواء كانت مصنوعة من حديد أو من الرصاص، ويُشرب بها".(3)

وصف ابن دريد النون في كلمة "صنبور" بأنَّها قد تكون زائدة أو أصلية بناءً على سياق استعمالها ومعناها، فقد قدّم الكلمة من ضمن مادة "صبر" الثلاثية بوصفها ذات نون زائدة، كما ورد في قوله: "وصنبور الحوض مخرج الماء من أسفله، وكذلك صنبور الإدارة المنزل الذي يخرج منه الماء"، هنا يظهر أنَّ النون زائدة لدلالة معينة على الأداة أو المخرج. (4)

وفي موضع آخر، تعامل مع النون بوصفه حرفاً أصلياً عندما أتى بالكلمة في باب "ما جاء على وزن فعلول" وألحقها بالكلمات الخماسية، إذقال: "وصنبور، رجل صُنبور: لا نسل له،

(1) جمهرة اللغة ، ابن دريد : 1 /313.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 6 /11.

(3) معجم العين، الخليل : 7 / 180.

(4) جمهرة اللغة ، ابن دريد : 1 /313.

ونخلة صنبور إذا دق أسفلها، والصنبور البزال الذي في الإدارة من الصفر أو الرصاص، والصنبور: مخرج الماء من الحوض، والصنبور: الصبي الصغير"، بهذا السياق، يُفهم أن النون تعدّ أصلاً للكلمة وتُشتق منها معانٍ متعددة تعبر عن صفات أو أدوات. (1)

يمكن الاستنتاج بأنَّ ابن دريد تعامل مع كلمة "صنبور" بمرونة لغوية تعتمد على الاشتقاق والسياق، مما ساعد في إظهار ثراء اللغة ودقة تصنيف مفرداتها.

أما الفارابي فقد أورد لفظ الصنبور في باب "فعلول" بضم الفاء أو "فنعول"، إذذكر: "الصنبور متعب الحوض، والصبور قصبة من رصاص في الإداوة"،(2) ومن هنا، ألقى الفارابي الضوء على احتمالين لتفسير صياغة الكلمة، فقد رجّح إمكان أن تكون النون جزءًا أصليًا من تركيب الكلمة إذا كان وزنها "فعلول"، بينما تُعدُّ زائدة إذا كان وزنها "فُنْعُول"، وفي هذا الإطار نرى لاحقًا أنّ الأزهري اتّبع نهج أستاذه الخليل بن أحمد بإقراره النون أصلية، إذ قام بتفصيل لفظ الصنبور وجميع معانيه المُتعلّقة بالمادة الاشتقاقية الرباعية "صنير"،(3) وفي السياق نفسه ، لم يختلف ابن عباد عنهما في المعالجة والمعنى، إذ وصف النون بأنها أصلية بناءً على عرض المادة الرباعية "صبر" بالدقة بنفسها والصياغة المقترنة بمفهوم الصنبور ومعانيه المختلفة.(4)

(1) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 197/1.

(2) ديوان الأدب ، الفرابي : 2/ 63.

(3) تهذيب اللغة ، الأزهري : 12 /190.

(4) المحيط في اللغة ، ابن عباد : 8/ 225.

أما الجوهري فقد عدَّ النون بمنزلة القائد و تُعَدّ الواو قائدة للكلمات، إذ أشار إلى كلمة الصنبور بمختلف معانيها من ضمن مادة "صبر" الثلاثية،[1] ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن الجوهري أدرج أيضًا كلمات رباعية في كتابه، وفي الباب نفسه مثل "صغير" و"صعفر".[2]

وأورد ابن فارس كلمة "الصنبور" في كتابيه "المجمل" و"المقاييس" من ضمن باب الكلمات العربية التي تتألف من أكثر من ثلاثة أحرف وتبدأ بحرف الصاد، وفي "المقاييس"، أشار إلى أن الكلمة ليست خاضعة للقياس اللغوي، إذ قال إنها وضعت وضعاً. وأوضح أن "الصنبور" يشير إلى الرجل الذي يعيش منفرداً، بلا ولد ولا أخ، بينما "الطنبور" هو النحلة التي تبقى منفردة وتُصدر صوتاً عندما تدقّ أسفلها، و يشير أيضاً إلى "الطلبوز" كالجرة الصغيرة التي تستعمل بحذر أو قد تعني شيئاً في إدارة دائرية مثل الرصاص المستعمل للشرب.[3]

ولقد عدَّ ابن سيده أنَّ النون في كلمة "الصنبور" أصلية، إذ أدرجها من ضمن باب الرباعي تحت مادة (الصاد والراء)،[4] وقد سار ابن القطاع على النهج نفسه في كتابه "الأفعال"،[5] أمّا الحميري، فقد قدم كلمة "الصنبور" بكل معانيها المختلفة من ضمن باب (فعْلُول، بضم الفاء)، مما يشير بوضوح إلى أنَّه كان يرى النون جزءًا أصليًا من الكلمة.[6]

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 2 /708.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري : 2/ 713.

(3) مقاييس اللغة ، ابن فارس : 3/ 353.

(4) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده : 8 /398.

(5) كتاب الأفعال، علي بن جعفر الصقلي : 2 /264.

(6) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري : 6 /3837.

إن ابن منظور لم يخرج عن المنهج الذي اتبعه من سبقه، إذ عدَّ حرف النون جزءاً أصلياً في كلمة "الصنبور"،[1] وبيّن أن أصل الكلمة مشتق من "صنبر". وفي السياق نفسه ، واخذ الزبيدي في معجمه "التاج" بالرأي نفسه عارضاً كلمة "الصنبور" من ضمن المادة اللغوية "صنبر" الرباعية.[2]

نستنتج من العرض المذكور آنفاً للآراء والأقوال الواردة عن أهل اللغة أن كلمة "الصنبور" بجميع معانيها تُعدُّ اسماً مشتقاً من المادة الرباعية "صنبر"، و عدّ أن النون حرفاً أصلياً وليس زائداً، وذلك باتفاق الغالب من اللغويين، ومع ذلك خالفهم الجوهري إذ عدّ النون زائدة، إذربط اشتقاق الكلمة بالمادة الثلاثية "صبر"، أما ابن دريد، الذي تعرض لنقد الصغاني، فقد أورد الكلمة في مادة "صبر"، وعدّ النون زائدة، قبل أن يرجع ويذكرها في باب الألفاظ التي تأتي على وزن "فعلول"، ما يجعل النون في هذه الحالة حرفاً أصلياً، وبناءً على ذلك، يبقى الرأي الراجح أن النون حرف أصلي على وفق إجماع معظم أهل اللغة، ويبدو أن الصغاني كان مُحقاً في نقده رأي ابن دريد وعدم صحة حكمه على النون بأنَّها زائدة.

ثالثاً: الأزهري:

ورد في مادة "زلغ" نقد لغوي منسوب إلى الأزهري، إذعرض عدة تفسيرات لمعاني الكلمة، وبداية نقل الأزهري عن ابن عبّاد أن "زلغ الشمس" يشير إلى طلوعها، وهو تفسير وافق على ذكره، وبعدها أورد الأزهري رأيًا آخر نسبه للخليل (عبر الليث) يفيد بأنَّ "الزلغ" يدل على التشقق في القدم، إلا أنَّ الأزهري عدَّ هذا التفسير محرفًا ووصفه بالتصحيف، موضحًا أن الصيغة الصحيحة للكلمة تكون بالعين المهملة "الزلع."

(1) لسان العرب، ابن منظور : 369/4.

(2) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي : 12 /353.

ومن جهة أُخر، أتى الصغاني ليعارض رواية الأزهري، منكراً أن يكون لهذه الدلالة وجود في كتاب "العين" للخليل، وقد نقل عن ابن عبّاد:[1] "زلَغَت الشمس زُلُوعًا: طلعت، والنار ارتفعت"، وأضاف تعليقًا من الليث: "تزلّغَت رجله وتزلّعت: تشققت"، وأشار الأزهري بدوره إلى ما ورد عن الليث، لكنّه عدَّه تصحيفًا، قائلاً إن الأصل هو بالعين وليس بالغين، وردّ الصغاني على ذلك بقوله: "لم أجد هذا التركيب في كتاب الليث."[2]

يمكننا تبيّن أن النص يتضمن نقدين متصلين: الأول من الأزهري على الخليل، إذوصف تفسيره بأنه تصحيف باستبدال "الزلع" بـ"الزلغ"، والثاني من الصغاني على الأزهري نفسه، مشككًا بوجود هذه التركيبة في كتاب "العين"، وبما أنَّ السؤال هنا يتعلق بمعرفة الدقة اللغوية والصواب في كلا النقدين، فإن المسألة تتطلب تقصٍ للمصادر الأصلية لتحقيق التثبت من الرواية والتفسير اللغوي الصحيح لهذه المادة.[3]

ذكر الخليل في مادة "زَلَغ" أن اللفظ يرد بالعين والغين، مشيراً إلى ارتباطه بدلالة التشقق، وقد أوضح ذلك بقوله: "زَلَعَ: تَزَلَّغَتْ يدي أي تشققت، وتَزَلَّعت بالعين أيضاً"،[4] فضلاً على ذلك، سبق للخليل أن ذكر في مادة "لع" الدلالة نفسها قائلاً: "زلع: الزلع هو الشقاق الذي يكون في ظاهر القدم وباطنها، أما إذا كان في باطن الكف، فيسمى الكلغ."[5] وبناءً على النص الأول الوارد عن الخليل، يتضح بطلان قول الصغاني.

---

(1) المحيط في اللغة ، ابن عباد : 385/1.

(2) تهذيب اللغة ، الأزهري : 8 /76.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الصغاني : 11/ 29، 30.

(4) العين، الخليل : 4 /384.

(5) العين، الخليل : 1 /356.

وينتقد الأزهري استعمال الخليل لكلمة "زلغ" بمعنى التشقق، معتبرًا أنها تمثل تصحيفًا ؛ لأنَّ الكلمة الصحيحة هي "زلع" بالعَين غير المعجمة، وقد اتخذ الأزهري موقفًا منكِرًا لوجود اللفظ بالغين بصيغته ودلالته وجذره اللغوي، لكنه أشار إلى المصطلح في سياق مناقشته ما ورد في معجم العين، يوضح الأزهري قائلًا: "زلع" هو الفعل الذي يدل على التشقق، مستشهدًا بأن الاستعمال المعروف هو "تزلَّعت يده أو رجله" حين تتشقق، بالعَين غير المُعجمة، وفي قُبال ذلك يرى أنَّ من يقول "تزلَّغت" بمعنى تشققت قد وقع فيه تصحيف لغوي من وجهة نظره.[1]

وأشار ابن عباد في مادة "زلع" إلى دلالة التشقق بوصفها واحدة من دلالات الزلغ، وأضاف إليها دلالة طلوع الشمس، ثم قام بإعادة عرض دلالة التشقق بمزيد من التفصيل في مادة "زلغ"، و قدم وصفًا مفصلاً لهذه الدلالة مرة أُخرى من ضمن مادة "زلع".[2]

أما الجوهري، فقد تجاهل إدراج مادة "زلع"، مكتفياً بالإشارة إلى دلالة التشقق في ظاهر القدم والكف فقط، دون التطرق إلى باطنهما، والذي يُعرف بمصطلح آخر،[3] ومن جهته عرض ابن فارس مفهوم "الزلع" وربطه بالتشقق، لكنَّه لم يعرض مادة "زلغ" التي تحتوي على الغين، وذلك في كتابيه "المجمل" و"المقاييس"،[4] أما ابن سيده، فقد عرض كلتا المادتين، سواء أكان بالغين أم العين، لكنه استعمل "زلع" للإشارة إلى التشقق في ظاهر الكف والقدم بطريق عام، بينما خصص مادة "زلع" [5] بمعناها الآخر للإشارة إلى مفهوم الضرب، و من جانب آخر عرض

(1) تهذيب اللغة ، محمد الأزهري : 8 /76.

(2) المحيط في اللغة، ابن عباد : 385/1.

(3) الصحاح تاج اللغة ، الجوهري : 3 /1225.

(4) مجمل اللغة، ابن فارس : 1/ 438.

(5) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده : 1/ 522.

كل من ابن القطاع، و الزمخشري، والحميري تفسير "الزلع" بدلالة تشقق اليد، لكنهم لم يشيروا إلى وجود العلاقة بين "الزلع" و"الزلغ".[1]

ولقد ذكر الصغاني في كتاب "التكملة" أنَّ الجوهري أغفل مادة "رلع"، مشيرًا إلى رأي الخليل الذي عدّ أنَّ لفظي "الزلع" و"الزلع" (بحرف العين في كلا الموضعين) يحملان المعنى نفسه. ومع ذلك، أنكر الأزهري اللفظ بحرف العين تمامًا، موضحًا أن الجوهري تجاهله أيضًا، وأورد الليث عبارة "ترلعت رحلي" بمعنى تشققت، مشيرًا إلى استعمال حرف العين المهملة في كلمة "ترلغت"، وهو ما رفضه الأزهري.[2]

وأورد ابن منظور قول الأزهري بأن لفظ "زلغ" يُهمل عنده، بينما استعمله الخليل، مع إشارة ابن منظور إلى أنَّ حكم الخليل على هذا اللفظ يعد تصحيفًا،[3] ومن جهة أُخر عرض الفيروزآبادي لفظ "الزلغ" بمعنى مرتبط بالتشقق، مشيرًا إلى دلالات أُخر تحت مادة "لغ"، لكنه أوضح أن الصواب هو في لفظ "الزلع"، وأورد تفسيراته قائلاً: "زَلَغَتِ الشمسُ زلوعًا: بمعنى طلعت، والنارُ: أي ارتفعت، وتزلَّغتْ رجله: بمعنى تشققت، أو أنَّ الصواب بالعين المهملة في جميع هذه المواضع".[4]

وناقش الزبيدي آراء علماء اللغة في كلمة "الزلغ" وما تحمله من دلالات سواء أأتت بالغين المعجمة أم العين المهملة، ثم انتقد الفيروزآبادي إشارته إلى صحة ورود الكلمة بجميع دلالاتها بالعين المهملة، ويقول الزبيدي: استعمال المصنف للعبارة "في الكل" يوحي بأنَّ تعبير "زلوغ

(1) كتاب الأفعال، علي ابن جعفر الصقلي : 2/ 113.

(2) التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الصغاني 4 / 410.

(3) لسان العرب، ابن منظور : 8 /432.

(4) القاموس المحيط، الفيروزآبادي : 783.

الشمس والنار" يمكن أنْ يأتي أيضاً بإهمال العين، وهذا يتطلب تضمينه في تركيب "زلع" وهو ما لم يقم به المصنف كما أشار سابقاً، أما الصغاني، فقد ذكر التعبير عن ابن عباد دون عدّ ذلك تصحيفاً، ويرى الزبيدي أن الأفضل حذف عبارة "في الكل" لأنَّ إهمال العين في هذا السياق لم يُثبت من قِبَل أئمة اللغة في تركيب كلمة "زلع"، ولم يتطرق إليه أحد منهم، مما يؤكد أنَّ الكلمة في الأصل تُنطق بالغين المعجمة.[1]

ونستخلص مما تقدم عرضه أنَّ النقاش في لفظ "الزلغ" في تعليق الصغاني يتضمن نقطتين جوهريتين للنقد، النقطة الأولى تتعلق بالأزهري، الذي نقل قولًا عن الخليل عدّه الصغاني غير موجود في كتاب "العين"، ما دفعه إلى إنكار هذا القول، ومع ذلك يبدو أن الصغاني وقع في وهم أو خطأ؛ لأن النص الذي نقله الأزهري عن الخليل موجود فعلًا وبصورة صحيحة، ومن ثمَّ فإنَّ نقل الأزهري هذا القول كان دقيقًا ومبنيًا على مصدر موثوق، أما النقطة الثانية، فتتصل بنقد الأزهري نفسه لما ذهب إليه الخليل بشأن "الزلغ"، إذ رأى الأزهري أن هذا اللفظ محرف عن "الزلع" بالعين، وأن الأصل اللغوي هو "الزلع"، لا "الزلغ"، وقدم على ذلك شواهد ودلالات ذكرتها آنفاً [2].

وبالعودة إلى جوهر النقاش، نجد أن مفهوم "التشقق" يرتبط في الأصل بلفظ "الزلع" الذي ورد باتفاق أهل اللغة ، أما لفظ "الزلغ" بالغين فقد دار فيه خلاف بين علماء اللغة، فمنهم من قبِل و أورده بنفس معنى "الزلع"، وعدّوه اختلافاً في الدلالة أو نطق آخر عن الأصل، ومنهم من اعتبره واردًا بالغين، ولكنه رجح في الوقت نفسه أن "الزلع" بالعين هو الأصوب والأكثر صحة

(1) تاج العروس، الزبيدي : 495.

(2) ينظر : الصحيفة 141 من الرسالة .

من إذالدلالة والاستعمال، وهناك أيضًا من أنكر صحة هذا اللفظ ودلالته جملة وتفصيلًا، بل ذهب بعضهم إلى إهماله وعدم الالتفات إليه بوصفه مجرد تصحيف لغوي.

ومع كل هذا، يمكننا استنتاج أمر ثابت؛ وهو أن الأصل المتفق عليه في الدلالة على التشقق هو لفظ "الزلع"، ومع ذلك فإن الاعتراف بوجود "الزلغ" بوصفه لفظاً لغوي لا يمكن رفضه بشكل قاطع، إذ تدعمه بعض الآراء والمعاجم التي وثقته، وإن كان الخلاف في معناه وصحته مستمرًا.

رابعاً: الصاحب بن عباد:

يعرض النص مسألة لغوية تتعلق بلفظ "خصلف" الوارد في إحدى المدَّونات القديمة، إذقدّمه ابن عباد[1] بمعنى يُشير إلى خفة حمل النخل وقلّته، وهو تفسير أثار جدالاً بينه وبين الصغاني، بحسب ماذكره ابن عباد، ف"خصلف" بالضاد المعجمة يوصف به النخل في حالة قلة الحمل وخفته،[2] إلا أن الصغاني نقد هذا الرأي، موضحاً أن الصواب هو "حضلف" بالضاد، مع الإبقاء على الدلالة نفسها المرتبطة بالخفة وقلَّة الحمل.

ولتبيان أي الرأيين أكثر دقة، يتم الرجوع إلى المدوّنات المعجمية القديمة، يظهر في نصوص الخليل، في مادة "حضلف"، تعريف يُشير إلى خلف أو خلاف، موضحاً أنهما يعبران عن شجر المقل،[3] وهو نوع من الأشجار التي تُشبه النخل في هيأته وحالاته المختلفة، وتحمل شجرة المقل ثمار الدَّوم وتُعد واحدة من النباتات المشبهة بالنخل. [4]

---

(1) ينظر : المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد : 4 /459.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 170/11.

(3) العين، الخليل : 4/ 329.

(4) العين، الخليل: 5/ 175.

ويبدو أن الأمر يتطلب دراسة أعمق للتوفيق بين الرأيين اللغويين وتأصيل المصطلح بدقة بناءً على المصادر المعجمية.

فذكر أبو عمرو الشيباني أن الاختلاف في استعمال كلمة "الصاد" مسوَّغ ومؤيد لرأيه بشاهد شعري استدل به، إذأورد قول الشاعر ابن مقبل بوصفه شاهداً على وجهة نظره:

إذا زجرت الوت بضاف سبيبه أثيث كقنوان النخيل المختلف. [1]

وعرض الأزهري في سياق شرحه مادة "خضلف" الرباعية ما أورده الخليل وأبو عمرو عن معنى اللفظ، مسلطًا الضوء على العلاقة بين قلة حمل النخيل وشجر المقل، فقد قال: "الخلاف: شجر المقل"، وأضاف أبو عمرو أن "الخضلفة" تعني خفة حمل النخيل، وبيّن الأزهري تفسيره بالقول إنَّ قلة حمل النخل وُصفت بـ"خصلفة" لأنها تشابهت بشجر المقل في هذه الصفة، ومع ذلك يظهر من النص أن الأزهري قد وقع في التباس عند نقله عن أبي عمرو، إذاعتمد لفظ "خصلف" بالصاد، في حين أن الرواية الأصلية للخليل والأزهري تشير إلى "خضلف" بالضاد.[2]

وما ورد عن ابن عباد آنفاً يكشف عن آرائه المقتطعة للنقد والتأويل، فقد عبّر في سياق عرضه مادة "خصلف" عن رؤيته بطريق مقتضب ومباشر، بينما أشار في موضع آخر ضمن مادة "خضلف" إلى أن الخلاف هو شجر المقل، دون تخصيص أو إشارة توضِّح الصلة أو وَجْه الشبه المشترك بين شجر المقل وشجر النخل الذي يُعرف بثماره القليلة، وهذا العرض المفتقر للتوضيح أو الإيضاح الإضافي جعل من الصعب على القارئ التمييز بين طبيعة العلاقة التي قد تجمع بين هذين النوعين من الشجر، مما يُظهر قصوراً في الربط وتحليل التشابه بينهما.

(1) ينظر : ديوان ابن مقبل، ابن مقبل : 262.

(2) ينظر : الجيم الشيباني : 1/ 1974، 232.

وأوضح ابن سيده سبب تسمية شجر المقل والنخل خفيف الحمل بالخضلف، عن طريق الاستشهاد ببعض أقوال علماء اللغة في كتابه "المخصص"،[1] وقد ركز تحديداً على تفسير الاختلاف فيما يتعلق بشجر المقل، معتمداً على تصويره بصورة دقيقة ومحددة.[2]

وأورد الصغاني في مادة "خضلف" رأياً نقله عن الدينوري في ما يخصُّ دلالة الخصلاف وارتباطها بشجر المقل، و نقل قول أبي عمرو ورأي الأزهري في توضيح العلاقة بينهما،[3] ومع ذلك يبدو أن الصغاني وقع في وهم مشابه لوهم الأزهري عند نقلهما قول أبي عمرو بشأن "المخضلف"، والسبب في ذلك يعود إلى أنَّ ما ورد في كتاب "الجيم" هو "المحصلف" بحرف الصاد وليس الضاد.

وذكر ابن منظور في مادة "خصلف" تفسير ابن بري لهذه الكلمة، إذ قال إنَّ "خصلف" تشير إلى نخل مختلف قليل الحمل،[4] وقد أورد ذلك في سياق الكلمة المكتوبة بالصاد، ثم عاد ابن منظور ليكرر التفسير نفسه في مادة أُخرى بالعنوان نفسه ، ناقلاً التفسير عن أبي عمرو، مع توضيح الأزهري لعلَّة التشابه بين المعنيين، ومن الجدير بالذكر أننا سبق أن أوضحنا تفسير أبي عمرو لهذه الكلمة بعدّها مكتوبة بالصاد وليس بالضاد.[5]

(1) ينظر : المخصص، ابن سيده : 3 / 229، 230.

(2) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده : 5 /330.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 11 /172.

(4) لسان العرب، ابن منظور : 9 /74.

(5)لسان العرب، ابن منظور : 9/ 75.

وأورد الفيروزآبادي الكلمة ضمن مادة (حصلف) مستنداً إلى نقل ابن عباد، إذأشار إلى وجود خطأ في استعمالها ووضح الصواب بشأنها، ثم عاد ليثبتها في موقعها الصحيح تحت مادة (حضلف).[1]

وورد في تاج العروس تفسير كلمة "الخَصْلَفَة " ب"الصاد" بأنها تدل على خفة الحمل، وهو ما نقله الصغاني عن ابن عباد، وكذلك ابن منظور عن ابن بري، إذ أشاروا إلى أنَّ الجوهري أهمل هذه المادة تماماً، ثم عاد النص ليؤكد إهمال الجوهري أيضاً مادة "خضلف"، مع ذكر قول الدينوري الذي أشار إلى أن الكلمة ترتبط بنوع من الشجر، بينما أوردها أبو عمرو بحرف الضاد. أما الأزهري فقد أوضح سبب التشابه بين قلة حمل النخل وشجر المقل.[2]

تمت الإشارة إلى أنَّ لفظ "خَلَف" بالضاد يشير إلى نوع من الأشجار غير المثمرة التي تشبه النخل، أو قد يحمل معنى آخر وهو النخل قليل الحمل، وتتضح هنا علاقة مشابهة بين شجر المقل والنخل قليل الحمل، وهو ما أشار إليه الأزهري ووافق عليه الغالب من علماء اللغة، وإن كان بعضهم قد أهمله، أما اللفظ "خَصْلَف" بالصاد فقد نُسب عند قلة إلى النخل ذي الحمل الخفيف، لكنه لم ينل الكثير من العناية، ويُعدُّ أبو عمرو أوَّل من ذكره بالصاد، إلا أنَّ من تبعوه وقعوا في خطأ نقله بالضاد، وربما يرجع ذلك إلى عوارض النسخ والتدوين، وقد انتقد الصغاني ما أورده ابن عباد عن هذا اللفظ بالصاد، وبيّن أن الصحيح هو استعمال الضاد، موضحًا موضعه الأصلي بدقة، وبذلك يبدو نقده في محله.

(1) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : 805.

(2) ينظر : تاج العروس، مرتضي الزبيدي : 219/23 – 223.

خامساً: ابن فارس:

وجاء في معجم العباب الزاخر في تفسير كلمة "هرجس" من ضمن الكلمات الرباعية انتقاد موجّه من الصغاني إلى ابن فارس حول مفهوم القلب المكاني بين الحروف، يوضح الصغاني أن ابن فارس قد أخطأ عندما ذكر أن "الهرجاس" يعني "الجسيم"،[1] ويقول الصغاني: "ابن فارس ارتكب خطأ في ترتيب حروف الكلمة، والصحيح هو أن الكلمة الأصلية هي 'الجرهَاس'، وقد أوردتها بالشكل الصحيح في موضعها في الكتاب"،[2] أضاف الصغاني أن ابن دريد والليث والأزهري قد أشاروا إلى الكلمة بشكل سليم وفق ترتيبها المصدر؛ لأن هذه اشارة أُخرى غير إشارة النص المنقول عن الصغاني .

ومن ثمَّ قدّم الصغاني تفسيرًا تفصيليًا عن وجود قلب مكاني في ترتيب الحروف كما ورد عند ابن فارس، إذقلب حرف الهاء مكان الجيم بشكل خاطئ، وأوضح أن الصواب هو تقديم الجيم على الهاء ليصبح ترتيب الكلمة "جرهَاس"، مشيرًا إلى أن هذا هو الهيأه الأصل للكلمة وربطها بمصدرها الدقيق، وقد حرص على تصحيح هذا الالتباس عن طريق الإشارة إلى مصادر اللغة التي تؤكد الترتيب الصحيح،[3] مما يدل على حرصه الشديد على التدقيق اللغوي لضمان الفهم السليم لمعاني الكلمات.

ولفهم الأصل الدقيق للفظ ومصدره، يجب العودة إلى المصادر اللغوية والمعاجم، بدءًا من كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي، إذذكر اللفظ "الجزهاس" مع تقديم الجيم تحت مادة "جرهس"،

(1) مجمل اللغة، أحمد بن فارس : 1 /911.

(2) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 7/ 246.

(3) العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 7 / 592.

والتي تعني الجسيم، ولتعزيز هذا المعنى، "جزهس والجزهاس الحسيم"، استشهد ببيت شعري يصف الأسد قائلاً:

يكنى وما حول عن جرهاس من فرسه الأسد: أبا فراس. [1]

وأشار ابن دريد إلى لفظ "الجرهاس" بتقديم الجيم، وفسره بأنه يعني الغليظ الشديد، وربط معناه بلفظ "الحرفاس"، موضحاً: (وأسد جرهاس غليظ شديد، مثل جرفاس سواء)،[2] ومن جانبه عرضالأزهري أيضاً لفظ "الجرهاس" بتقديم الجيم، مشيراً إلى أن معناه يرتبط بالجسامة، وقد يكون من أسماء الأسد. واستدل على ذلك ببيت شعري ورد في كتاب "العين".[3]

أما ابن عباد فقد استعمل اللفظ بطريقة تتضمن قلبًا مكانيًا، إذقدّم الهاء على الجيم في الكلمة، مع المحافظة على المعنى نفسه الذي يشير إلى الضخم أو الجسيم،[4] وقد ذهب الجوهري إلى الرأي نفسه في تعامله مع هذا اللفظ وأورد المعنى نفسه،[5] ومن جانب آخر اتفق ابن فارس مع كل من ابن عباد والجوهري فيما يتعلق بأن الكلمة تُنطق بتقديم الهاء لتصبح "الهرجاس"، مفسّرًا إياها بمعنى الجسيم، واكتفى بالإشارة إلى هذا التفسير بشكل مختصر ضمن كتابه "المجمل".

و عرض ابن فارس كذلك في باب "ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف أوله جيم" كلمة "الجزهاس"، موضحًا أنها تُنطق بالجيم والفاء، وهي تحمل معنى الغليظ أو

(1) ينظر : ورد البيت بلا نسبة في معجم العين ، الخليل : 4/ 115.

(2) جمهرة اللغة ، ابن دريد : 2 / 1137.

(3) تهذيب اللغة ، محمد الأزهري : 6 /270.

(4) ينظر : المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد : 115/4.

(5) الصحاح ، الجوهري : 3/ 990.

الضخم،[1] أما ابن سيده، فقد أورد لفظًا آخر وهو "الجرهاس"، إذقُدمت فيه الجيم على الهاء، وشرح معناه بصفته يشير أيضًا إلى الجسيم والغليظ، وقد استشهد بذلك سواء في كتابه "المحكم" أو "المخصص"، مما يبيّن تركيزه على المعاني الدقيقة للكلمات وفق سياقاتها المختلفة.[2]

و ذكر الصغاني في كتابه "التكملة" تحت مادة "جرهس" أن الجوهري أغفل هذه المادة، ولكنه نسب ما ورد عن الخليل إلى الليث، معزِّزًا ذلك ببيت شعري ولحظ فيه أن معناها يشير إلى "الجسيم" أو "الأسد الغليظ الشديد".[3]

أما في مادة "هرجس"، فقد أشار الصغاني إلى تصحيح اللفظ وتوضيح مسألة القلب المكاني التي حدثت لدى كل من ابن فارس والجوهري، وأوضح وجه الصواب الذي ذكره الخليل وابن دريد، قائلاً إن الجوهري أورد في هذا التركيب "الهرجاس الحسيم"، إلا أنه وقع في التباس مشابه لما حدث مع ابن فارس، أو ربما نقل الكلمة كما وردت في كتابه، وأضاف أن هذا المثال مشابه لـ"الجزهاس"، على غرار "الجرفاس"، وقد عرض الموضوع في موضعه المناسب، مشيرًا إلى أن ابن دريد والليث ذكراه بطريقة صحيحة.[4]

وقد ورد في كتاب "اللسان" مصطلح الجزهاس بمعنى الجسيم، مدعومًا ببيت شعري في مادة "جرهس"، وقد أشار الفيروزآبادي إلى كلمة الجزهاس وفق أصلها ومعناها،[5] إذتعني الجسيم والأسد الغليظ الشديد، وذلك في باب الجيم،[6] وبعدها يعرضمصطلح الهرجاس بتقديم الهاء

(1) مجمل اللغة ، ابن فارس : 1 / 208.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده : 4 /446.

(3) ينظر : التكملة والذيل والصلة، الصغاني : 3 / 332.

(4) ينظر : التكملة والذيل والصلة، الصغاني : 3 /447.

(5) ينظر : لسان العرب، ابن منظور : 6 /38.

(6) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : 536.

ضمن باب الهاء، مشيرًا إلى الخطأ الذي وقع فيه الجوهري بتقديم الجيم بدلاً من الهاء، وأوضح قائلًا: "الهرجاس، بالكسر، يشير إلى الجسيم، لكن هذا خطأ ارتكبه الجوهري وغيره، والصحيح هو الجرهاس مع تقديم الجيم".[1]

ونقل إلينا الزبيدي خلاصة دقيقة ومدعّمة بمرجعيات لما قاله العلماء السابقون في مادتي "جرهس" و"هرجس"، مقدماً بياناً تفصيلياً عن الاختلافات والمَلاحِظ التي وردت فيها، ففي معرِض كلامه عن "الجَرهَس"، أشار قائلاً: الجزهاس، بالكسر، قد أهمله الجوهري، بينما ذكره الليث موضحاً أنه يقصد به الجسيم، وأضاف أن الجزهاس أيضاً يُطلق على الأسد الغليظ الشديد، وهذا ما نقله كلاً من الصغّاني وابن دريد. [2]

أما بفي ما يخصّ كلمة "هرجس"، فقد أورد الزبيدي أيضاً قائلاً إن الهَرْجَاس، بالكسر، يُطلق أيضاً على الجسيم، وهو ما ذكره الصغّاني، غير أنّ الزبيدي أشار إلى وجود خطأ في نسبة الكلمة للجوهري وغيره، و أوضح ابن فارس هذه المسألة ، إذ أشار إلى أنّ الخلط حدث عن طريق تقديم الجيم على الراء، و أضاف أن الصواب هو "الجزهاس"، وأكد أنه ذُكر في موضعه الصحيح، واستشهد في ذلك بأقوال ابن دريد والليث والأزهري الذين ذكروا الأمر بشكل دقيق وصحيح.[3]

وفي ضوء ماتقدَّم من الآراء المختلفة حول أصل اللفظ (الجزهاس) بتقديم حرف الجيم على الهاء ، إذ أيد هذا الرأي كل من الخليل وابن دريد والأزهري وابن سيده، وفي قبال ذلك ورد لفظ (الهرجاس) بتقديم الهاء على يد بعض أصحاب المعجمات، وهو ما عدَّ حالة من القلب المكاني

(1) ينظر : القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : 580.

(2) ينظر : تاج العروس، مرتضى الزبيدي 15/ 449.

(3) ينظر : تاج العروس، مرتضى الزبيدي : 27/17.

لترتيب حروف الكلمة، وظهر في هذا السياق الصاحب بن عباد والجوهري وابن فارس بوصفهم مؤيدين هذا الرأي، إلا أن الصغاني رفض تفسير ابن فارس وأشار إلى الخلل فيه، ويُحتمل أن يكون سبب هذا الالتباس السرعة في النطق، مما أدى إلى تقديم الهاء على الجيم وتوليد توهم لدى من أخذ بهذا الرأي.

إن الصغاني، ومعه ابن منظور والزبيدي، أوضحوا الاختلافات التي طرأت على ترتيب الحروف، وسعوا إلى تصحيح الأخطاء التي وقعت بها بعض المعجمات، وبالنظر إلى تحليل الصغاني وترجيحه اللفظ الصحيح، يتضح أن موقفه كان صائباً، و إنَّ نقده رأي ابن فارس ومن أيّده جاء مقنعاً ومنطقياً.

سادساً: من لم يصرح باسمه:

أورد الصغاني في إحدى المواد نقداً لأحد علماء اللغة دون التصريح باسمه، إذ وصف رأيه بأنه غير صائب، فقد قال الصغاني: "الإغليط وعاء ثمرة شجرة المرخ، يشبه قشر الباقلاء، ويُقارب في الشكل أذن الحصان"، وأضاف أن بعض من كتبوا في اللغة ذكروا أن الإغليط هو ورق شجرة المرخ، وأكد عدم دقة هذه المسألة ؛ لأنّ المرخ لا يُنتج أوراقًا، بل أغصانه مستقيمة ورقيقة تُسمى "قبطانًا دقاقًا"، ثم أوضح الصغاني قائلًا: "رأيت المرخ لأول مرة سنة خمس وستمائة بقديد قرب مكان خيمة أم معبد رضي الله عنها، إذأشعلت منه النار، لأنني سمعت المثل القائل: في كل شجر نار، لكن المرخ والعفار سريع الاشتعال"، واستشهد ببيت من الشعر منسوب لربيعة بن جشم النمري أو لامرئ القيس،[1] يصف فيه ربيعة فرسًا:

(1) ينظر : ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر :، 30.

لها أُذُنٌ حَشَرَةٌ مَشرَةٌ كَاغليط مَرغٍ إذا ما صفر. [1]

ويُفهم من كلام الصغاني أن "المرخ" نوع من الأشجار التي تتميز بوجود زهر وثمر، ويُطلق على وعاء ثمره اسم "الإغليط"، وهذا هو التفسير الذي أورده الصغاني، غير أن بعض أهل اللغة قدموا تفسيراً مختلفاً إذ عدّوا "الإغليط" يشير إلى ورق الشجرة، وقد وصف الصغاني هذا التفسير بأنه غير دقيق، مما يُظهر نقده لتفسيرهم والدلالة التي نسبوها للفظ دون الإشارة المباشرة إلى أسمائهم. [2]

للتحقق من صحة تفسير الصغاني وتحديد الدلالة الدقيقة للكلمة، نجري تقصيًا في كتب اللغة والمعاجم، ومن هنا نجد في كتاب "المنتخب" أن كراع النمل يفسر المعنى بوضوح، إذأشار إلى أن "الإغليط" هو وعاء زهر شجرة المرخ، وأضاف أن "السنف" يعني ورقة الشجرة، كما يُقال له أيضًا "حَمْل"، وفي بعض الأحيان، يستعمل المصطلح للدلالة على قشر الباقلاء.

وتبَنَّى الفارابي رأياً مغايراً لما ورد عن كراع النمل، إذركّز على تخصيص اللفظ بمعنى ورق شجرة المرخ،[3] موضحاً أنَّ "الإقليط" يشير إلى ورق المزخ، وفي السياق ذاته ذكر الأزهري هذا اللفظ ليدل على وعاء ثمرة شجرة المرخ،[4] بينما عرض ابن عباد مفهوم الورقة، مشيراً إلى احتمال أن يكون المقصود بها وعاء الزهرة، بقوله إن "الإغليط" هو سلف المرح ويشير إلى ورقه، وقد قيل إنه وعاء بذره.[5]

(1)العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 9/ 160.

(2) ينظر : المنتخب من غريب كلام العرب، علي الأزدي (كراع النمل) : 1989/ 468.

(3) ينظر : ديوان الأدب، الفارابي : 1 /278.

(4) ينظر : تهذيب اللغة، الازهري : 2 /99.

(5) ينظر : المحيط في اللغة، ابن سيده : 1 /403.

واكتفى الجوهري بتفسير كلمة "الإغليط" بمعنى "ورق المرح"، مستنداً في تفسيره إلى البيت الشعري الذي ورد في كتاب "العباب الزاخر واللباب الفاخر" ونُسب إلى امرئ القيس.[1]

وأوضح ابن فارس معنى كلمة الإغليط بأنها تشير إلى وعاء ثمرة المرح، وذلك في كتابيه "المجمل" و"المقاييس"، وقد ربط دلالتها في "المقاييس" بأنّها متصلة بشجرتها، إذ ذكر أنَّ الإغليط هو وعاء ثمرة المرح وهو ما يظل معلقًا في الشجرة.[2]

وقدَّم ابن سيده شرحًا مفصّلًا عن شجرة المرح، وهي شجرة تتميز بخصائص فريدة تستحق التأمل، فبحسب وصفه، لا تحمل هذه الشجرة أوراقًا، ويأخذ ثمرها شكلاً يشبه الباقلاء من حيث الهيأة، إلا أنَّه ينماز ببعض الفروق، أما الوعاء الذي يحيط بهذا الثمر فيُطلق عليه اسم الإغليط، والذي يحمل وظيفة رئيسة في تكوين الثمرة، وعندما تنضج الثمرة وتجف بفعل الزمن أو العوامل الطبيعية، تبدأ بذورها بالانفصال والسقوط، وما يبقى بعد ذلك هو قشر الثمرة، الذي يُعرف باسم السنف.

وقد أضاف ابن سيده مزيدًا من التفاصيلات في وصفه صورة الشجرة وتركيبتها، مشيرًا إلى أنها خالية من الأوراق والشوك، وأن عيدانها ذات طبيعة ناعمة ورفيعة بلون أبيض مائل إلى الصفرة، وتنمو عادة في المناطق الصخرية أو الوعرة مثل الشعاب والوهاد، أما ثمرتها وإن كانت مشابهة للباقلاء من بعيد، فإنها تتميز بكونها أعرض وأكثر تحديدًا عند الأطراف. الإغليط نفسه يؤدي عمل الحاضن للثمرة قبل أن تجف وتبدأ بذورها في التساقط، وهنا يكمن الفرق الواضح بين مصطلحي الإغليط والسنف. [3]

---

(1) ينظر : الصحاح، الجوهري : 3/ 1144.

(2) ينظر : مقاييس اللغة، أحمد بن فارس : 4/ 124.

(3) المخصّص، ابن سيده ، 3 /259.

واستكمالًا لوصف هذه الشجرة وتأكيدًا لما ورد، ذكر ابن سيده تفسيرًا لغويًا أورد فيه تعريفًا أدق للإغليط على أنه ما يجمع ثمرة المرخ أو الورق الساقط عنها، مُستشهدًا بأبيات شعرية تعود لامرئ القيس تعزز هذا التعريف وتضفي عليه عمقًا بلاغيًا ومعنويًا، وبهذا الوصف قدم ابن سيده فهمًا متكاملًا ومعمقًا لهذه الشجرة بما يدلّ على قدرته على الربط بين اللغة والطبيعة بطريقة دقيقة وشاملة.[1]

أورد ابن منظور معاني متعددة لكلمة "الإغليط"، مستشهداً بالشعر لتعزيز المعنى،[2] أما الفيروزآبادي فقد وازن بين الإغليط و الإزميل، موضحاً دلالاته بقوله إنه يشير إلى ما تساقط من الأوراق من الأغصان والقضبان، أو إلى وعاء ثمر شجرة المرخ، لافتاً إلى تشابهه مع قشر الباقلاء،[3] وعلى النقيض، اقتصر السيوطي على تفسير واحد فقط للكلمة، محدداً معناها بأنها وعاء لثمر المرخ.[4]

وعرض الزبيدي إلى ما أورده الصغاني في تفسير لفظ "الإغليط"، إذنقد القول الذي عدَّ الإغليط يعني "ورق المرخ"، موضحًا الوجه الصائب في تفسيره هذه الكلمة، وقد اعتمد الزبيدي في نقده على الحجج اللغوية والسياقات الشعرية التي استُعملت فيها الكلمة، مما جعله يثبت صحة رأيه، وبالإضافة إلى ذلك ناقش الزبيدي البيت الشعري المرتبط بمعنى "الإغليط" ونسبة البيت إلى قائله، إذ أشار إلى الاختلاف في الآراء في نسبته، و نسب بعضهم البيت إلى امرئ القيس، وجد الصغاني هذه النسبة غير صحيحة، ومال إلى نسبته إلى الربيعة بن جشم النمري، وفي هذا السياق تعمّق الزبيدي في توضيح حيثيات الاختلاف، مؤكدًا عبر تحليله ومنهجه

(1) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده : 544/1.

(2) لسان العرب، ابن منظور، : 7 /355.

(3) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي : 678.

(4) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي : 2 /140.

الدقيق عدم صحة نسبة القصيدة لامرئ القيس، مما يدل على أهمية التمحيص والتحقق في مثل هذه القضايا الأدبية واللغوية.[1]

وعن طريق العرض المذكور آنفًا، يمكننا التوصل إلى أن هناك اختلافًا في تفسير المعنى وتحديده الدقيقي للفظ "الإغليط"، وأوضح ما توصل إليه أغلب علماء اللغة أن "الإغليط" يشير إلى وعاء يحتوي على زهر شجرة المرخ، وهو ما أكده جمهور اللغويين في مراجعهم، وغير أن هناك خلافاً ظهر بين بعض أهل اللغة الآخرين إذرأى بعضهم منهم أنَّ الكلمة تدل على الورق، ومن بين هؤلاء الذين عدّهم الصغاني مخطئين، نجد الفارابي وابن عباد والجوهري، على وفق نقده، ولكن من دون أن يصرّح بأسمائهم بطريق مباشر.[2]

وفضلًا على ذلك، يبدو أنَّ الصغاني كان مصيباً في موقفه بشأن هذا المعنى ومستدلاً على رؤيته بما جاء عن أبناء عصره ومصادر اللغة، أما في ما يتعلق بانتقاده لأحد الأبيات الشعرية التي وردت بوصفها شاهدا لغوي، فنجد معظم المصادر نسبتها إلى امرئ القيس، غير أنَّ هذا البيت لم يظهر من ضمن ديوان امرئ القيس ، وبدلاً من ذلك ورد ذكره من ضمن الإضافات التي ألحقت بالديوان.[3]

فإنَّ البحث الإضافي عن هذا البيت الشعري يظهر أنه ليس لامرئ القيس، بل يربطه الكثير بالشاعر أوس بن حجر، وقد جاء البيت من ضمن قصيدة طويلة للشاعر تتكون من ثلاثة عشر بيتًا، مشيراً بذلك إلى نسبة مختلفة تؤكد وجهة نظر الصغاني وتظهر الجوانب الخلافية في النسبة الشعرية عبر القرون.

---

(1) تاج العروس، الزبيدي : 19/ 489.

(2) ديوان إمرؤ القيس وزوائده، إمرؤ القيس : 459.

(3) ديوان أوس بن حجر، أوس بن حجر : 30.

المبحث الثالث

أهمية معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر عند المحدثين

من المؤسف حقًا أنّ العمل (العباب الزاخر واللباب الفاخر) الذي انهمك فيه بكل إخلاص وتفانٍ انتهى به المطاف إلى فصل حرف الباء إلى باب حرف الميم، لكن الأقدار لم تسعفه ولم تمنحه الوقت الكافي ليكمل ما بدأه ويضع لمساته الأخيرة على هذا الجهد القيّم الذي بذل فيه كل طاقته واهتمامه.

لقد قام الصغاني حمد الله بكتابة كتاب "العباب الزاخر واللباب الفاخر" بنفسه، إلا أنَّ المنيّة أدركته قبل أن يتمكن من إنهائه، وصل في عمله إلى المراحل الأخيرة من الكتاب، وتحديدًا إلى بداية باب الميم، متوقفًا عند فصل الباء منه، عند مادة "بكم"، والنسخة التي خطها بيده تضمنت عدة أجزاء، لكنها لا تشمل الكتاب كاملًا، هذه الأجزاء محفوظة حاليًا في الخزانة الملكية بمدينة الرباط، إلا أنها تعاني من نقص وبتر في عدة مواضع، فضلًا عن وجود طمس في بعض أجزائها، و تعرضت بعض أوراقها للتلف بسبب قضم الأرضة، ويُذكر أيضًا أن جزءًا من هذه النسخة محفوظ في دار الكتب الوطنية في القاهرة.

كانت خطة حملته تعتمد على نسخة دقيقة ومحكمة ضبطت بالشكل الكامل، إذأُتيح لها اهتمام كبير بالمصطلحات والرموز المستعملة فيها، لم يكتفِ الكاتب بذلك بل أضاف على بعض الكلمات الروايات المختلفة التي تروى بها تلك النصوص، موضحاً ذلك باستعمال العبارة معاً، في إشارة واضحة إلى أن الكلمة يمكن أن تُروى باستعمال كل هذه الروايات بصورة متزامنة دون تضارب، وليس ذلك فحسب، بل أفضت عنايته الفائقة إلى تدوين نصوص إضافية في مواضع متفرقة بين الأسطر وعلى هوامش النصوص الرئيسة ، وهو ما جعلها في بعض

الأوراق تبدو أكثر كثافة من مادة النص الأصلي نفسه، وقد تبَّين عن طريق هذه العناية والكم الهائل من التعديلات والإضافات أنَّ هذه النسخة كانت مجرد مسوَّدة شخصية أعدها الكاتب لنفسه بغرض تطوير النص وإدخال التحسينات عليه كلما رأى أمراً يستحق الإضافة أو التعديل.

وربما كان من حسن التوفيق وسلامة النية لدى الصغاني أن هيَّأ الله لعمله من يعتني به ويعمل على تحقيقه، فقد تمَّ تحقيقه عدة مرات وتمت طباعته، لكن دون أن يُكمل بالكامل.

فقد عرض هذا الكتاب اهتماماً مخصوصاً من مركز البحوث والتواصل المعرفي، ممثلاً في أمينه العام الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد، وقد أولى الكاتب عناية فائقة وعمل بجد وإخلاص لضمان تقديم هذا العمل الجليل بأرفع صورة ممكنة، ولم يكتفِ برعايته الفكرية، بل بذل جهوداً استثنائية للحصول على نسخ مصورة من العمل الأصلي، مما أسهم في حفظ محتواه وإبراز قيمته العلمية الكبيرة.

ومن حسن التوفيق لهذا الكتاب، "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، ولمن سعى في خدمته، أن يتمَّ اختيار من يتولى إعادة تحقيقه وإخراجه بحرص ودقة، فجاء الاختيار الموفق على الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي، الذي لم يتردد في الموافقة والشروع في إنجاز هذا العمل الجليل.

ولا يخفى على الكثير من المتخصصين في الدراسات اللغوية الجهود القيمة التي بذلها العالم العراقي الشيخ محمد حسن آل ياسين الذي توفي عام 1426 هـ، في تحقيق جزءٍ من إرث معجم "العباب الزاخر"، إذ قام بإصدار أجزاء متفرقة من هذا المعجم القائم على ترتيب الكلمات

على وفق الحروف الأخيرة منها، ولكنه اكتفى بمعالجة بعض الحروف في مشروعه البحثي،[1] ومع ذلك فإن ما قد يكون خفياً على الكثير من هؤلاء المتخصصين هو أن هناك عالماً باكستانياً، وهو الدكتور محمد حسن المخدومي الكشميري (1999–1904م) الذي وافته المنية في مدينة إسلام أباد، قد نجح أيضاً في الحصول على عدد من مخطوطات هذا المعجم المهم بصورته الكاملة، وعمل بإصرارٍ وتفانٍ على تحقيقه وتحليله، إذاستغرق في هذا المشروع الضخم نحو عشرين عاماً من الجهد المتواصل.

ولقد تمكن الدكتور المخدومي بحلول عام 1993 م من إتمام تحقيق هذا العمل الموسوعي الذي توقف مؤلفه الصغاني عند مادة "بكم"، وتجدر الإشارة إلى أن الجزء الأول فقط من هذا المعجم، والمتعلق بحرف الهمزة ، قد صدر عن المجمع العلمي العراقي في سنة 1978م، وبالتالي فإن هذه الجهود المتواصلة تمثل نموذجاً بارزاً للالتزام العلمي في دراسة أحد أبرز المؤلفات التراثية وإحيائه التي تُسهم في إغناء المعرفة اللغوية والمعجمية في العالم العربي والإسلامي.

ثم نُشرت الأجزاء الأربعة الأُولى من المعجم، التي عرضت حرف الهمزة حتى نهاية حرف الصاد، في باكستان، ومع ذلك فإن الجزء الرابع الذي صدر عام 1417هـ، قبل ثلاث سنوات من وفاة المحقق المخدومي، نُشر دون إدخال التصحيحات اللازمة عليه، ونتيجة لذلك لم يتم توزيعه، وأدى ذلك إلى إيقاف توزيع جميع الأجزاء الأربعة، و ظل هذا المعجم القيم أسيرًا في مكتبة الدكتور المخدومي بعد وفاته، إلى أن شاءت الأقدار المباركة بعد قرابة ربع قرن أن يهيئ

(1) هي جزء حرف الهمزة الصادر عام 1977م، وجزء حرف الطَّاء الصادر عام 1979م، وجزء حرف الغين الصادر عام 1980م، وجزء حرف الفاء الصادر عام 1981م، وأخيرًا جزء حرف السين، وصدر عام 1987م. وتوفي الشيخ و لم يكتب له إكمال إنجاز ما بدأ به.

الله لـه اهتمـام أحـد العلمـاء المتمرسين فـي المخطوطـات العربيـة والمخلـص للغـة العربيـة، وهـو الدكتور أحمد خان.[1]

ولقد وصل العمل إلى مدينة الرياض برغبة ملحة في نشره، ولكن حجمه الكبير وما يتطلبه من جهد مؤسسي لمراجعته وطباعته كوّن تحديًا واضحًا، ومع ذلك هيأ الله السبل عن طريق مركز البحوث والتواصل المعرفي، الذي أخذ على عاتقه خدمة هذا المعجم المهم، وقد تم تكليف الدكتور تركي بن سهو العتيبي، المحقق المتمكن والمتقن، بمهمة الإشراف على المراجعة والطباعة، ولم يكتفِ الدكتور تركي بالمراجعة وفحسب، بل أعاد بناء العمل من جديد بعد حصول الأمين العام لمركز البحوث، الدكتور يحيى محمود بن جنيد، على نسخة مخطوطة نادرة وثمينة من معجم العباب، محفوظة في مكتبة البيروني بالعاصمة الأوزبكية طشقند، وهي نسخة لم يستند إليها المحقق الأصلي.

واستمر الدكتور تركي العتيبي في عمله الدؤوب على مدار سبع سنوات، حتى خرج معجم العباب إلى النور في طبعة أنيقة وجذابة، ثم طُبع المعجم لأول مرة في عام 2022م على يد دار صادر البيروتية الشهيرة، بدعم وتمويل كامل وتمويل من مركز البحوث والتواصل المعرفي في الرياض، ليجسد هذا الجهد إنجازًا معرفيًا وثقافيًا مميزًا.

واستهل الدكتور العتيبي الجزء الأول من مؤلفه المميز (العباب الزاخر واللباب الفاخر) بمقدمة عرضت بعمق وتفصيل ذلك التحوّل الشاق والمضني الذي واجهه عند اللحظات الحاسمة قبيل اكتمال مراجعات الطباعة النهائية التي تخصُّ بالمعجم، فقد وجد نفسه أمام

(1) نعته د. المخدومي في مقدمة تحقيقه (العباب) ص 44 بـ صديقنا الشاب الصالح . وللدكتور أحمد حان صلة وثيقة بالصعاني، ومصنفاته ؛ إذ حقق منها مجموعة، ونشرها ، ينظر: مقدمة تحقيق (العباب)، فقرة (مؤلفات الصغاني) ص 41، وما بعدها.

المخطوطة الأصلية، التي كشفت عن وجود تباينات واسعة النطاق إلى حد مذهل، يصعب حصرها أو الإحاطة بها بشكل كامل، لقد كانت تلك الاختلافات كثيرة بشكل لافت، إذ شكّلت تحديًا حقيقيًا يتطلب العناية الدقيقة والتعامل الحذر لضمان أن يؤدي العمل إلى الوصول إلى روح النص الأصلي ودقته مع الحفاظ على جمالياته اللغوية.[1]

فلقد استدعى الأمر التوقف والتأمل بعمق، ما دفع إلى ضرورة مراجعة جميع النسخ وإعادة النظر فيها بناءً على أصولها المعتمدة، ومن بين هذه النسخ تظهر نسخة الأصل التي اعتمد عليها المحقق المخدومي، التي وجهت المحقق د. العتيبي إلى العودة إلى بداية العمل وتحليل النسخ بناءً على أهميتها الزمنية والتاريخية، وليس فقط اكتمالها، كذلك صدر توجيه بالرجوع إلى الأصول التي تم النقل عنها ما أمكن ذلك.[2]

وقد أشار د. العتيبي إلى أن نسخة البيروني أثرت بصورة جذرية في سير العمل، إذ كانت بفضل الله السبب الرئيس لإعادة مراجعة الكتاب بالكامل، ورغم أن الخطوة الأولى بعد الحصول عليها اقتصرت في البداية على مقارنتها بالنسخة المطبوعة، إلا أنَّ هذه النسخة كشفت عن ثغرات جوهرية وأخطاء كبيرة لم يكن بالإمكان التغافل عنها، ونتيجة لذلك استلزمت هذه الاكتشافات إجراء مجموعة من التعديلات والتصحيحات المهمة، لتصويب أوهام ونقاط غفل عنها المحقق في المراحل السابقة.[3]

ثم استرسل في الحديث مشيدًا بريادة كبار اللغويين الأوائل مثل الأزهري (370 هـ)، والجوهري (393 هـ)، وابن فارس (395 هـ) في مجال الجمع والاختيار والتصنيف، وأشار إلى

(1) ينظر : تقرير عن معجم العُبابُ الزّاخِرُ واللُّبابُ الفاخِرُ ، تركي بن سهو العتيبي : 7.

(2) ينظر : تقرير عن معجم العُبابُ الزّاخِرُ واللُّبابُ الفاخِرُ ، تركي بن سهو العتيبي : 7.

(3) ينظر : العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني : 1/ 17.

أن من جاء بعدهم كان له دور الاستقصاء واستكمال ما نُقِص والتعقيب على ما فات، وأوضح الدكتور العتيبي أن كتاب "العباب الزاخر" ليس عملًا لغويًا تقليديًا، بل يمثل موسوعة شاملة تضم مادة علمية مختارة ومتميزة تشمل اللغة، والشعر، والأمثال، وأسماء الأمكنة والأعلام، وأيام العرب وأخبارهم، وبالإضافة إلى ذلك أضاف الصغاني تفاصيلات عن مشاهداته الشخصية ورحلاته، متحدثًا عن الديار التي زارها أو أقام فيها، مما يدل على ثراء الكتاب وشموليته.[1]

ولقد أشاد الدكتور العتيبي في مقدمته بالجهود الكبيرة التي بذلها الدكتور محمد حسن المخدومي ، وأثنى على ذكائه وحنكته، وشكر له تفانيه وإخلاصه في العمل، موضحًا منهجه العلمي الفذ، ثم قدّم ترجمة مختصرة لحياته، وأشار إلى إتقانه اللغتين العربية والفارسية، ولفت إلى أنَّه أول من حاز شهادة الدكتوراه من جامعة البنجاب سنة 1938م، إذشاركه في المناقشة آنذاك المستشرق المعروف فريتس كرنكو، واستدل الدكتور العتيبي على علم الدكتور المخدومي وصبره بما بذله من مجهود فردي في تحقيق هذا الكتاب الضخم، إذ قام بكتابة المخطوط بالكامل بيده على أكثر من عشرة آلاف صفحة، مضيفًا للتنقيح التوثيق والتخريج والتعريف والتعليق والتصويب والتنبيه، و عرض الجهود التي بذلها الدكتور المخدومي لطباعة هذا العمل، مبينًا أنه تمكَّن من نشر بعض أجزائه في حياته، بدءًا بالمجمع العلمي العراقي ثم في باكستان فيما بعد، كما تَّمت الإشارة آنفًا في بداية الحديث.

وبعد ذلك، عرض الدكتور العتيبي بتفصيلًا دقيق له منهجيته علمية التي اتبعها في عمله، بعد أن أسند مركز البحوث والتواصل المعرفي إليه مهمة مراجعة الكتاب بكل ما يشمله من متن وحواشٍ وتعليقات، وعرض منهجه الذي امتد ليشمل العودة إلى الأصول والمصادر الرئيسة ، مع تعداد واضح للخطوات العملية التي اعتمد عليها في كل مرحلة من مراحل المراجعة، وفي

(1) ينظر : العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني: 1/ 20.

ختام حديثه أظهر الدكتور العتيبي تواضعًا وإنصافًا لافتين، إذأعرب عن امتنانه لكل من أسهم في تحقيق هذا العمل الجليل وخروجه إلى النور، وبدأ شكره بمركز البحوث والتواصل المعرفي ممثلًا بأمينه العام الدكتور يحيى محمود بن جنيد، الذي بذل جهودًا استثنائية وأصر على تذليل العقبات كافة للحيلولة دون توقف المشروع، وامتد الشكر أيضًا إلى المدير التنفيذي الأستاذ عبد الله الكويليت، وتواصل ليشمل الدكتور أحمد خان وكل من أسهم بأي مشاركة ، سواء أكان عن طريق مقابلة، أو مراجعة، أو تقديم تصحيحات دقيقة، أو توجيه مَلاحِظ بناءة، أو حتى العمل على فهرسة محتويات الكتاب.

وبعد كل ما تم التمهيد له وعرضه، تأتي مقدمة المحقق الدكتور محمد حسن المخدومي الكشميري – رحمه الله – والتي تعدّ واحدة أهم الإضافات القيمة التي تعزز هذا العمل الكبير، وفي مستهل هذه المقدمة، يسرد الدكتور قصته الشخصية مع اكتشاف هذا الكتاب، وتفاصيلات علاقته به، وعنايته العميق بمضمونه، ثم ينتقل إلى تقديم ترجمة شاملة لمؤلف الكتاب، وهو العالم اللغوي، الفقيه، والمحدث البارز الصغاني ، معتمدًا في ذلك على ما أورده الإمام بنفسه من معلومات عن سيرته الذاتية وأحداث من أسفاره ضمن معاجمه المعروفة. [1]

وبعد ذلك، يعرض المحقق بشيئا من التفصيل الحديث عن شيوخ الإمام الصغاني وأثرهم في تكوينه العلمي، ثم يسلط الضوء على أبرز تلامذته ممن تأثروا به وحملوا تراثه العلمي، ويعرج أيضًا على جانب آخر من شخصية الصغاني وهو إبداعه الأدبي، عارضًا إحدى قصائده النونية التي تتميز بأسلوبها العذب والمميز.

ولم يغفل المحقق الإشارة إلى الجوانب العلمية الأُخر التي برع فيها الإمام الصغاني، بداية بجهوده في علم اللغة، الذي كان العنصر الغالب والأهم في مؤلفاته، ثم مساهماته العميقة في

(1) وأولها معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت 626 هـ)، الذي التقاه في مكة المكرمة.

علم الحديث الشريف الذي أضاف عن طريق إضافات جليلة، وصولًا إلى أثره الفاعل في مجالات أُخر متنوعة مثل علم الفرائض، والفقه، وكتابة التراجم، وحتى علوم القرآن الكريم.

لقد عرض المحقق المخدومي في حديثه كتاب "العُباب الزاخر اللباب الفاخر "، إذ تطرق إلى إشادة العلماء بهذا العمل المميز، وشرح منهج المؤلف والمصادر التي اعتمد عليها، و أشار إلى علاقة الصغاني بياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) وما نقله عنه، ثم عرض بعض الأخطاء والزلات التي وقع فيها الصغاني في معجمه. وخصَّص بعد ذلك ترجمة مفصلة للشاعر اللغوي المحدث غالب بن الحارث العكلي، المعروف بأبي حزام، بالنظر لندرة المعلومات المتداولة عنه، وأيضاً لأن الصغاني – رحمه الله – استشهد بعدد من أبياته التي تظهر تمكُّنه المتقن من اللغة العربية.

ثم شرع المحقق في الحديث عن مميزات كتاب "العُباب"، مخصصًا فقرة أشار فيها إلى توافق الله في أن كلا من الشاعرين، الصلتان العبدي والصغاني رحمه الله وخليد عينين، يُعدّان كيانًا واحدًا مترابطًا.

وعرضالصغاني رحمه الله تصحيح الأخطاء التي وردت في إنشاد بعض الأشعار، إلى جانب تقديمه للغرائب التي أوردها في كتابه "العباب"، وتصحيحه لبعض أسماء الأعلام، وفي السياق ذاته، ناقش الدكتور المخدومي مسألة حصول الزبيدي (1205 هـ)، واضع معجم "تاج العروس"، على كتاب "العباب"، وقد خلص إلى أن الزبيدي لم يتمكن من الوصول إليه، مستندًا إلى أدلة قَدمها في هذا الشأن وأبرزها لتدعيم رأيه.

وتطرق المحقق بعد ذلك إلى ابن بري (توفي عام ٥٨٢ هـ)، الذي يُعد من أبرز من علقوا على كتاب الصحاح للجوهري، وناقش إمكانية استفادة الصغاني من تلك الحواشي أثناء وضع

معجمه، لكنه خلص إلى أن الصغاني لم يطّلع عليها ولم يعتمدها. قدم المحقق أمثلة تدعم هذا الرأي وتوضح عدم وجود تأثير مباشر لحواشي ابن بري على عمل الصغاني.

وفي الختام، يعرض المحقق وصفًا مفصلًا للنسخ الخطية الخمس التي استعان بها في تحقيق كتاب العباب الزاخر، كما يلحق بها الدكتور إضافاته لتوضيح جوانب أُخر.

ويختتم المحقق المخدومي كتابه بتوجيه الشكر لكل من ساانده في مسيرته العلمية، مع تخصيص ذكر للدكتور أحمد خان، يلي ذلك عرض لصور توضيحية لبعض نماذج أوراق المخطوطات، ثم الانتقال إلى مقدمة الصغاني صاحب كتاب العباب، تتضمن المقدمة فصلين أساسيين: الأول يحتوي على ذكر أسماء مجموعة من علماء اللغة، دون الالتزام بترتيب زمني لمواليدهم، وهي أسماء لا غنى لقارئ الكتاب عن الاطلاع عليها، أما الفصل الثاني فيعرض أسماء الكتب التي اعتمد عليها الكتاب لجمع مفرداته اللغوية. (1)

وبعد المقدمة، يبدأ الصغاني بتقسيم الأبواب استنادًا إلى حروف اللغة العربية، مبتدئًا بباب الهمزة وتفرعاته، مثل مادة "أجأ"، ليواصل منهجيته حتى يصل إلى مادة "بكم"، إذانتهت حياته وكتابه عند هذه النقطة، ويغطي الكتاب في مجمله ثلاثة عشر جزءًا رئيسيًا، أضيف إليها فيما بعد جزءان مخصصان للفهارس الفنية.

الجزء الرابع عشر يحتوي على فهارس متنوعة تشمل القرآن الكريم وقراءاته، الأحاديث النبوية والآثار، الأمثال، المواقع والبلدان، فضلا عن مسائل صرفية ونحوية، وأسماء الكتب والمواد

(1) من جانبي، أجد نفسي متفقًا مع ما طرحه د. تركي العتيبي حول اعتذاره عن استبعاد فهرس الأعلام من بين الفهارس المُنجزة بسبب طوله المفرط، ومع ذلك، أرى ضرورة الإبقاء على فهرس المصادر والمراجع ضمن هذا المجموع نظرًا لأهميته، والله ولي التوفيق.

اللغوية، أما الجزء الخامس عشر فقد خُصِّص بالكامل لفهارس الشعر والرجز فقط، مما أضفى على العمل كمالًا وتنظيمًا دقيقًا يخدم الباحثين والمطلعين.

ويؤكد الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد، عند حديثه عن قصة تحقيق كتاب العباب: "أن هذا المعجم يُعد واحداً من أبرز الأعمال التي تحمل قيمة كبيرة في تاريخ الثقافة العربية، فقد بقي هذا المؤلف غائباً عن معرضالقارئ العربي لعدة قرون، إذكانت نسخته المخطوطة مقتصرة فقط على أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الوصول إليها من المتخصصين في اللغة والأدب، نظراً لندرة النسخ المتوفرة منه".

والدليل على ذلك هو أنَّ النصوص المعروفة من هذا النوع اليوم لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، ويعود السبب إلى ضخامتها وتعقيدها، فضلا عن البعد الزمني الكبير الذي يفصلنا عن فترة تأليفها، وأدّت الحروب المدمرة أثرا رئيسًا في اندثارها، ولا سيّما أنها كانت تستهدف المناطق التي كان من المتوقع أن يزدهر فيها تداول هذه الكتب؛ وكانت الكتابات أولى الضحايا لأعمال الغزو الوحشية.

وعلى ضوء هذه المَلاحِظ الدقيقة، أصبح من الضروري إجراء عملية موازنة جديدة أكثر شمولاً، يتبعها مراجعة دقيقة للتحقيق من البداية إلى النهاية، وهذه العملية لم تكن مجرد تصحيح للأخطاء، بل تطلبت استثمار وقت أطول بكثير ومضاعفة الجهد لضمان تقديم نسخة محققة بدقة تتماشى و مقام هذا الكتاب التراثي.

وبفضل الله تعالى، تم إصدار كتاب (العباب الزاخر واللباب الفاخر) لأول مرة في طبعته الكاملة المكونة من خمسة عشر جزءاً، أشرف على مراجعة الأصول وإعادة تحقيق الكتاب الأستاذ الدكتور تركي بن سهو العتيبي، و قام مركز البحوث والتواصل المعرفي في الرياض،

برئاسة الأستاذ الدكتور يحيى محمود بن جنيد، بالمساهمة في نشره، وشارك في هذا الجهد أيضاً مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، ممثلاً بأمينه السابق الأستاذ الدكتور حسن السريحي وأمينه الحالي الأستاذ الدكتور فهد الوهبي.

وفي ضوء ماتقدّم كانت عناية المحدثين بهذا المعجم من تحقيق وتدوين لمادته العلمية يكشف عن أهمية هذا المعجم لما ينماز به من دقة المعاني التي دوّنها الصغاني وهذه المعاني تكشف عن اطلاع الصغاني على ماجاء من قبله من المعاجم لذا فهو بهذه الأهمية يعدُّ مصدراً من المصادر التي يستقى منها المادة العلمية .

الخاتمة

الخاتمة:

عن طريق عرض بعض آراء اللغويين وعلى رأسهم الصغاني، وجدنا أنَّ علماءنا الأوائل ينطلقون من هدف واضح يتمثل في التيسير على مستعملي تلك المعاجم ، إذ كانوا يدركون تماماً المشقة والوقت اللذين يتطلبهما الباحث للعثور على معنى كلمة معينة في معاجم اللغة، مما دفعهم إلى بذل أقصى الجهود لتطوير طرائق وأساليب أكثر سهولة وفعالية للوصول إلى المعاني، وبهذا اعتمدت كل مدرسة معجمية منهجاً يخصَّها في ترتيب مفردات اللغة، تراه مناسبا وأكثر ملاءمة لتبسيط البحث، ولم تكتفِ بذلك ، بل لجأت أيضاً إلى وسائل إضافية للتوضيح مثل الشرح والتفسير، فضلاً عن التهذيب والتنقيح لتحقيق الغاية المنشودة .

يمكننا الوصول عن طريق هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج البارزة، من بينها:

1_ حرص الصغاني على معالجة القضايا اللغوية بأسلوب متميز، إذكان يمتلك معرفة متعمقة بالمسائل اللغوية، وغالباً ما كان يتخذ زمام المبادرة في طرح هذه المسائل وتوجيه النقاش حولها، وتميزت منهجيته بجرأة في إبداء آراء فريدة ومستقلة أحياناً، مع حرصه على تسليط الضوء على آراء الآخرين، إذكان يقدمها في كتابه بتفصيل وشمول يسهمان في تعميم الفائدة وتحقيق الغايات العلمية المرجوة.

2_ استند أسلوب الصغاني في معالجته قضايا على تحليل دقيق ومنهجي، فكان يوازن بين التأييد لموقف معين حيناً، والمحايدة والموضوعية أحياناً أُخر، ولم يتردد في انتقاد بعض الآراء أو الاعتراض عليها متى دعت الحاجة إلى ذلك، ومن الجوانب البارزة في عمله دوره الحيوي في ترجيح الرؤى المختلفة بشكل عقلاني ومنطقي، إذكان يذكر آراء العلماء السابقة ويعرضها بإنصاف قبل الوصول إلى موقفه النهائي.

3_ الصغاني قد تفرد في العديد من المرات بذكر مفردات لغوية ومصطلحات لم يتطرق إليها غيره من علماء المعجمات اللغوية، هذا التفرد جعله مصدراً موثوقاً ومهماً لهذه المفردات ومرجعاً للباحثين والعلماء الذين استندوا إلى كتاباته وإسهاماته في إثراء الدراسات اللغوية.

4_ ولقد تنوّعت مصادر الاستشهاد عند الصغاني في معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر) ، إذ اعتمد على القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وأشعار العرب، والأمثال واتخذها مرجعًا لتوضيح الاستعمال وتحديد المعاني في معجمه.

5_ ويُعدّ الصغاني واحداً من العلماء الموثوقين الذين تميزوا بدقة النقل وحفظ النصوص، إذ كان يُعنى بنسبتها إلى أصحابها الأصليين، مما منح عمله مصداقية عالية في أوساط العلماء، فقد حرص على توثيق النصوص وإسنادها بدقة بالغة إلى من نسبت إليهم، وهو ما يعكس أمانته العلمية ويمثل شهادة حية على مقدار تحريه وانضباطه في الحفاظ على صحة المعلومات، وهذه المنهجية الدقيقة التي انتهجها الصغاني لم تكن مجرد خطوة عابرة، بل شكلت ركيزة رئيسة أضافت الكثير من القيمة إلى المعجم الذي وضعه وساهمت في رفع مكانته العلمية، الأمر الذي جعله موضع اهتمام وتقدير كبيرين من قبل علماء عصره والباحثين من بعدهم.

6_عرضت هذه الدراسة استكشاف التأثير العميق لمعجم العباب على المعاجم اللغوية الأُخر، إذ يعد هذا المعجم واحداً من المراجع الرئيسة التي استند إليها العديد من العلماء والباحثين الذين جاؤوا بعده، ويرجع ذلك إلى اعتماده على أكثر الروايات دقة وصحة عند جمعه للمفردات وتوثيقه للمعاني، مما مكّنه من أن يصبح أحد الركائز المهمة في التراث اللغوي العربي، ومصدراً موثوقاً لكل من يبتغي الغوص في أعماق اللغة وفهم جذورها.

7_ ويُعدّ انتشار القضايا اللغوية والصرفية والنحوية سمة رئيسية في معجم الصغاني، إذ أظهرت الدراسة أنه كان يعتمد على التحليل اللغوي بشكل بارز مع التركيز المكثف على الظواهر اللغوية، وقد أصبحت آراؤه مرجعًا مهما للعلماء الذين جاؤوا من بعده، وعرض في مؤلفاته موضوعات مثل قضايا التعاقب والإبدال، والتقارب الدلالي في اللهجات المختلفة، كما شكّل مرجعًا موثوقًا في نسبة اللهجات إلى القبائل العربية.

8_ ومن الظواهر اللغوية اللافتة التي عرضها المعجم هي تسليطه الضوء على الإتباع والمزاوجة، مع توضيح أسباب ظهورها وأبرز مظاهرها ودلالاتها، وقد أولى المؤلف اهتمامًا كبيرًا بالتنويه بهذه الظاهرة في عدد من المفردات التي شهدت إتباعًا، كما أدى الصغاني أثرا بارزًا كمصدر للباحثين في هذا المجال، إذ قدم رؤى حول بعض المفردات المرتبطة بالإتباع، بل وتميز أحيانًا بإفراد بعض الألفاظ التي لم يُسبق إليها.

9_ ولقد أظهرت الدراسة بشكل واضح اهتمام الصغاني الكبير بتحليل الدلالة والمعنى، مما جعله ينماز بتركيز دقيق على مجموعة من القضايا اللغوية ذات الطابع الدلالي، و أبرز هذه القضايا التي عكف على دراستها ظاهرة المشترك اللفظي، التي تتعدد فيها المعاني للكلمة الواحدة، وظاهرة الأضداد التي تجمع بين المعاني المتناقضة في اللفظة الواحدة، إلى جانب ظاهرة الترادف التي تتعلق بالكلمات المتقاربة في المعنى أو المتطابقة، فضلاً عن اهتمامه بدراسة هذه الظواهر، التي أقرّ الصغاني بوجودها في داخل المنظومة اللغوية العربية وأثبتها في مؤلفاته، وقد أسهم معجمه بشكل كبير ليصبح مرجعا مهما اعتمد عليه الباحثون والمختصون الذين جاؤوا من بعده لتعميق فهم هذه القضايا وتعزيز دراساتهم اللغوية.

10_ لم يذكر الصغاني في معجمه (العباب الزاخر واللباب الفاخر) بعض الألفاظ الثلاثية لأنَّه عني بالألفاظ التي تكون أكثر استعمالًا إذ أهمل بعضها لعدم توافر الاستعمال اللغوي فيها .

11_ ومن تقويم هذا المعجم ان فيه مظهر من مظاهر التيسير ، ويبدو أنّ سيره على نظام القافية كان الغرض منه التسهيل على الشعراء والأدباء في الوصول إلى القافية التي تخدمهم في أشعارهم.

12_ وقد جمع الصغاني في العباب خير ما في المعاجم التي قبله مادةً ومنهجاً ، وقد جمع المواد المختلفة منها، مع سهولة الترتيب والانتظام في عرض المادة بتقديم المجرد وتأخير المزيد

التوصيات:

استنادًا إلى النتائج التي خلص إليها البحث، يقدّم الباحث التوصيات الآتية:

1_ إجراء دراسة معمقة تهدف إلى الموازنة والتحليل بين المعاجم التي أعدها القدماء وتلك التي وضعها المُحدثون، وذلك بهدف استجلاء الطرائق والأساليب التي اعتمد عليها كل فريق لتيسير الوصول إلى المعاني والمعلومات اللغوية، إذ تعرض الدراسة التفاصيلات الدقيقة لخصائص كل مجموعة، مع التركيز على المنهجيات المستعملة في التبسيط والشرح، سواء أكان من حيث تنظيم المحتوى، أم اختيار المفردات، أم تقديم الأمثلة والشروح التي يسّرت فهم النصوص لدى القارئ، و يجدر بالدراسة أن تظهر نقاط التلاقي والاختلاف بعمق، مع توضيح مقدار تأثير هذه الأساليب على سهولة الاستعمال واكتساب المعرفة اللغوية.

2_ إعداد دراسة مقارنة بين المعاجم التي تنتمي إلى اللغة العربية وتلك التي تخصّ بإحدى اللغات الأجنبية التي تمتلك أنظمة معجمية لمفرداتها يهدف إلى تسليط الضوء على المنهجيات التي اعتمدها علماء اللغة العرب الأفذاذ في ترتيب وتنظيم مفردات لغتهم، و السعى إلى اكتشاف مقدار التأثير الذي تركه فكر هؤلاء العلماء الأوائل على المدارس اللغوية الأُخر،

وكيفية إفادة المجامع اللغوية الأجنبية من الأسس والمعايير التي وضعها العرب عبر العصور لتدوين معاجمهم، وهذه الدراسة ستمكّن من فهم عميق للدقة والمناهج الابتكارية التي اعتمدها العلماء العرب في إثراء الحقل المعجمي، وستكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في المقاربات التي اعتمدتها الثقافات الأُخر عند بناء منظومات لغوية ومعجمية تخصها .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

❖ القران الكريم

❖ **الكتب المطبوعة :**

❖ ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق: د.مصطفي النماس، الخانجي، القاهرة، 1404 هـ، 1984 م.

❖ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، ط 2 ،1978.

❖ البارع في اللغة، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت356هـ)، تحقيق: د. هشام الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، 1975.

❖ بهجة الخاطر ونزهة الناظر، يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني، تحقيق: أمير رضا عسكري زادة، مجمع البحوث الإسلامية، ط 2 ، إيران، (د، ت).

❖ تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت1205هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت،1385 هـ ،1995 م ، ط1 .

- ❖ تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987 ، ط1.
- ❖ تحديد المنهج في تقويم التراث ، د . طه عبد الرحمن ،المركز الثقافي العربي _ الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1993م .
- ❖ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت 672 هـ)، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ،1986م.
- ❖ التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د. ط) ،1988م ، ط1 .
- ❖ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1995م ، ط2.
- ❖ التعريفات ، علي بن محمد علي الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423 هـ، 2002م.
- ❖ تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آند دوزي (ت 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد الحسن الصغاني (ت 650 هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي وإبراهيم إسماعيل الإبياري ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1979م.
- تهذيب اللغة، محمد ابن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت٣٧٠ هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط1، 2001م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321 هـ)، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- الجيم، أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني (ت 206هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، مراجعة محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، القاهرة ، ط1، 1974 م.
- حاشية الصبان علي الأشموني، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت1206هـ) مكتبة الحلبي، القاهرة، 1329هـ.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار (ت 1385 هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت 756 هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دمشق، دار القلم، ط 1، 1408 هـ، 1987م .

- ❖ دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد إبراهيم، دار غريب،2001م.
- ❖ دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين الأزهري، المكتب الإسلامي، ومكتبة دار الفتح، 1960م.
- ❖ دروس في علم أصوات العربية، جان كانتيلو، ترجمة صالح القرمادي، مركز البحوث والدراسات الجامعة التونسية، 1966 م.
- ❖ دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، قسم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، تحقيق: محمود شاكر.
- ❖ دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ط 2، 1969 م.
- ❖ ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1995 م.
- ❖ ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق وإخراج: د. أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، مصر، ط 1، 2014م.
- ❖ ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم بن الحسين الفرابي (ت 350 هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2003م.

- ديوان أوس بن حجر، تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط1.
- ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- الديوان، امرؤ القيس بن حجر بن حارث الكندي (ت 565هـ)، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م.
- الديوان، أوس بن حجر، تحقيق: محمد يوسف نجم، دار بيروت.
- الرائد الحديث في تصريف الأفعال، الشيخ كامل السيد شاهين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384 هـ، 1965م.
- رسالتان في اللغة، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م.
- سياق الحال في كتاب سيبويه في النحو والدلالة، د. أسعد خلف عوادي، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2011م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (ت 748 هـ)، تحقيق: حسين أسد، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م.

- ❖ شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت 686 هـ)، تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، المكتبة التجارية بمصر، 1358 هـ، 1939 م.
- ❖ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت 573هـ)، تحقيق: د. عبد الله حسين العمري ومطهر بن علي الإرياني و د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999.
- ❖ الصحاح ومدارس المعجمات العربية ، أحمد عبد الغفور عطار ، ط1.
- ❖ صناعة المعجم الحديث، أحمد مختار عمر، دار الامين للطباعة، ط1، 1998.
- ❖ العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد الصغاني (ت650هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1981م.
- ❖ العباب الزاخر واللباب الفاخر، الحسن بن محمد الصغاني (ت650هـ)، تحقيق: فير محمد حسن المخدومي ، قابل اصوله واعاد تحقيقه : تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، مركز البحوث والتواصل المعرفي ، مجمع الملك عبد العزيز المكتبة الوقفية ، ط1 ، 1443هـ . 2022م .
- ❖ علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، فريد عوض حيدر، القاهرة ،2005م.

❖ علم الدلالة، جون لاينز، ترجمة: عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، 1980 م.

❖ علم الدلالة، عبد الكريم محمد حسن جبل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2006م.

❖ العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، العراق، بغداد، (د.ت) ، ط1.

❖ فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، 1960م.

❖ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، مصر، ط 2، 1965م.

❖ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8.

❖ كتاب الأفعال، علي بن جعفر أبو القاسم المعروف بإبن القطاع الصقلي (ت 515 هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983م.

- ❖ كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانكي، القاهرة، 1988م.
- ❖ كتاب علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، عبد الكريم محمد حسن جبل، دار المعرفة الجامعية ، ط1، 1997م.
- ❖ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، جار الله الزمخشري (ت 538 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1429 هـ، 1998م.
- ❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط 3، 1414هـ.
- ❖ اللغة، جون، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
- ❖ اللهجات العربية الغربية القديمة، تشيم رابين، ترجمة: عبد الرحمن أيوب، مطبعة ذات السلاسل، الكويت ، ط1، 1986.
- ❖ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 1996 م.

- ❖ مجمل اللغة، أحمد بن فارس ابن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين (ت 395 هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1986م.
- ❖ مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 2، 1986.
- ❖ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458 هـ) تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.
- ❖ المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد (٣٢٦ – ٣٨٥ هـ)، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1994م.
- ❖ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت 721هـ) ، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، 1995م.
- ❖ المخصص في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل والمعروف بابن سِيدَه المُرسيّ (ت 398 هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996م.
- ❖ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، المكتبة العصرية، ط1، 1998 م.
- ❖ المصاحبة اللغوية في الحديث النبوي الشريف، علاء طلعت أحمد، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط، 1923م.

- ❖ المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرح، دار النهضة العربية، 2011م.
- ❖ المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث، محمد أحمد أبو الفرج، بيروت، 1966م.
- ❖ معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
- ❖ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين ،1986م.
- ❖ المعجم الوسيط، (مجموعة من أساتذة مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهم: ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.
- ❖ المعجمات العربية، الرديني، جامعة ناصر، ليبيا، 1982 م.
- ❖ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت ، لبنان، ط1، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩.
- ❖ المكنز الكبير، معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات، أحمد مختار عمر، مؤسسة التراث، ط 1. الرياض، 2000 م.

- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، 1995م.
- المنتخب من غريب كلام العرب، علي بن حسن الهنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب ب "كراع النمل" (ت 309 هـ)، تحقيق: د. محمد بن أحمد العمري، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط 1، 1989م.
- المنصف لابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت392 هـ)، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، دار إحياء التراث القديم، ط1 .
- منهج اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. علي زوين، دار الشؤون الثقافية ،2009.
- المولد في العربية، دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام، د. حلمي خليل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،2010.
- نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، إبراهيم اليازجي، مكتبة لبنان، ط3 ، بيروت، لبنان، 1985 م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979.

❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، تصحيح السيد محمد بدر النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

❖ **الرسائل والأطاريح :**

❖ الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، جامعة البصرة، كلية الآداب ،1992 .

❖ لغات قيس، محمد أحمد سعيد العمري، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودي، 1982م.

❖ **البحوث المنشورة :**

❖ تقنيات التعريف المعجمي في معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر باب الفاء أنموذجاً، ثائر سعود رهيف جياد، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة.

❖ من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً محمد راشد الحمزاوي، (ت1900هـ)، دار العرب الإسلامي،مجلةالمعجمية،تونس

Abstract:

By displaying of some linguists' opinions headed by Al Seghani, we found that our previous scholars started from a vivid target represented by facilitation to the users of those lexicons. They totally apprehended time and effort that the research requires to find the meaning of a particular word in language leicons. This evoked them to do their best to develop ways and style with more easiness and activity to reach meanings. Therefore, each school adopted special method in constructing the language vocabulary that it finds as the best and more suitable to simplify the search. They did not stop at that, rather they looked for additional devices for clarification as well as cultivation and verification to achieve the target meaning.

Based on this study, it is possible to reach a number of prominent results as the following.

1.Al Seghani's abidance tackled the linguistic issues with a distinguished style. He had knowledge specialized with the linguistic aspects where he mostly started displaying these aspects and discussing them. His methodology was characterized with boldness in delivering unique opinions and sometimes independent, with his care in shedding the light on others' opinions when he presented them in a book with a comprehensive and detailed way that contribute in generalizing benefit and carrying out the intended scientific targets.

2. Al Seghani's style relied on an accurate methodological analysis in tackling issues. So, it balanced between supporting a particular stand sometimes and

neutralism and objectivity another time. He did not hesitate in criticizing and objecting on some opinions when it was necessary. It is a crucial role in preferring the various views in a logical and mental form was one of the most prominent side in his work. He was mentioning the previous scholars' opinions and fairly displaying them before reaching his final stand.

3. Al Seghani was unique when mentioned linguistic items that other linguistic lexicons scholars did not mention. This uniqueness made him a reliable source for these vocabularies for researchers and scholars who cited his writings and contributions in enriching the linguistic studies.

4. Citation references to Al Seghani varied where he depended on Holy Quran, honorable prophet Sunnah, Arab poetry and the proverbs that he took as a reference to clarify the use to limit meanings in his lexicon.

5. Al Seghani is considered one of the best scholars who were characterized with accuracy of transforming and text memorizing. He interested in affiliating them to their original owners. This granted his work a high reliability among scholars. He cared about documenting texts and accurately attribution them to whom they were attributed. This reflects his scientific trust and represent a live certificate to his punctuality in keeping information truth. This precise methodology that Al Seghani adopted was not mere a passing step, but it formed a main principle that added many values to the lexicon he wrote and participated in raising his scientific position. This matter made him great significance and respect position of his era scholars and the following researchers.

6. The current study stated discovering the deep influence of ' Al Ebab' lexicon on other linguistic lexicons. This lexicon is regarded one of the main references that many scholars and researchers who came after him depended on. This belongs to his reliance on the most accuracy and truth narratives during his gathering for vocabulary and documenting meanings. This enabled him to be one of the significant bases in the Arabic linguistic heritage as well a confidential source to everyone wants to dive into the language depths and understand its roots.

7. Spreading of the linguistic, morphological, and syntactic issues was considered a basic merit of Al Seghani lexicon where the study showed that it prominently relied on the linguistic analysis with the great emphasis on the linguistic phenomena. His opinions became a significance reference to the scholars who came after him. He tackled in his writings subjects as successive and apposition issues and the semantic approaching of the different dialects. He was also a confidential reference in relating dialects to the Arabic tribes.

8. One of the noticeable phenomenon that the lexicon dealt with is its shedding the light on adoption and pairing with clarification of its appearance causes as well most of its aspects and meanings. The author gave great interest to this phenomenon in a number of items that witnessed adopting. Al Seghani also played a prominent role as a reference for the researchers in this field when he presented views about some of the items related to Al Seghani; indeed, he sometimes identified by separating some items that were not mentioned before.

9. The study clearly showed Al Seghani's great interest with analyzing reference and meaning. The matter that accurately recognized him by emphasis on a group of the linguistic issues of the referential impression. The most important issue that Al Seghani studied was the homophones where one word has more than one

meaning, the opposites where it combines between the contrastive meanings of a single item, and the synonym phenomenon that relates to the approaching words in meaning or compatible. Beside his interest in studying these phenomena, Al Seghani admitted their presence in the Arabic linguistic system and proved them in his writings. His lexicon highly participated to be an important reference that researchers and specialists who came after him relied on to deepen their understanding this issues and to enhance their linguistic studies.

Ministry of Higher Education and Scientific Resea

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic

The Lexicon of " Al Ebab Al Zakhir we Al Lubab Al Fakhir" by Al Seghani (Died 650 H.): Displaying and Presentation

by:

Abear Aqeal Khdhair Ghali Al Mehdawi

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements of Master Degree in Arabic and its Literature

The supervisor:

Prof. Dr. Muhammad Hussein Ali Zayen

2025 A.D. 1446 A. H.